مائدة 31

رواية

مائدة 31

رواية

شيماء الماريه

تصميم الغلاف:أحمد مراد

الطبعة الأولى: 2015

الطبعة الثانية: 2021

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 16687/ 2021

الترقيم الدولي: 0- 54-6798-977-978

إشراف عام: رباب الشهاوي

الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما. أمام جنينة مول. مدينة نصر

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

مائدة 31

رواية

شيماء الماريه

الفؤاد للنشر والتوزيع

إهداء

إهداء إلى أمي؛ تلك الصابرة الصامدة، أدعو الله أن يرزقكِ فرحةً لا يحزن قلبك بعدها أبداً.

إهداءَ إلى (خلود، ومي، وريهام، وسالي، ومهرة).. أنتن أجمل مخلوقات الله على كوكب الأرض والكواكب المجاورة.

إهداء إلى خلود (مرة أخرى)؛ ستظلين لا تقرأين ما أكتب.. وسأظل أكتُب وأُهديكِ كل ما أكتُب.

إهداء إلي مائدة (31) وكل من انضم إليها، أو رحل عنها.

إهداء إلي يوم 2009/4/30، وتلك التي توقفت عن المرح بداخلي منذ فترة بعيدة.

وأخيرا..

إهداء إليها لعلها تنسى..

وإليه لعله يتذكر..

لا نعرف أقدَارَنا..

ولا نملك اختياراتنا..

إذن؛ فلنختار قدَرَنا..

(31)

كان يجلس أمام حاسوبه وحيدًا في مَرسمه الخاص؛ يتصفح صفحتها الشخصية على الــ(فيس بوك) دون أن يجد أي جديد يخبره بأي شيء عنها، فهي لم تقم بنشر أي منشورات جديدة منذ ما يقرب من شهر، لذلك قرر ممارسة هوايته المُفضلة، وبدأ في مشاهدة صورها..

يفتقدها بشدة، ولكنه أجبن من أن يحدثها أو يعود إليها.. يعلم أنها ستسامحه بكلمة واحدة، ولكنه يؤجل تلك الخطوة كل يوم، وهو يعلم أن كل يوم يمر يقلل من فرص غفرانها له..

كان قد وصل إلى صورته الوحيدة معها حينما كانت بصحبته في حفل (عمر خيرت).. تلك الليلة البائسة، والتي لم يعد بعدها أي شيء كما كان..

أخذ يتطلع إليها في شوق، وإلى تلك الغمازة الوحيدة في وجنتها اليُسرى، والتي تخلب لُبه وهو يتساءل: لماذا لم يحرص على أن تجمعهما صورٌ أخرى؟ بل لماذا لم يحرص على أن تجمعهما ذكرى أخيرة تليق بمرورها المؤثر في حياته؟

رنَّ جرس الباب فقام متثاقلًا مُحبَطًا، ساخطًا متذمرًا من ذلك الزائر دون حتى أن يعرفه، ولكن حينما فتح الباب تغيرت حالته ونظرته تمامًا.. نظر إلى زائرته غير مصدقٍ أنها بالفعل تقف أمامه، وخاصة بعد أن فقد الأمل في أن يراها مرة أخرى بعد صدامهما الأخير..

ابتسم لها في سعادة وهو يدعوها بلهفة إلى الدخول..

أما هي فقد دلفت إلى الداخل بأقدام مرتعشة وقلب راجف؛ حيث وقفت في منتصف الصالة، تنظر حولها في حنين، وهي تفكر كم افتقدت ذلك المكان

وصاحبه..

كم افتقدت الجلوس فوق تلك الأريكة التي كثيرًا ما جمعتهما، وشاركتهما حواراتهما الطويلة التي لم تكن تنتهي.

بل كم افتقدت كوب القهوة من يده، وصوت الضحكة من شفتيه.

تنهدت في داخلها، وأغمضت عينيها وهي تحاول أن تمنع ذكريات بدأت تحاصرها وتضيق الخناق على قلبها، بينما كان هو يتجول في ملامحها بعينيه الضيقتين؛ يبحث عن تلك الغمازة التي يعشقها والتي لم تعد واضحة بسبب نحول وجهها الواضح، وحينما إنتبه إلى تلك الضفيرتين الممددتين على كتفيها ابتسم في شجن..

طال الصمت بينهما.. صمت يملؤه حوار لن يفهمه سواهما، وكلمات لم تكن لتقال بالشفاه..

ـ تشربي إيه؟..

قالها بطريقة حاول أن تبدو طبيعية ليقطع ذلك الحوار الصامت..

ابتسمت ابتسامة باهتة؛ فبانت غمازتها وهي تجيبه قائلة:

ـ ولا أي حاجة.. أنا ماشية على طول..

ثم أكملت في تردد، وقد حاولت إلهاء عينيها بالنظر حولها، كي تهرب من تركيزه المباشر فيهما:

ـ أنا بس أاااا.. حبيت أتأسف لك على أسلوبي في أخر مرة..

سألها باستنكار:

ـ انتي اللي بتتأسفي يا (صَبا)؟ أنا اللي المفروض أ....

قاطعته قائلة:

ـ انت كان عندك حق.. انت مكذبتش عليا من الأول.. ثم أكملت بمرارة:
ـ أنا اللي كان بيتهيأ لي إنك..
صمتت في ألم، وقد منعتها كرامتها من أن تكمل جملتها.. تألمت ملامحه، ولعن نفسه ألف مرة وهو يقول:
ـ بس انتي مكانش بيتهيألك.. أنا فعلًا..
أوقفته بإشارة من يدها.. لا تريد أن تسمعها الآن؛ ستشعر أنه يقولها شفقة منه بحالها البائس، وسيؤلم ذلك كرامتها أكثر..
هو أيضًا صمت ولم يحاول أن يثبت لها أنها لم تكن بالنسبة إليه مجرد حكاية عابرة، لم تكن مجرد اسم أضافه إلى قائمة نسائه، ولكنه أضعف من أن يخبرها بحبه، وهو يعلم أن علاقتهما مهما طالت قصيرة، وهي كانت أنقى وأرق من أن يجرحها بذلك، وكأنه لم يفعل..
وحينما قرأت في عينيه ذلك قررت الرحيل.. قررت إنهاء تلك اللحظة، وإنهاء أي شيء يتعلق بذكراه..
لم تأتِ لتسمع منه أعذارًا، أو تتحدث في أي شيء يخص ما سبق، لم تأتِ لتحاول إصلاح العلاقة بينهما.. هي فقط جاءت لتراه، فربما تكون تلك هي المرة الأخيرة..
أخرجت من حقيبتها تلك القداحة -والتي تعني الكثير بالنسبة إلى كليهما- ثم أعطتها له في صمت، فأخذها منها في حزن وهو يعلم أنها بذلك تعيد إليه ذكراه المؤلمة المُشتعلة دائمًا، ثم ودعته بلا كلمات، فقط ابتسامة هادئة وقلب موجوع، ولكنه أوقفها في محاولة بائسة منه قائلًا:
ـ (صَبا).. أنا عايزك تعرفي إني عمري ما هنساكي.

التفتت إليه، ثم قالت في أسف صادق قبل أن ترحل نهائيًا:

ـ بس أنا هنساك يا (بدر)..

لم تسمعه وهو يخبرها بصدق أنه بالفعل يتمني ذلك، بالفعل يتمنى أن تبدأ من جديد مع رجل غيره، فنهايتها المجروحة معه نهاية محتومة..

جلس في يأس على الأريكة.. أشعل إحدى سجائره بتلك القداحة التي أعادتها إليه، وهو يفكر في تلك البوصلة التي جمعتهما طوال السنوات السابقة، والتي أعطته إياها (صًبا) لتخبره بمنتهى الكبرياء أنه أضاعها، ولن يستطيع العثور عليها مرة أخرى..

وقعت عيناه على ذلك الحامل الخشبي المُخصص للرسم، والمغطى بغطاء أبيض تحول إلى لون رمادي بفعل مرور أكثر من سبع سنوات عليه.. ذلك الغطاء الذي ترقد أسفله ذكرى قرر عدم الاصطدام بها على الرغم من أنها تحيا معه باستمرار..

اقترب في خوف وتردد من الحامل الخشبي، ثم رفع الغطاء ببطء وحذر شديدين كي لا يثير عاصفة من الأتربة المتراكمة عليه، يكفيه عاصفة الذكريات التي تضرب صدره الآن..

أخذ يتطلع إلى اللوحة المستندة إلى ذلك الحامل منذ سبع سنوات، والتي تحمل خطوطًا أولية لملامح امرأة أصبحت باهتةً من كثرة الانتظار.. ثم قرر أخيرًا أن ينهيها..

أحضر أدواته وأمسك بفرشاته بعد اغتراب دام أكثر من سبع سنوات.. في البداية شعر ببعض التصلب في أعصابه، ثم ما لبث أن نسي كل شيء.. كانت يده تتحرك حركات سريعة مُدربة ومحترفة كأنه لم يترك الرسم طوال تلك

السنوات، ولمدة خمس ساعات متواصلة لم يترك الفرشاة من يده، ولم يلتفت يمينًا أو يسارًا..

كان في قمة الانهماك، وقد قرر في داخله أن يُنهي تلك الذكري كما يليق بها..

قرر أن يُغلق ذلك الباب بقفل من الحديد، ويلقي بمفتاحه في مكان غير معلوم..

وحينما إنتهى ووقف يتطلع إليها من بعيد؛ بُهت لما رآه..

فلقد أغلق بالفعل باب تلك الذكرى، ولكنه اكتشف أنه قد فتح الباب على مصراعيه لذكرى جديدة كانت تتطلع إليه من داخل اللوحة بغمازتها الرائعة وضفيرتيها الطويلتين، وتلك النظرة الحزينة المُعاتبة..

كانت المرأة التي انتهى من رسمها توًا هي (صَبا)..

*****

في غرفة تغيير الملابس، في ذلك المسرح بساقية الصاوي الثقافية، كانت تجلس أمام المرآة لتنتهي من وضع زينتها بعد أن ارتدت ملابسها، والتي كانت عبارة عن تي شرت قطني أبيض مكتوب عليه (أنا قررت أحكي) وبنطال جينز أسود..

بنظره باردة لا تحمل أي معنى كانت تتأمل ملامحها الصامتة.. تركز على كل تفاصيل وجهها، وكأنها لن ترى نفسها مرة أخرى.. تمسك بقلم الكحل الأسود، وتقوم بتحديد عينين شاردتين، فيزيد الكحل من حيرتهما..

تزفر في توتر أنفاسًا مضطربة مرتجفة، وهي تنظر إلى نفسها في المرآه نظرة شاملة أخيرة، حينما وقعت عينيها على سلسلة مفتاح الحياة، والتي لم تنزعها من حول عنقها منذ أكثر من سنتين..

زحفت بأناملها ببطء نحو السلسلة كأنها كانت تخشى أن توقظ ذكراها بداخلها؛ فينفذ آخر رصيد لمقاومتها.. ولكن ما إن لمستها حتى لانت ملامحها الصامتة، ونطقت ثنايا وجهها بحنين متألم.. أخذت تتحسس مفتاح الحياة بإبهامها، وهي تنظر إليه عبر المرآة، وكأنها تنتظر أن تخرج منه قوة ما وتخطفها من واقعها.. من ذلك المصير الذي ينتظرها أن تذهب إليه بكل طواعية، وللأسف ستفعل في خلال أيام..

انتزعتها من أفكارها صوت طرقات على الباب.. فالعرض سيبدأ في خلال دقائق، والجميع بانتظارها في الخارج..

عادت إلى واقعها، ودون أن تنظر إلى المرآه أخرجت من حقيبتها علبة زرقاء مخملية، وبعد أن أخذت نفسًا عميقًا، أغمضت عينيها كأنها لا تريد أن تُشهدها على تلك اللحظة، وأخذت تنزع السلسلة في بطء وألم كأنها تخرج رصاصة من جُرح حي..

لن تحتاج إليها بعد الآن، فبعد ساعات سيفقد مفتاح الحياة قدرته على إعطائها روح الحياة..

ودون تردد؛ وكأنها أرادت أن تقطع أمام ضعفها خط الرجعة، أمسكت بالسلسلة ووضعتها داخل العلبة الزرقاء، ثم وضعت العلبة بدورها في قاع حقيبتها؛ كأنها ألقت بها في أعماق المحيط، ثم خرجت إليهم مسرعة..

*****

كانوا ثلاثتهن صامتات واجمات، ينتظرنها في كواليس المسرح، خلف ستائره المخملية الثقيلة ذات اللون الأحمر الداكن، يرتدين نفس ملابسها مع اختلاف لون الـ تي شرت القطني.. فكانت إحداهن ترتدي اللون الأخضر، والأخرى ترتدي اللون الأسود، أما الثالثة فكانت ترتدي اللون البنفسجي..

وصلت إليهن بعد أن ارتدت قناع المرح الذي أصبحت بارعة في ارتدائه مؤخرًا، وقالت بابتسامة حاولت أن تكون غير متوترة:

ـ إيه الأخبار؟ جاهزين؟

أجابتها ذات اللون الأخضر بطريقة مرحة، وهي تشير إلى أربعتهم:

ـ أربعة في مهمة رسمية.

لم يرد عليها أحد، ولكنهن تبادلن جميعًا تلك الابتسامة المتوترة، والتي تحاول كل منهن أن تداري بها ذلك الشعور المخيف الذي تملكها، فبعد دقائق سيقفن لأول ولآخر مرة على خشبة المسرح أمام المئات من الحضور..

بعد دقائق سيتعرين بشموخ، ويتجردن أمام بعضهن البعض من أي إحساس بالخجل، سيحكين أدق تفاصيل أحاسيسهن بمنتهى الصدق.. بعد دقائق سيحكين تجاربهن وسيشاركن المئات ألمهن..

اختلطت أصوات الجمهور مع أفكارهن المُشوشة، فزادت من فوضى مشاعرهن، حتى انتزعهن صوته من كل تلك الأفكار السوداء.. (آدم) صديقهن، ومخرج العرض، وصاحب الفكرة..

وقف أمامهن بابتسامته العذبة، وتلك الطيبة التي تستقر في ملامح وجهه؛ حيث أخذ يجول ببصره بينهن واحده تلو الأخرى، وهو يقول بهدوء:

ـ مُستعدين؟

أومأن برؤوسهن وهن يبتلعن لعابهن بصعوبة، فثبت نظره على ذات اللون الأبيض، وسألها بحنان بالغ:

ـ مستعدة؟

نظرت إليه نظرةً مترددةً، ثم نظرت إلى صديقاتها، وقالت لهن في أسف من يشعر بالذنب:

ـ لسة فيه فرصة اللي عايز يتراجع..

قاطعوها بهز رأسهن في استنكار، علامة على النفي؛ حينما قالت لها ذات اللون البنفسجي بهدوء وثقة:

ـ الفرصة الوحيدة اللي قدامنا إننا نكمل اللي بدأناه، ونطلع على المسرح، يمكن نقدر نرجع زي الأول أو على الأقل نقدر نكمل.. صدقيني إحنا محتاجين ده أكتر منك..

نظرت إليهن بامتنان وحب شديدين، ثم عادت إلى (آدم) وقالت له بثقه:

ـ مستعدة..

ظهرت على وجهه ملامح الجدية وهو يوجه إليهن التعليمات قائلًا:

ـ تمام.. تلات دقايق وكل واحدة تقف في مكانها.

هم بالرحيل حينما استوقفه هتاف ذات اللون الأبيض وهي تنادي عليه في سرعة:

ـ آدم.. آدم.. آدم.. استنى.

ـ فيه إيه؟

رفعت هاتفها المحمول أمامه عاليًا قائله في جدية:

ـ واحدة سيلفي بقى قبل العرض..

تعالت ضحكاتهن، وقهقه هو ضاحكًا وهو يقترب منهم قائلًا:
ـ يخرب بيت جنانك يا شيخة..
ضحكت من قلبها وقد استعادت شعور إحدى لحظات مزاحهم، وهي ترفع الهاتف عاليًا وتلتقط الصورة، وبعد أن انتهت نظر (آدم) إلى ساعته، وقال وهو يسرع إلى المسرح:
ـ دقيقتين وكل واحدة تكون في مكانها على المسرح..

*****

أُغلقت أنوار المسرح إيذانًا ببدء العرض.. صمت بعض الحضور، وظل البعض الآخر يتهامسون، في حين كان لا يزال هناك من يبحث عن مقعده وسط الظلام، حينما لفتت نظر الجميع بقعة الضوء الوحيدة التي ظهرت على المسرح، والتي كان يقف في قلبها (آدم) بملابسه السوداء، وجسده النحيل، وشعره المجعد.. مُمسكًا بالميكروفون، وخلفه ستائر المسرح المخملية ذات اللون الأحمر الداكن..
تنحنح (آدم) لينتبه إليه الجميع، وحينما بدأت الأصوات والحركة في الهدوء قال بابتسامة هادئة:
ـ مساء الخير عليكم..
ابتسم الجمهور وردوا التحية، ثم عادوا لصمتهم النسبي؛ فأكمل (آدم) قائلًا:
ـ الأول أعرفكم بنفسي.. أنا (آدم رفعت) مؤسس مجموعة حكي (أنا قررت أحكي).. ومخرج عرض النهاردا..
صفق الجمهور عاليًا، فداعبهم (آدم) قائلًا:
ـ بتصقفوا على إيه؛ هو انتوا لسه شوفتوا حاجة؟

ضحك الجميع من دعابته التي حاول أن يداري بها توتره.. طالما كان يكره دائرة الضوء هذه.. يكره أن يكون تحت أي ضوء، فهو يفضل دائمًا العمل في الكواليس، وخلف الكاميرات، ولكن اليوم غير عادي والحدث غير عادي؛ لذلك كان يحاول أن يكون هادئًا، وأن يسيطر على ذلك التوتر الذي يجعل عضلات معدته تنقبض في ألم، لذلك أكمل بابتسامة واسعة:

ـ طبعًا في البداية أحب أرحب بكل الناس اللي تعبت نفسها وخصصت جزء من وقتها ونورتنا النهاردا.

ثم أكمل في لهجة تشويقية، وقد بدأ في التحرك على المسرح ليقلل من توتره، تتبعه دائرة الضوء المُسلطة عليه:

ـ بالنسبة للناس اللي حضرت عروض حكي قبل كدا؛ أحب أقول لهم إن التجربة النهاردا مختلفة تمامًا.. والناس اللي أول مرة تحضر؛ عايز أقولهم مش هتندموا.. العرض النهاردا تجربة حقيقية وإنسانية بحتة؛ تتلخص في سؤال.. (هتعمل إيه لو عرفت إنك بعد أسبوع ممكن تفقد ذاكرة أهم وآخر سنين في حياتك؟).

قضى سؤاله على أخر صوت في القاعة.. صمت الجميع وهدأت حركتهم تمامًا كأنما على رؤوسهم الطير، تعلقت كل العيون في فضول وترقب بـــ(آدم) الذي ظل صامتًا بضع ثواني ثم أكمل:

ـ مش هرغي كتير، أسيبكوا مع العرض..

ثم مشى بضعة خطوات تاركًا خشبة المسرح وسط همهمات الجمهور المعترضة، ولكنه توقف فجأة والتفت إليهم قائلًا في جدية:

ـ نسيت أقولكوا: بطلة العرض الحقيقية موجودة معانا هنا في القاعة.

ثم أكمل وهو ينتقل بعينيه بين الحضور قائلًا:

ـ وممكن أي حد فيكوا يكون مكانها في يوم الأيام.

واختفى مسرعًا خلف ستائر المسرح المخملية..

*****

موجودة؟.. موجودة..

و..

مش عارفة إنها موجودة..

ي الطفلة المولودة..

مش حاسة بأي مشاعر..

مشهد مش محتاج شاعر..

علشان يتشاف – يتحَس..

متمثل من غير نص..

أبطال العرض بيحكوا..

كل الحكايات السابقة..

كل اللحظات الفارقة..

أوقات تتخلق الذكرى..

من آخر نقطة يأس.

اختفت بقعة الضوء مع اختفاء (آدم)، وسبح المسرح في ظلام لبضعة ثوان..

ضوء أصفر خافت بدأ يظهر حينما بدأت الستائر تتنحى جانبًا ببطء، وقد تزامن ذلك مع موسيقى حالمة حزينة؛ بدأت بنغمات حانية للبيانو، ثم

تلاحمت معها أوتار الكامنجة في رقة بالغة أسرت نفوس الحاضرين وحبست أنفاسهم..

اختفى الضوء الأصفر، وعادت بقعة الضوء البيضاء مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت مُسلطة على ذات اللون البنفسجي، التي كانت تقف في منتصف المسرح، تنظر أمامها مباشرة، وحينما بدأ صوت الموسيقى في الخفوت بدأت هي في الحديث قائلةً بصوت خرج في البداية مضطربًا:

ـ تخيل ممكن تحس بإيه وانت عارف إنك ممكن تنسى أهم وآخر سنين في حياتك؟.. هتنساهم وهتنسى معاهم كل حاجة؛ شلة أصحابك.. أجمل لحظات نجاحك في شغلك.. حُب مش هيتكرر مع إنه مبقاش موجود.. ضحكة خلِتَك تدَمَّع.. ووجع حسيت في لحظة إنه أكبر من إنه يتنسي.. هتنسى كل ذكرياتك.. ثم أكملت بصوت مبحوح:

ـ هتنسى نفسك!!.

ظهرت بقعة ضوء بيضاء ثانية أقصى يمين المسرح؛ فتحولت كل العيون إلى ذات اللون الأبيض التي كانت تقف في بؤرة الضوء، وأكملت قائلة في حزن واضح:

ـ تخيل ممكن تحس بإيه وانت قاعد مع أقرب ناس ليك في الدنيا.. بيحكوا في ذكريات المفروض إنك جزء منها، وبيكملوا لبعض حكايات انت عشتها معاهم.. بس كأنك بتسمعها لأول مرة.. تخيل لما كل ذكرياتك تتحول لمجرد صور بتثبت بس إنك كنت موجود وقتها!!.

تحولت عيون الحاضرين مع بقعة الضوء الثالثة التي ظهرت بين البقعتين السابقتين، والتي كانت تقف في وسطها ذات اللون الأخضر، وهي تقول

بهدوء أليم:

ـ بص لحد بتحبه أوي، أيًا كان: حبيب، أخ، أو صديق.. وتخيل ممكن تحس بإيه لو في يوم صحي وشفت في عينيه نظرة؛ إنه مش عارفك كويس.. إنه ناسيك وناسي اللي بينكو غصب عنه، وإنه مكسوف إنه بيسلم عليك عادي، وهو المفروض ياخدك في حضنه..

أضاء الجانب الأيسر من المسرح، وظهرت ذات اللون الأسود؛ حيث قالت في تأثر:

ـ إحساس مخيف إن أقرب حد ليك ينسى كل اللي مريت بيه معاه.. الذكرى مُهمة، مهما كانت مليانة أوجاع..

ثم أكملت وهي تسير ناحية إطار خشبي كبير في يسار المسرح، وتقف خلفه كأنها صورة في أحد البراويز:

ـ علشان كدا أبطال حكايتنا قرروا يجمعوا أجزاء الصورة من تاني قرروا يحكوا لصاحبتهم كل اللي ممكن تنساه..

تبعتها ذات اللون الأخضر، ووقفت إلى جوارها خلف الإطار قائلةً:

ـ يحكوه بلسانهم، بإحساسهم، قرروا بكل شجاعة إنهم يمروا بألم تجاربهم تاني قدامنا وقدامكوا..

أكملت ذات اللون البنفسجي بعد أن انضمت إليهن:

ـ قرروا يتكلموا عن الحتة اللي جوا كل واحد فينا، اللي محدش بيدخلها غير نفسه، يتعرُّوا ويحكوا أدق تفاصيل معاناتهم..

أظلم المسرح تمامًا، وعادت بقعة ضوء وحيدة؛ مسلطة على الإطار الخشبي، بعد أن اكتملت الصورة بوجود ذات اللون الأبيض، والتي قالت بعد أن

تنهدت في حنين:

ـ هي مش هتفتكر.. بس أكيد صدقهم هيوصل لقلبها، أكيد إحساسهم هيفرق معاها، ويقلل من غربتها، ويديها أمل إنها ممكن تبدأ من جديد، وهما برضو معاها.

صفق الجمهور بقوة حينما أخرجت ذات اللون الأبيض هاتفها المحمول من إحدى جيوب بنطالها، ثم مدت يديها به بعيدًا وهي توجه عدسة الهاتف نحوهن، وقد ابتسمن ونظرن ناحية الهاتف ليلتقطن صورة بالوضع الـ (سيلفي)..

أضاء المسرح بأكمله، وظهرت تفاصيله.. كانت خلفية المسرح عبارة عن لوحة كبيرة، مرسوم عليها عرائس متحركة (ماريونيت) ورقم 31 مُكرر بضعة مرات على طول الخلفية، وفي منتصف المسرح كانت تستقر مائدة حولها أربعة مقاعد.

ذهبن إلى منتصف المسرح، ووقفن إلى جوار بعضهن مواجهين الجمهور، حينما قالت ذات اللون الأخضر:

ـ البداية.. أصعب جزء في الحكاية.. ولما سألناهم عن البداية؛ قالوا لها ابدئي انتِ.. ابدئي باليوم اللي خايفة تنسيه..

نظروا ثلاثتهم إلى ذات اللون الأسود التي تقدمت خطوة إلى الأمام، وأكملت في حنين:

ـ بصت لهم وابتسمت، ورجعت بالذكريات تلت سنين.. رجعت لأهم يوم لازم تفتكره، وبدأت بيه..

*****

البداية..
أصعب جزء في الحكاية

(1)

في ظلام حالك لا تقطعه سوى تلك الإضاءة الموجودة في قاع حوض السباحة، جلسن في دائرة يلعبن الورق في حديقة إحدى القرى السياحية بمدينة شرم الشيخ..

أصوات ضحكاتهن تتعالى غير مبالين بأي شيء من حولهن، لا الظلام، ولا أمن الفندق الذي أغلق جميع إضاءة الحديقة، ولا أصوات ضحكاتهن التي كانت تخترق سكون الليل كالرصاص حينما يخترق لوح زجاجي كأنهن جئن من كوكب آخر فقط ليلعبن تلك اللعبة..

لم يكنَّ يبالين بشيء سوى لعبتهن، والتي أسفرت عن نوبة ضحك متواصل، وكل واحدة منهن تحاول تجنب الورقة الملعونة، فقد كنَّ يلعبن (الشايب)..

كان يجلس في هدوء في شرفة حجرته التي تطل على الحديقة، وحيدًا لا يصاحبه سوى دخان سيجارته التي كانت تعلن أنها ستتركه قريبًا.. يتابعهن بتلذذ وهو يبتسم أحيانًا لتعليقاتهن الطريفة وقفشاتهن المضحكة.. أربع فتيات يجلسن القرفصاء على شكل نصف دائرة بالقرب من حوض السباحة.. تفصله عنهن بضعة أمتار من العشب الأخضر، ولكن ولانشغالهن الشديد بلعبتهم لم يلاحظن وجوده، على الرغم من إضاءة الشرفة الواضحة، أو ربما لاحظنه ولكنهن تجاهلوه عن عمد..

كانوا كأنهن يتبارين فيمن ستطلق أعلى وأقوى ضحكة، إلا واحدة، والتي كانت تحثهن على خفض صوتهن قليلًا، لكنها ما تلبث أن تنخرط معهن في الضحك دون حتى أن تُكمل جملتها..

لم يكن يميز ملامحهن جيدًا؛ فضعف الإضاءة مع بعدهن النسبي عنه جعلاه لا يستطيع أن يتبين ملامحهن إلا أنه استطاع أن يميز بعضهن.. فتلك التي تحثهم على خفض أصوات ضحكاتهن هي الوحيدة المحجبة بينهن، وتلك التي تجلس إلى جوارها تضحك فقط، ولا تشترك في الحديث إلا قليلًا، ولكن أميزهن بالنسبة إليه كانت تلك الفتاة ذات الشعر المجعد، كثيرة الحركة والتلويح بكلتي يديها، أما الرابعة فكانت تعطيه ظهرها فلم يرى منها سوى شعر معقوص خلف رأسها بإهمال..

أفاق من أفكاره على صوت صياحهن الممزوج بضحكات عالية؛ ليكتشف أن صاحبة الشعر المجعد هي الخاسرة، فقد تبقت معها ورقة (الشايب)..

تابعهن جيدًا في فضول، فقد حانت فقرة إصدار الأحكام وتنفيذها، وهو قانون معروف في تلك اللعبة.. كانت صاحبة الشعر المجعد تريد أن تلغي فكرة إصدار الأحكام، إلا أنهن رفضن جميعًا، وأصروا على إصدار حكم وتنفيذه، حتى إن المحجبة قالت في شماتة وهي تضحك:

ـ مش انتي اللي كنتي مصرة على اللعب بأحكام.. شيلي بقى.

وافقوها جميعًا بهمهمات غير مفهومة، حتى رفعت الفتاة ذات الشعر المعقوص كلتي يديها؛ علامة أن يصمتوا ثم قالت في زهو بصوت مسموع:

ـ أنا الكينج.. يبقى أنا اللي أحكم!

صفقن في حين نظرت إليها ذات الشعر المجعد بابتسامة خبيثة، وهي تغمز بإحدى عينيها قائلة:

ـ ماشي يا (نيرة).. بس افتكري إن كله سلف ودين.

ضحكن في سعادة، بينما وقفت (نيرة)، وأخذت تنظر حولها في اهتمام وتركيز، وهي تعيد تنسيق شعرها وتعتصر ذهنها لإصدار حكم قوي، حينما وقعت عيناها على ذلك الجالس في الشرفة..

أخبره حدسه أن الحكم له علاقه به، وتأكد حينما مالت عليهن وأخبرتهن شيئًا ما بصوت خفيض، فشهقن جميعًا، وضحكن غير مصدقين، وما هي إلا ثوانٍ حتى رأى الفتاة ذات الشعر المجعد تقترب منه في خطوات ثابتة، ولكن على استحياء شديد، واضعة كلتي يديها في جيوب بنطالها القصي،، تداعب العُشب بقدميها الحافيتين، ربما لتزيل عن نفسها توتر الموقف..

لم يتحرك قيد أنملة، كان يجلس كصقر يدرس فريسته، ومع كل خطوة منها كانت ملامحها الجسدية والشكلية تتضح له أكثر..

خطوات امرأة تثق في نفسها على الرغم من توترها الواضح.. جسد منحوت؛ ليست بالنحيفة، ولا بالبدينة، ولكنها ممتلئة قليلًا في بعض من مناطق جسدها، وربما كان ذلك ما يعطي لجسدها جاذبية قوية..

كانت في طريقها القصير إليه تنظر إلى الأرض، وهي تفكر في ذلك الرجل الذي ظل يراقبهن منذ بداية جلستهن دون ملل، ودون أن يصدر حركة واحدة، ولكن الغريب أنه لم يحاول إخفاء وجوده، بل على العكس، كان يجلس في إضاءة الشرفة بكل ثقة..

وصلت عند سور الشرفة، وهو لا يزال يرصدها بعينيه، حينما رفعت رأسها إليه فجأه، ودون تردد، وهي تلوح بإحدى يديها؛ علامة إلقاء التحية، وتقول بابتسامة عريضة:

ـ صباح الخير..

لم يجيبها سوى بإيماءة من رأسه، وابتسامة خفيفة، فقد كان مشغولًا بتفقد تلك الغمازة الوحيدة المميزة في وجنتها اليسرى، والتي تعلن عن نفسها بوضوح شديد مع أبسط ابتسامة لصاحبتها..

تنحنحت ثم قالت بنفس الابتسامة:

ـ ممكن سيجارة؟

قالتها هكذا دون حتى أن تحاول تبرير طلبها الغريب، فهي تعرف أنه يتابعهن منذ البداية، ولا يحتاج إلى شرح أو مبررات..

اتسعت ابتسامته من جرأتها، وقال وهو يخرج سيجارة من علبة سجائره:

ـ أكيييد..

(هذا الرجل مغرور) هكذا كانت تفكر وهو يقترب منها في هدوء واتزان..

اقترب منها حتى لم يعد يفصلهما سوى سور الشرفة القصير، وأخذ يتطلع إلى عينيها مباشرة بطريقة وتَّرتها وهو يمد يده إليها بالسيجارة.

(هذا الرجل جذاب جدًا) هكذا كانت تفكر وهو يخترقها بنظراته، حينما أخذت منه السيجارة، وهي تتمتم بعبارات شُكر غير مفهومة..

مدَّ يده في جيبه، وأخرج القداحة ليشعل لها السيجارة، ولكنها قالت وهي تهرب بعينيها من نظراته مشيرة إلى صديقاتها:

ـ الحُكم إني أولعها هناك..

خرجت منه ضحكة خافتة، ثم مد يده إليها بالقداحة، فأخذتها منه قائلة:

ـ ميرسي أوي.. عن إذنك.

ثم استدارت وتحركت مبتعدة عنه بخطى سريعة، وابتسامة خبيثة قد احتلت وجهها بأكمله؛ لقد كذبت عليه حينما قالت له إن الحكم أن تشعل السيجارة

وسط صديقاتها.. هي فقط أرادت أن تخلق فرصة أخرى للحوار مع هذا الوسيم.. كانت تشعر بعينيه تخترقان ظهرها، ولكنها أكملت طريقها بخطوات حاولت أن تبدو واثقة، وحينما وصلت إلى صديقاتها،جلست وهي تنظر إليهن بزهو، ثم أشعلت السيجارة، ومالت إلى الخلف متكأة بإحدى مرفقيها على الأرض، واضعة قدمًا فوق الأخرى، وقالت وهي تنفث دخان سيجارتها:

ـ وكمان بالنعناع.. حاجة فُل..

ضحكن جميعًا وهم ينعتونها بـ(المجنونة)، حينما مدت يدها بالسيجارة إلى إحداهن قائلة:

ـ (كاترين) خانو.. بنمسِّي.

أمسكت (كاترين) بالسيجارة، وأخذت منها نفسًا قصيرًا؛ ثم أبعدتها عنها في ضيق وهي تنفث دخانها وتقول:

ـ عمري ما حبيتها.. ثم مدت يدها إلى صديقتها المحجبة قائلة:

ـ تجربي يا (مريم)؟

ابتعدت عنها (مريم) في سرعة وهي تقول في استياء:

ـ اتجننتي واللا إيه؟

تعالت ضحكاتهن مرة أخرى من رد فعل (مريم)، ولكن هذه المرة قطعها صوت رنين هاتف (نيرة) والتي ما إن رأت اسم المتصل حتى عقدت حاجبيها في استغراب، ثم نظرت إليهن وقالت وهي تهم بالوقوف:

ـ هزرنا كتير.. وضحكنا كتير.. وقت النكد بقى..

عرفوا أن المتصل هو (علي) خطيبها، فالْتَوَت ملامحهن جميعًا؛ علامة على الضيق حينما ابتعدت هي عنهن بضع خطوات، وجلست على ذلك المقعد، وقد فكرت في البداية ألا تجيبه، ولكنها تراجعت، فبالتأكيد يعرف أنها مستيقظة من الــ(واتس آب)؛ لذلك أخذت نفسًا عميقًا كأنها على وشك إلقاء نفسها في أعماق المياه، وما إن وضعت الهاتف على أذنها حتى تغيرت ملامحها وهي تجيب بهدوء:

ـ حبيبي إيه اللي مصحيه لحد دلوقتي؟

أجابها بصوت حاول أن يكون باردًا:

ـ وهو انتِ كنتي سألتي علشان تعرفي؟

ـ أنا فاكراك نايم..

ـ بتعملوا إيه؟

ـ ولا حاجة؛ قاعدين نتكلم.. رغي بنات يعني..

تبعت جملتها ضحكات عالية؛ أطلقتها صديقاتها، فوقفت فجأة وهي تشير إليهن بيدها أن يصمتن حينما قال لها بتهكم:

ـ واضح..

أخذت نفسًا عميقًا، وحاولت أن تجيبه بهدوء.. لا تريد أن تتحول المكالمة إلى مشاجرة كعادتهما مؤخرًا.. أو بمعنى أصح؛ لا تريده أن ينجح في أن يستفزها ويضايقها. ابتعدت قدر الإمكان عن صديقاتها، وتابعت معه الحديث..

كانت (كاترين) تتابعها بعينيها وهى تشعر بداخلها بقدر من الغيرة جعلها تُمسك بهاتفها المحمول لتتأكد للمره العشرون أن زوجها لم يتصل بها.. تعرف جيدًا أن (علي) مُتعب، ويضيق الخناق على (نيرة) بدرجة تجعل الأخيرة في

ضيق وعصبية مستمرين، ولكن أليس ذلك أفضل من أن يهملها تمامًا مثلما يفعل زوجها، والذي لم يتصل بها منذ يومين، ولو حتى لمجرد الاطمئنان على ابنهما؟

أخرجتها من أفكارها (صبا) التي قالت في ضيق وهي تلعب بالقداحة بعد أن لمحته وهو يغلق إضاءة الشرفة ويدلف إلى داخل الحجرة:

ـ أنا زهقانة.. ما تيجوا نطلع السفاري اللي (أيمن) قال لنا عليها الصبح..

ثم أكملت وهي تنظر في ساعة هاتفها المحمول:

ـ الساعة لسة اتنين ونصف، وهما هيتحركوا على أربعة، وهو قال لي فيه أماكن.. يعني نلحقهم..

أجابتها (مريم) وهي تستلقي على ظهرها:

ـ معنديش مانع..

نظرت (صَبا) إلى (كاترين) منتظرة رأيها، فأجابت الأخيرة:

ـ أوكيه.. كلميه على ما أقوم أصحي ماما وأقولها..

نظرت إليها (صَبا) في ضيق؛ فـــ(كاترين) طفلة كبيرة متعلقة بأمها بشكل مبالغ فيه، ولا تفعل أي شئ قبل أن تخبر أمها، بل وتحصل على موافقتها..

اعترضت (مريم) قائلة وهي تعتدل في جلستها:

ـ ولازمته إيه؟ هتصحي أمك يعني أمي هتصحى، يعنى ممكن تقلب لنا الطلعة كلها..

نظرت إليهما (كاترين) في حيرة، فسألتها (صَبا) في صياح مازح وهي تقرص كلتي وجنتيها:

ـ هو انتي اتجوزتي لييييييه؟

ـ لو كانت عرفتنا قبل ما تتجوز مكانتش عملتها..
قالتها (نيرة) في مزاح، وهي تقترب منهن محاولة أن تبدو طبيعية بعد أن أنهت محادثتها الهاتفية مع (علي)..
التفتت إليها (صَبا) وقالت لها مباشرة وهي تقف:
ـ تطلعي سفاري؟
أجابتها (نيرة) دون تردد:
ـ ياللا بينا..
ـ حبيب قلبي.. ما تجيبي بوسة..
قالتها (صَبا) ضاحكة وهي تنظر إلى (كاترين) قائلة:
ـ شايفة الدماغ المتكلفة؟ نفضت للنكد اللي لسة قافلة معاه، ورشقت في الهيصة على طوول.. ياللا علشان نحضر نفسنا على ما أكلم (أيمن)..
ذهبن إلى غرفهن.. (كاترين) مع (نيرة) في غرفة، و (صبا) مع (مريم) في غرفة أخرى..
كانت (نيرة) ترتدي ملابسها وهي شاردة.. تقوم بحركات آلية، بينما عقلها يعصف بالأفكار..
تحب (علي).. تحبه لدرجة قررت أن تتحمل معها شخصيته المتعبة وعِناده وشكه..
تحبه لدرجة تجعلها تتحمل غيابه المفاجئ وحضوره المفاجئ.. تتحمل غيرته وتسامح في كذبه، تحبه ولكن هذا الرجل يعطيها في كل يوم سببًا لتتوقف عن ذلك..
زفرت في ضيق حينما وصلت بتفكيرها إلى تلك النقطة.. حاولت أن تلهي

نفسها بأي شيء؛ فأمسكت بهاتفها المحمول، ولكنها قررت أن تغلقه نهائيًا حتى لا يُكمل (علي) لاحقًا (كورس النكد) كما كانت تطلق عليه، ثم أخذت تنظم أغراضها في حقيبتها، وترتب الغرفة في رتابة وملل، منتظرة خروج (كاترين) من الحمام ليذهبوا سويًا إلى مكان التجمُع..

وعلى العكس تمامًا كانت (صبا) قد انتهت من ارتداء ملابسها في عجلة وقررت أن تسبق (مريم) التي كانت لا تزال حائرة فيما سترتدي، فهي لم تحضر معها أي ملابس تصلح لمثل هذه الرحلة المفاجئة..

عقصت (صبا) شعرها في إهمال وهي تستعد للذهاب، حينما وقفت إلى جوار (مريم) الحائرة وهي تقول لها في غيظ:

ـ خدي أي بنطلون من عندي.. هتفقعيني.. حد ييجي شرم من غير بنطلون؟

ثم رحلت عنها مسرعة.. استغربت (مريم) من استعجال (صبا) ولكنها عادت لحيرتها سريعًا فيما سترتدي.

(دا اسمه هبل).. هكذا قالت (صبا) لنفسها وهي تقف في نفس المكان الذي كُنَّ يلعبن فيه الورق منذ قليل، تقف بالقرب من حافة حوض السباحة مُعطية ظهرها إلى شرفته التي لمحتها لا تزال مظلمة وإحدى يديها في جيبها تتحسس القداحة في توتر..

ماذا تنتظر؟ هل تعتقد أنه سيأتى مثلًا؟ في الأغلب هو الآن يغط في نوم عميق.. ولماذا تنتظر مجيئه؟ بالتأكيد لتعطيه قداحته.. ضحكت من مبررها الواهي وهي تفكر في أن هذا الرجل جاذبيته مُفرطة..

كانت تعيد في رأسها طريقة نظراته إليها، وتفكر أنه لو كان ينظر إلى جميع النساء بتلك الطريقة الساحرة فبالتأكيد هي الآن في مأزق..

ـ ممكن ولاعة؟
انتزعها ذلك الصوت من أفكارها؛ فانتفضت وهي تنظر خلفها في حدة، وما إن رأته حتى تسمرت في مكانها، وأطبقت دون وعي بيدها على القداحة..
تجمدت ملامحها لوهلة وهي تنظر إليه، ثم اتسعت ابتسامتها بطريقة أخجلتها، فاحمرت وجنتاها وقد زادت غمازتها اليسرى روعة..
وقف إلى جوارها في ود، وسألها بابتسامة بعثرتها:
ـ فين باقي العصابة؟
هذا الرجل خطر على دقات قلبها.. أجابته وهي تنظر حولها متحاشية النظر إليه:
ـ نازلين دلوقتي.. طالعين سفاري..
نسيا أمر القداحة تمامًا واسترسلوا في حديث مرح.. لا تعرفه إلا منذ أقل من ساعة، ولا تعرف عنه أي شيء حتى إنها لا تعرف اسمه، لا تعرف شيئًا سوى أنها تشعر بسعادة غير مبررة لمجرد وقوفه بالقرب منها.. ليس من عادتها التحدث إلى غرباء، ولكنه ليس منهم.. هكذا تشعر وهما يتحدثان بهدوء وبساطة.
لمحتهم (مريم) من خلف زجاج نافذة الحجرة، فأخذت تتطلع إليهم باهتمام، وقد نسيت تمامًا أمر ملابسها التي تضايقها بشدة، فهي لم ترتدِ البنطال منذ كانت في المرحلة الإعدادية، وتشعر الآن أنها عارية، وكل تفاصيل جسدها مفصلة..
أخذت تتطلع إليهما، وبداخلها تلك الأمنية التي تتجدد كلما تجتمع بصديقاتها.. كم تمنت أن تصبح مثلهن؛ اجتماعية منطلقة مجنونة، تفعل ما

تشعر به دون قيود من داخلها.. كم تمنت أن تكون في مرح (نيرة) الدائم، وحيوية (صَبا) وانطلاقها، حتى (كاترين) أقلهم مخاطرة، إلا أنها كان لديها ذلك القدر من الاندفاع لفعل أشياء كثيرة، حتى لو كانت لمجرد التجربة..

كم تمنت أن يكون لديها الجرأة في أن تتحدث إلى شخص لا تعرفه -مثلما تفعل (صبا) الآن- دون ذلك الخوف والحرص اللذان يلاحقانها في كل شيء..

أخرجها من تفكيرها اتصال (نيرة) لتخبرها أنهما جاهزتان للتحرك.. فحملت حقيبتها وتطلعت إلى نفسها في المرآه لتتأكد أن حجابها بالكاد يُظهر حاجبيها، ثم ذهبت لملاقاتهما..

أما (صبا) فكانت تقف بصحبته في عالم آخر، لم تفارقها ابتسامتها منذ وقف إلى جوارها.. كم تمنت أن تقرر صديقاتها إلغاء فكرة السفاري؛ لتبقى إلى جواره بعض الوقت، ولكن ضاعت أمنيتها حينما سمعت أصواتهن يأتين من خلفها.. التفتت إليهن وهي تعرف مسبقًا ردود أفعالهن بعد أن رأوها تتحدث معه. أشارت إليهن بيدها وهي تبتسم ابتسامة واسعة، فقابلها حاجب (نيرة) المرفوع في خبث، فلم تستطع كتم ضحكتها..

عادت إليه وعلى وجهها نظرة أنه قد حان موعد الرحيل، حينما أخرج سيجارة وقال:

ـ ممكن ولاعة؟

أعطته القداحة في أسى، فكم تمنت أن ينساها لتحتفظ بذكرى تلك الدقائق الرائعة..

مررن إلى جوارها دون أن يتوقفن، فقط قالت لها (مريم):

ـ هنستناكي في الريسبشن.. ثم أكملن طريقهن.

تلك الفتيات رائعات.. هكذا كانت تفكر وهي تعود إليه بنظرتها حينما رأته يمد يده إليها مرة أخرى بالقداحة.. نظرت إليه باستغراب وهي تأخذها منه؛ فقال وهو يغمز لها بإحدى عينيه:

ـ هاخدها منك لما أشوفك تاني..

ـ بس إحنا راجعين القاهرة النهاردا..

نفث دخان سيجارته في بطء وهو ينظر إلى عينيها مباشرة قائلًا في شبه يقين:

ـ أكيد هشوفك تاني..

أومأت برأسها دون اعتراض، ثم رحلت في هدوء دون وداع.. ولماذا ستودعه وهي على يقين هي الأخرى أن الأمر لم ينتهِ عند ذلك الحد، إحساسها يؤكد لها ذلك، ولطالما أعطت لإحساسها مقاليد الأمور..

جنون؟ ما أجمل الأشياء التي تبدأ بجنون.. إنها أشياء لا تنتهي روعتها أبدًا مهما مر عليها الوقت.. ستراه مرة أخرى؟ ربما ستراه.. وربما لا.. يكفيها أنه مر بحياتها ليلقي لقائه بحجر يحرك مياه أيامها الراكدة..

هكذا تعمقت في أفكارها كي تمنع نفسها بصعوبة أن تلتفت وتنظر إليه مرة أخرى.. هي لا تزال تتشبث بالقداحة كأنها البوصلة التي ستجمعهم سويًا مرة أخرى.

*****

الراوي يكلم نفسه..
ويودِّع نفسه بنفسه..
وبتملى عيونه دموعها..
لما بيحكيلها حياتها..
تتساوى ساعات، غلاوتها..
أفراحها زي وجعها..
بيخاف من يوم ما يبطَّل..
يتقمَّص دور الراوي..
تتقال له حكاية حكاها..
عن دمعة حزينة بكاها..
تتبكي علشانه وهو..
ولا حتى كأنه سِمعها..
وبتملى الدَمعة عيونه..
وتلاقي عيونه بتضحك..
أحيانًا (دمعة) بتبقي..
فوق طاقة الصبر في قلبك..
تضحك.. على عينك.. تنزل..
والدَّمعة في يوم ما بتنزل..
مبتقدرش ترجعها..

كانوا أربعتهن يقفن خلف الإطار الخشبي حينما قالت ذات اللون الأسود:
ـ وعدت شهور كتير؛ حوالي سنة.. وكل حاجة ظاهريًا زي ما هي، مفيش جديد.. (صَبا) منتظرة تشوفه زي ما وعدها.. الغريبة إنه مكانش مجرد أمل أو إحساس هياخد وقته ويروح لحاله، بالعكس.. كان يقين إن حكايتها معاه لسة هتبدأ، بس محدش منهم كان مصدقها..
تبعتها ذات اللون الأخضر قائلة:
ـ و(مريم) فضلت زي ما هي، لا بتغلط ولا بتعمل حاجة صح، بتبص على الدنيا من بعيد، وعايشة بس في خيالها، وكل يوم بتبعد عن الدنيا أكتر من اليوم اللي قبله..
وأكملت ذات اللون البنفسجي بابتسامة مريرة:
ـ و(نيرة) عايشة تضحك.. مش فارقة بقى بتضحك على الناس علشان تبان قدامهم سعيدة وقوية، واللا بتضحك على نفسها إنها بتحب (علي) وهتكمل معاه..
ثم قالت ذات اللون الأبيض:
ـ أما (كاترين) كانت عايشة...
قاطعتها ذات اللون البنفسجي في حدة:
ـ لأ مكانتش عايشة.. كانت بتدبل، مش هي بس؛ كل واحدة فيهم كانت بتتغير من غير ما تحس، كانوا بيتغيروا من جواهم حتة حتة..
خرجن جميعًا من خلف الإطار الخشبي، وانتشروا على المسرح؛ بينما قالت ذات اللون الأبيض في حزن:

ـ لحد ما جِه اليوم اللي بيقلب كل حاجة.. اليوم اللي بنتفاجئ فيه إننا بقينا حد تاني، اليوم اللي مبنرجعش بعده أبدًا زي الأول.

*****

(2)

كانت (كاترين) تقف في خشوع أمام صورة (العذراء) في الكنيسة المُعلقة، كأنها تقف أمام مريم العذراء شخصيًا.. ينزلق حجاب رأسها غير المثبت؛ فتعدل من وضعه في سرعة، وتعود لتلاوة صلواتها واستئناف دعائها في خشوع..

انتهت منذ دقائق من عملها التطوعي في الكنيسة والذي تقوم فيه كل أربعاء وقت الظهيرة بإعطاء دروس دين لأطفال الكنيسة، وتعليمهم الرسم، والأشغال اليدوية، وتصنيع العرائس المتحركة، والتي كانت هي سبب معرفتها بـــ(صَبا) منذ بضع سنوات..

انتهت وجاءت مسرعة إلى حبيبتها وصديقتها (مريم العذراء) لتشكو لها همها، وتخبرها كل ما لا تستطيع البوح به إلا لنفسها..

تختلط أجراس الكنيسة مع أصوات الأطفال اللذين يلعبون في الساحة، وأصوات زائرين الكنيسة الذين لا ينتهون أبدًا؛ فهذه الكنيسة معروفة بكثرة زائريها من كل الأديان والأعمار، ولكن كل ذلك لا يؤثر في خشوعها وتركيزها، فهى دائمًا حينما تكون بصحبتها تنفصل عن العالم بأكمله..

تنظر إلى كم الشموع المشتعلة، وهى تفكر في كل هذه الصلوات والأمنيات، ثم تعود لتنظر إلى (العذراء) وهي تحدثها في شفقة، بينما تقوم بإشعال شمعة:

ـ حِملِك تقيل يا عذرا.. سامحيني هزوِّد حملك.. يارب مد يدك واشفي أمي.. يا عذرا مدي إيدك قبل الدكتور..

قالتها في تضرع مختنق بدموع حارقة، فقلبها يؤلمها من شدة خوفها على أمها، ومجرد احتمال فقدانها يجعلها تتمنى الموت..

أمها صديقتها الأولى، والسبب الوحيد الذي يجعلها تتحمل تلك المهزلة المُسماة حياة، والوتد الذي تتمسك به كي لا تذوب وسط المياه الزرقاء.. كي لا تُسلم نفسها لدوامة اليأس وتغرق.. طاقة الإصرار التي تستمد منها قوتها لكي تكمل حياتها مع (روماني) زوجها..

شعرت بثقل في قلبها وقدميها بمجرد تذكره، فاتجهت إلى أحد مقاعد الكنيسة، وجلست وقد مالت إلى الأمام واضعة وجهها بين كفيها، فانسابت دموعها في صمت وهي تحاول أن تشيح عن رأسها ذكرى ليلة البارحة، حينما قرر (روماني) أن يحتفل بذكرى ميلادها في الفراش على طريقته الخاصة، تلك الطريقة الوحيدة التي لا يمتلك سواها.. تلك الطريقة المقززة والتي جعلتها تكرهه وتكره حياتها معه، بل وتكره يوم ميلادها الذي لم يتذكره أحد من صديقاتها، لم يتذكره سواه، وليته ما فعل..

منذ البداية، منذ تقدم لخطبتها، لم تكن تحبه، ولم تكن تكرهه، كانت فقط تتقبله.. ربما وجدت فيه ملاذًا من كل علاقاتها العاطفية الفاشلة.. دخلت به مع نفسها في تحدٍ؛ أن الحب ليس كل شيء، فخسرت التحدي وخسرت نفسها..

عادت برأسها إلى الخلف؛ كأنها تنتشل نفسها من تلك الليلة، والتي لا يزال أثر آلامها يصرخ في جسدها حينما اصطدمت بعينيه فجأة، فارتعشت أطرافها من طريقة نظرته إليها.. نظرت حولها في توتر حينما لاحظت خلو المكان إلا منها ومنه..

هل استغرقت في أحزانها لتلك الدرجة التي لم تشعر معها برحيل الجميع؟
ينظر إليها بعمق وتركيز؛ كأنه يتابع ما يدور في رأسها لدرجة شعرت معها أنه يشاهد تفاصيل ليلة البارحة مع زوجها..
ارتجف جسدها حينما وصلت بتفكيرها إلى تلك النقطة؛ فأحكمت غلق معطفها حول جسدها كأنها تنفي عن نفسها أحداث تلك الليلة..
حاولت أن تلهي نفسها بعيدًا عن أفكارها ونظراته، فنظرت في ساعتها لتجدها وقد قاربت على الثالثة.. يجب أن تستعد للرحيل، فقد اقترب موعد لقائها مع صديقاتها..
عادت لا إراديًا بعينيها إليه مرة، أخرى لتصطدم تلك المرة به هو شخصيًا، وبجسده الطويل، فقد كان يقف بالقرب منها، لا تفصلها عنه أكثر من خطوتين أو ثلاث.. كان ينظر إليها بابتسامة هادئة حانية، كأنه كان يربت عليها بتلك الابتسامة، وهو يمد يده إليها بمنديل ورقي..
عطره رائع مثل ابتسامته تمامًا، هكذا كانت تفكر وهي تنظر إليه دون أن تجيب يده الممدودة إليها حتى شعر بالإحراج، فوضع المنديل إلى جوارها على المقعد الذي كانت تجلس عليه، ودون كلمة واحدة ابتسم لها مرة أخيرة قبل أن يرحل تاركًا عطره يكمل حديثه الذي لم يبدأه هو.. كم تمنت أن تسمع صوته؟
التفتت لتتابعه بقلب علت دقاته على صوت أجراس الكنيسة.. كان يسير في خطوات واثقة ثابتة وهي تنظر إليه متمنية أن يعود، ولكنه اختفى دون أن يلتفت إليها مرة واحدة..

*****

(3)

صوت (أنغام) ينساب بنعومة بين جدران تلك الغرفة التي إن دخلتها تظن أنك قد عبرت إلى عالم آخر منفصل عن باقي غرف المنزل.. غرفة تخبر زائرها أن صاحبتها تحيا في عالم موازٍ قررت أن تصنعه لنفسها؛ ربما هربًا من عالم ترفضه ولا تستطيع أن تغير فيه شيئًا..

فالكتب موجودة في كل مكان، وعلى إحدى الحوائط لوحة بالحجم الطبيعي لامرأة ورجل يرقصان التانجو وهناك على حائط آخر تجد بعض العرائس المُتحركة معلقة إلى جوار بعضها البعض في سكون؛ كأنها تنتظر اللحظة المناسبة لتتحرك بحرية في المكان..

أما الصور الفوتوغرافية فهي في كل مكان، وعلى كل شيء، على المرآة والحائط وفوق الفراش وعلى الدولاب.. صور تحمل الكثير والكثير من الذكريات..

كانت (صَبا) تجلس في أقصى غرفتها إلى جوار النافذة مباشرة، في ذلك الركن الذي قررت منذ أن احترفت فن صناعة وتحريك العرائس المتحركة أن يكون بمثابة ورشتها الخاصة، ذلك الركن الذي يحتل أكثر من ثلث الغرفة والذي كان سببًا في معظم المشاجرات بينها وبين والدتها، والتي كانت ترى دائما إن هذا الركن هو سبب الفوضى المنتشرة في الغرفة باستمرار..

تجلس في ركنها المفضل، والذي لا تمل من الجلوس فيه لساعات طويلة، تدندن مع (أنغام)، بينما تضع اللمسات الأخيرة على إحدى العرائس وهي تبتسم، فاليوم سيقيمون احتفالًا مفاجئًا لــ(كاترين) للاحتفال بذكرى

ميلادها، بعد أن تعمدوا ثلاثتهم أن يظهرن لها أنهن قد نسين تاريخ ميلادها تمامًا.. وتلك العروسة هي هديتهن لها..

كم تعشق هذا الفن، وتعطيه كل ما تملك من مال ووقت وأفكار؛ فعرائس الماريونيت بالنسبة إليها حياة أخرى، تتمنى لو تحيا فيها إلى الأبد؛ لدرجة أنها تمنت في أوقات كثيرة أن تتحول إلى واحدة من بين تلك العرائس، فصناعة عرائسها هي الشيء الوحيد الذي كان يساعدها على تخطي ذلك الملل الذي تسبح فيه حياتها، أن تختلق وتُصنِّع كل فترة شخصية جديدة؛ تعطيها اسمًا، وملامح، وهويةً.. هو الشيء الوحيد الذي كان يوقف ساعة مللها قليلًا، لذلك ارتبطت جدًا بعرائسها، فهم أكثر من استطاعوا ملء ذلك الفراغ البشع الذي تحيا فيه على الرغم من انشغالها الدائم..

ألقت نظرة نهائية على العروسة، وقد اتسعت ابتسامتها، فالعروسة تشبه (كاترين) كثيرًا، بذلك الشعر القصير، والحاجبين الرفيعين، وتلك الشفاه الممتلئة، ونوعية الملابس، حتى ذلك الوشاح الذي تصر على ربطه حول عنقها صيفًا أو شتاءً؛ كأنها تعلن للجميع أنها على استعداد للانتحار في أي وقت..

حركت رقبتها يمينًا ويسارًا وهي تسند ظهرها إلى الخلف؛ بينما كانت تشعل سيجارتها الـــ(مارلبورو) بنكهة النعناع، ثم نظرت إلى القداحة في يدها نظرة طويلة؛ كأنها تسألها عن صاحبها متى ستراه؟ تتذكره كلما تشعل سيجارة، حتى إنها تدخن نفس نوع سجائره..

ترى متى ستراه؟ جميع صديقاتها يتهمنها بالجنون؛ ليس لأنها لا زالت تتذكره على الرغم من مرور ما يقرب من عام على لقائهم العابر، بل لأنها على يقين

أنها ستراه مرة أخرى، وأن لقائهما لم يكن مجرد صدفة، بل كان مجرد إعداد للقاء أعظم، وبروفة لأعظم حدث في حياتها.. فهذا الرجل قد خطفها منذ اللحظة الأولى.. إحساس مختلف لم يحتج إلى العديد من اللقاءات والأحاديث للوصول إليه.. فقط نظرة واحدة أدركت بعدها أنها لن تعود إلى سابق عهدها أبدًا..

انتزعها من أفكارها صوت فتح باب الغرفة، فانتفضت من مكانها، وكادت أن تلقى بالسيجارة من النافذة ولكنها تراجعت في آخر لحظة حينما اكتشفت أن الزائر هو (عاصم) أخيها، فزفرت في توتر وقالت له في ضيق:

ـ مش تخبط يا زفت؟

رد عليها مازحًا وهو يرفع يده كأنه سيضربها:

ـ يا بت اتلمي أنا أخوكي الكبير.. وبعدين أنا بقالي ساعة بخبط..

ضحكت وهي تبتعد برأسها في سعادة..

(عاصم) أيقونة المرح في حياتها، وعلى الرغم من أنه يكبرها بثلاث سنوات إلا أنهما كالتوأمين.. تجمعهما صداقة أكثر منها أُخوة؛ بل إنها تعتبره إله الأمان في حياتها، ووجوده هو الشيء الوحيد الذي طالما عوضها عن غياب أبيهما الدائم، والذي كان يعمل مراسلًا صحفيًا لإحدى الشبكات الإخبارية العالمية.

جلس إلى جوارها، وقال وهو يمسك بالقداحة ويشعل إحدى سجائرها:

ـ مش هتبطلي سجاير بقى؟

اتسعت ابتسامتها وهى تعود بظهرها إلى الخلف وتقول له:

ـ خليك في حالك..

أجابها وهو يغمز بإحدى عينيه مشيرا بالقداحة:

ـ طيب مش هتدينى الولاعة دى سوفنير؟

خطفت القداحة من يده، وقالت له في خجل:

ـ بعينك..

ـ طيب.. هقول لماما إنك بتشربي سجاير..

أجابته بمرح:

ـ طظ فيك..

ضحك عاليًا، ونظر إليها في حب نظرة قرأت فيها أنه يداري شيئًا ما، أو أن هناك شيئًا ما يريد أن يخبرها به ولكنه متردد، كان ذلك واضحًا لها بشدة من رجفة جانب عينيه.. تلك الرجفة التي لا يلاحظها أحد سواها..

أشاح بعينيه بعيدًا عنها، وقال لها مبتسمًا وهو يشير برأسه إلى العروسة الماريونيت الموضوعة على المائدة أمامها:

ـ كاترين؟.. حلوة أوي!.

إنه بالفعل يداري شيئًا قويًا.. تحفظه أكثر من نفسه، وخاصة أن رجفة جانب عينيه زادت بقوة ملحوظة لذلك ركزت نظرها عليه وقالت بمرح مخلوط بقلق:

ـ شكلك عامل مصيبة.. إرغي..

ابتسم وهو ينفس دخان سيجارته في ضيق دون أن ينظر إليها.. سحق عقب سيجارته في المطفأة وهو يفكر أنه سيفتقد تلك الفتاة حدَّ الألم، ثم وقف معطيًا ظهره إليها..متجهًا ناحية الباب.. لم تستوقفه أو تناديه لأنها تعرف مسبقًا بالتفصيل ماذا سيفعل الآن، سيخبرها ويختفي، هكذا هو حينما يعرف

أن ما سيخبرها به سيؤلمها، وقد زاد ذلك من خوفها، وبالفعل أمسك بمقبض الباب وقال في سرعة:

ـ سفارة كندا وافقت على الهجرة، والسفر خلال شهر..

ثم أغلق الباب في سرعة ورحل.. تجمدت ملامحها وظلت تنظر إلى الباب لعله يعود ويخبرها أنها مزحة، ولكنه لم يعد..

ألقى بقنبلته وتركها وحيدة بين الأدخنة..

*****

(4)

كانت (مريم) تجلس على مكتبها المكتظ بالملفات.. تنظر إلى شاشة الحاسوب في غضب؛ بينما تقوم ببعض الأعمال وهى تسابق الوقت لتنجز أكبر كم ممكن اليوم قبل ميعاد انصرافها، كي لا تضطر إلى المكوث بعد موعد انتهاء عملها الرسمي، فاليوم ذكرى ميلاد (كاترين)، ولا تستطيع أن تذهب متأخرة عن الميعاد المُتفق عليه، وإلا ستفشل المفاجأة التي أعددتها لها..

أمسكت برقبتها من الخلف في ألم ما لبث أن تحول إلى غضب حينما وقعت عينيها على إحدى زميلاتها في المكتب (حلا)، والتي كانت تضع في أذنيها سماعات هاتفها المحمول لكي تستطيع أن تتحدث وهي تقوم بطلاء أظافرها.. تلك المتملقة التافهة، بشعرها الأصفر وملابسها الفجَّة، لا تفعل شيئًا سوى التزين والتقرب من المديرين لكي تتهرب من الأعمال الموكلة إليها..

عادت (مريم) إلى ملفاتها، ولكنها ظلت تتابع (حلا) من خلف شاشة الكمبيوتر، وهي تنظر إليها بنظرة غيرة أقرب منها إلى نظرة غضب..

لا تربطها بزملائها في العمل أية علاقة أكثر من إلقاء التحية، فكلهم يعاملونها باستخفاف ولا مبالاة مثلما يعاملها مديرها، والذي يتعمد دائمًا توبيخها أمامهم.. كم تكره هذا الرجل، إنه..

قطع أفكارها صوت رنين الهاتف، فرفعت السماعة بيدها اليسرى، بينما ظلت تكتب على الكمبيوتر بيدها اليمنى، وقالت في آلية:

ـ سبوت للدعاية والإعلان..

جاءها صوت مديرها المقزز عبر الهاتف؛ كأنه كان يستمع إلي أفكارها، فاتصل ليوبخها عليها.. فقد أجابها في تهكم:

ـ هو انتِ مش مركزة للدرجة دي؟ مش عارفة تفرقي بين خطوط خدمة العملاء والخطوط الداخلية؟

كظمت غيظها بصعوبة وهي تجيبه:

ـ تحت أمرك يا فندم..

ـ تعاليلي حالًا..

ثم أغلق الخط دون كلمة أخرى..

ظلت لحظات ممسكة بالسماعة، تحاول السيطرة على غضبها؛ بينما تهتز كلتا قدميها في توتر وهي تفكر في أنه يجب أن تضع حدًا لأسلوب معاملته الفج معها..

وضعت السماعة في هدوء بعد أن استطاعت بقدر الإمكان السيطرة على غضبها، ثم وقفت استعداد للذهاب، وفي ذلك الرواق الطويل الذي يستقر في نهايته مكتب المدير كانت تتساءل بداخلها، ما هي طبيعة عملها بالتحديد؟

لقد تقدمت لوظيفة في قسم التسويق، ولكنها الآن تفعل كل شيء في الشركة بعيدًا عن ذلك القسم.. فهي تعمل في خدمة العملاء، وكمدخلة بيانات، وأحيانًا في شئون العاملين، وكل وظيفة لا يجدون لها موظفًا مختصًا بها..

هي تعرف لماذا يكرهها مديرها؛ فقد عملت بالشركة رغمًا عن أنفه، ففي اليوم الذي جاءت فيه لإجراء المقابلة الشخصية التبس علية الأمر، وظنها فتاة أخرى كانت تمت التوصية عليها لتعيينها من قِبل أحد معارفه، والحقيقة أنها قد فطنت إلى الأمر منذ البداية، ولكنها لم تلفت انتباههم، تركتهم يظنون أنها

هي الفتاة المرجوة، وحينما تداركوا الأمر كانت قد وقعت عقد العمل وانتهى الأمر، وحينما تحدث معها بخصوص ذلك الخطأ هاجت وماجت وهددته بأنها ستذهب بنسخة العقد التي معها، وتتقدم بشكوى ضد الشركة في الشؤون الاجتماعية..

لم يكن من طبعها خوض المعارك، ولا تعرف من أين جاءت بتلك الجرأة والقوة، ولكنها أصرت على التشبث بتلك الوظيفة، ورضيت بكل التنازلات، والتي كان منها تخفيض راتبها إلى النصف تقريبًا.. وعلى الرغم من أن الفتاة الأخرى -والتي هي (حلا) زميلتها في نفس المكتب- تم تعيينها، إلا أنه لم ينسَ أبدًا أنها تعمل دون رضاه..

كانت قد وصلت إلي نهاية الرواق أمام مكتبه مباشرة.. أخذت نفسًا عميقًا، ثم طرقت عدة طرقات على الباب، ودلفت إلى الغرفة مباشرة، وفي الداخل كان يجلس على رأس المكتب مديرها (أشرف عيسى) بنظارته الطبية، وبذته المستوردة، وعطره الذي يعبق كل مكان يستقر به ولو لثوانٍ.. كان رجلًا يشهد الجميع بأناقته ولكنها كانت أناقة ظاهرية فقط..

إلى جواره كان يقف مساعده وذراعه الأيمن (توفيق) ليمضي منه بعض الأوراق، والذي نظر إليها في لامبالاة وكأنها غير موجودة، بينما رفع (أشرف) رأسه، ودون كلمة واحدة أشار إليها أن تجلس أمامه..

جلست (مريم) في توتر وهي تتساءل عما يريده ذلك الكائن منها؟ ولم يتأخر الرد كثيرًا، فما هى إلا ثوانٍ معدودة حتى ألقى أمامها بملف، وقال دون أن يرفع عينيه إليها:

ـ (أيوب) أكبر مخرج إعلانات، ومصور فوتوغرافي محترف، عالمي.. الملف دا فيه كل المعلومات عنه وأهم أعماله.

أمسكت بالملف دون أن تتصفحه؛ بينما ظلت تنظر إلى (أشرف) الذي أكمل حديثه وهو يوقع آخر ورقه، ويعطي الملف لمساعده:

ـ فيه شركة أغذية كبيرة أوي، بنحاول نضمها لقائمة العملاء عندنا، من أهم شروطهم إن (أيوب) يكون مخرج الحملة.. ثم أكمل وهو يستند إلى ظهر مقعده:

ـ وهي دي مهمتك..

اتسعت عينا مساعده (توفيق) وهو ينظر إليه في دهشة؛ بينما ابتلعت (مريم) لعابها في صعوبة وهي تتساءل:

ـ إني أعرض عليه الموضوع؟

ـ لأ، إنك تقنعيه يوافق لأنه رافض..

همت أن ترد عليه إلا أنه أكمل قائلًا:

ـ دي آخر فرصة ليكي، لو نجحتي هنقلك قسم التسويق اللي نفسك تشتغلي فيه..

ـ ولو...؟

ـ يبقى تحضري عهدتك علشان تسلميها آخر الشهر.. ودا قرار نهائي..

اشتدت قبضتها على الملف في يدها، وحاولت جاهدة أن تكون تعبيرات وجهها محايدة، وأن تمنع نفسها من أن تلكم ذلك الأحمق في وجهه.. إنه مُصر على إيذائها.. يعرف أنها لا تمتلك أدنى خبرة فيكلفها بمهمة في منتهى الصعوبة لكي يتخلص منها..

قررت أن تتحلي أمامه بالهدوء حتى تفكر فيما ستفعل في تلك الورطة؛ لذلك وقفت مستعدة للذهاب وهي تقول في هدوء:

ـ حاضر يا فندم..

نظر في ساعته، ثم قال لها:

ـ معاكي ساعة تبصي فيها في الملف قبل ما تقابليه..

ساعة؟ تساءلت في داخلها باستنكار.. هل يعني أنها ستذهب لمقابلته اليوم؟ مستحيل.. إنها هي من سيحضر كعكة عيد ميلاد (كاترين)، ولو ذهبت في تلك المهمة اليوم ربما لن تستطيع مقابلتهن على الإطلاق، تشابكت أفكارها وهي تحاول أن تفلت من ذلك المأزق، فوجدت نفسها تقول:

ـ النهاردا صعب يا فندم، أنا مش مستعدة، وعندي معاد دكتور، خليها بكره.

نظر إليها (أشرف) من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، ثم أجابها في تهكم وهو يتطلع إلى معطفها الطويل وتنورتها الواسعة:

ـ مفيش مانع؛ أهو تغيري لبس المخبرين اللي انت لابساه..

صدمتها جملته، وخاصة حينما سمعت نحنحة (توفيق) وهو يحاول كتم ضحكته.. شعرت بألم في كرامتها من تعمُد هذا الرجل إهانتها، وكم تمنت أن تقذفه بمطفأة السجائر الموضوعة أمامه، أو تصفعه بكل ما أوتيت من قوة، أو على الأقل تبادله السخرية... ولكن أقصى ما أباحه لها ضعفها أن تبتلع إهانته؛ حيث قالت له دون أن تنظر إليه:

ـ عن إذنك..

ثم استدارت في خطوات مسرعة نحو الباب، وبداخلها سخط شديد على ضعفها، ولكن وقبل أن تغلق خلفها الباب تناهى إلى مسامعها صوت

(توفيق) وهو يسأل (أشرف) في استغراب:

ـ مش فاهمك يا فندم.. مش لاقي غير الآنسة حنفي تبعتها لــ(أيوب)؟

فأجابه (أشرف) بنبرة حملت الكثير من السخرية :

ـ أنا عارف (أيوب).. بيحب التُحف..

تألمت ملامحها وهي تغلق الباب.. إذن فاسمها الحركي في الشركة الآنسة (حنفي).. وهم يرونها تُحفة لالتزامها وملابسها الواسعة، وعدم انبساطها في الحديث مع أي رجل..

شعرت بإهانة شديدة لأنوثتها، وحاولت بصعوبة بالغة كتم دموعها..

ولكن لماذا تريد البكاء؟

ألم تقرر أن يكون مبدأها هو ألا تلتفت إطلاقًا لأولئك الذين يُقيِّمون الناس ظاهريًا؟ وألا يؤثرون فيها وفي طريقة حياتها؟

أليست مقتنعة بطريقة حياتها وتفكيرها، وكانت ترفض أية محاولة من صديقاتها في جعلها تنظر إلى الأمور من وجهة نظر أخرى؟..

رفعت رأسها في كبرياء وهي تجتاز الرواق الطويل في عدة خطوات غاضبة، وهي تقرر أنه حتمًا سيأتي اليوم الذي ترد لهم فيه الإهانة بعشر أمثالها.. ولكنها حينما وصلت إلى مكتبها ورأت (حلا) تغادر وهي لا تزال تتحدث في الهاتف، ببنطالها الضيق وتلك السُترة القصيرة جدًا، حتى شعرت بكره شديد تجاهم جميعًا.. تجاه أشرف وتوفيق وحلا والشركة ونفسها، وحتى ذلك الــــ(أيوب) الذي لا تعرف عنه شيئًا.. شعرت تجاهه بكره بشع جعلها تلقي بالملف في عنف، وترمي بنفسها فوق أقرب مقعد، وقد استسلمت لدموع صامتة.

(5)

تقف خلف زجاج نافذة مكتبها المُطلة على الشارع، تراقب في صمت تلك السحابة الكثيفة التي تتوسط السماء فتضفي على الجو كآبة مضاعفة، وهي تتشبث بكوب الشاي، تحاول أن تستمد منه الدفء، ولكن هيهات، فقد كانت البرودة بداخلها أقوى بكثير من أن تمحوها حرارة كوب شاي.. تلك البرودة التي استقرت بداخلها ولازمتها منذ وفاة أبيها، وعلى الرغم من أنه تركها منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا إلا أنها لا زالت تشعر بنفس الفراغ والوحدة؛ كأنه لم يمر على رحيله سوى بضعة أيام..

أبوها، رجل حياتها، والذي تركها تبحث عن الأمان والهدوء بعد رحيله، واللذان كان من المفترض أن تجدهما في (علي) أول رجل تعطيه قلبها، ولكن للأسف كان وجوده يزيد من اغترابها ووحدتها على عكس ما توقعت..

زاد ضيق (نيرة) حينما تذكرته، وتذكرت أنه مختفٍ منذ ما يقرب من أسبوع، مختفٍ تمامًا لا تعرف عنه شيئًا فهو لا يجيب على هاتفه، ولا على رسائل الــ(فيس بوك) أو الــ(واتس آب)، حتى والدته لا تعرف أين ذهب؟..

نظرت إلى خاتم خطبتها، ولأول مرة شعرت أنه طوقًا حديديًا يطوق رقبتها، ويزيد من اختناقها، فزفرت في ضيق وقد شعرت أنها سئمت كل شيء..

سئمت اختفائه المفاجئ وظهوره المفاجئ.. سئمت عدم تحمله لأي مسئولية.. سئمت معاملتة الجافة دون أي سبب، على الرغم من أنها تحاول إرضاءه بكل الطرق.. سئمت شكه المُستمر، وكذبه بسبب ودون سبب..

انتبهت من أفكارها على صوت فتح الباب، وحينما التفتت لترى زائرها

ضاعف ذلك من ضيقها، فقد كان زائرها (سامي) أحد مديري الشركة، وأحد أسخف الرجال في العالم، فهذا الرجل يلاحقها بلا ملل، ويتربص بها كذئب؛ لذلك عادت لتنظر إلى الخارج وهي تزفر في ضيق، ثم عدلت من شعرها، ووضعت قناع الجمود الذي تتعامل به معه دائمًا، ثم استدارت في هدوء لتجلس على مقعدها الجلدي الكبير، كأنما تحتمي به من نظراته السافرة..

جلس (سامي) على أحد المقاعد المواجهة لها، وقال بابتسامة لزجة:

ـ الجميل بردان واللا إيه؟

ـ خير يا أستاذ (سامي)؟

قالتها دون أن تنظر إليه، وهي تمسك بالقلم وتنهي بعض الأعمال أمامها؛ لتغلق أمامه أية فرصة لحواراته السخيفة..

ـ تقارير اجتماع المديرين خلصت؟

ـ هتكون بكرة على مكتب أستاذ (فهمي).. مديري..

ضغطت على حروف كلمة مديري؛ لتخبره أن وجوده ليس له مبرر، ولكنه لم يلتفت لتلميحها وسألها بصوت خافت:

ـ طيب مش هنخرج مع بعض بقى؟

زفرت في نفاذ صبر وهي تقول:

ـ هنخرج طبعًا..

ثم وقفت وأخذت بعض الملفات من أمامها، واتجهت إلى الباب وهي تكمل:

ـ انت هتخرج تروح تشوف شغلك، وأنا هخرج أخلص شغلي..

فتحت الباب ووقفت أمامه منتظرة خروجه دون أن تنظر إليه؛ بينما اقترب

(سامي) منها في طريق خروجه وهو يتفحص جسدها بعيون وقحة ونظرات مفضوحة سافرة جعلتها تحكم من ربط وشاحها الصوفي الأخضر حول رقبتها في توتر.. وما إن خرج حتى لحقته هي في سرعة، وقد أغلقت الباب خلفها كي تقطع عليه أي تفكير في العودة حينما وقعت عينيها علي ذلك الذي كان يقف أمام باب الرواق في هدوء..

تسمرت (نيرة) وتوترت دقات قلبها، فقد كانت هيئة (علي) تدل على أن هذا الرجل لم يأكل أو ينم منذ فتره ليست بالقصيرة، نظرت إليه في حنين، فلقد افتقدته بشدة، ولكنه قابل نظرتها بنظرة غيظ وهو ينقل بصره بينها وبين (سامي) الذي لم يكن قد ابتعد كثيرًا. تعرف فيما يفكر الآن؛ لذلك لم تنتظر وصوله إليها دلفت إلي مكتبها مرة أخرى وأسرعت إلي مقعدها الجلدي لتحتمي به، ولكن هذه المرة من إعصار (علي)..

لحقها مسرعًا، وسألها في غيظ وهو يغلق الباب خلفه في عنف:

ـ كان بيعمل إيه هنا؟

كانت ترتجف من داخلها، ولكنها حاولت أن تبدو أمامه ثابتة لا مبالية، فأراحت ظهرها إلى الخلف وشبكت أصابعها ببعضهما البعض وأجابته في هدوء حذر:

ـ روح اسأله.. ثم أكملت:

ـ حمد الله عالسلامة.

نبهته جملتها الأخيرة إلى أنه ليس في موقف هجوم، فهدأ قليلًا وجلس أمامها ثم قال وهو يشعل سيجارة:

ـ عاملة إيه؟

لم تحبه، ولكنها ظلت تنظر إليه نفس النظرة الهادئة الحذرة، وهي تسأل نفسها لأول مرة منذ ارتبطت به، هل تحبه حقًا؟ بل هل أحبته في أي يوم من الأيام؟

أشاح بعينيه بعيدًا عن عينيها، فهو يعرف أنه أضعف من أن يواجهها.. يعرف أنه خاسر كليًا في معركته معها؟ معركت؟ هل تحولت علاقتهم الجميلة إلى معركة الآن؟

قال لها وهو ينظر إلي سيجارته المشتعلة:

ـ (نيرة).. إحنا محتاجين نقعد نتكلم كتير..

ـ أكيد..

ـ تمام.. بعد الشغل نقعد في أي مكان..

لن تصبح تحت رحمته بعد الآن، لن تؤجل كل التزاماتها من أجله، اليوم ذكرى ميلاد (كاترين) ولن تترك صديقاتها من أجل رجل يتركها باستمرار، لذلك أجابته بنفس الهدوء:

ـ خليها بكرة.. النهاردا عيد ميلاد (كاترين) وكلنا..

قاطعها صياحه:

ـ (كاترين)؟ تاني هتفضليهم عليا؟

انتفضت واقفة وصاحت فيه بكل سخطها وغضبها المدفون طيلة الأسبوع السابق قائلة:

ـ انت اللي بتفضل أنانيتك ونفسك على كل حاجة.. المطلوب منى إيه؟ أنسى كل حاجة وأوقف حياتي علشان واحد سايبني أسبوع من غير كلمة تفهمني إيه اللي بيحصل؟ المفروض أول ما أشوفك أصلى ركعتين شكر لله إنك اتعطفت عليا وعايز تقعد تتكلم معايا؟

صدمته ثورتها وأخرسته كلماتها، فتراجع عن هجومه وقال لها:

ـ بس أنا من بكره ولمدة تلت أيام في دورة تدريب في فرع الشركة في إسكندرية..

ـ آآآآآآآآآآآآه.. قول كده.. دا بقى اللي رجعك..

ثم أكملت بلا مبالاة وهى تعاود الجلوس دون أن تنظر إليه:

ـ خلَّص اللي وراك وكلمني يا (علي)..

قالتها بحزم أنهى الحوار، وبداخلها بركان نار يأكل صدرها، إنه لا يستحق أن تترك أي شيء من أجله بل إنه لا يستحق انتظارها الدائم له، شعرت بمرارة وهى تفكر في أنه كان يستطيع أن يجعلها ترتمي في أحضانه لو أخبرها فقط أنه افتقدها.. ولكن هذا الرجل أنانيته مؤلمة..

هو أيضًا كان على يقين من أن الحوار لن يفيد معها في شيء؛ لذلك أطفأ سيجارته ورحل في صمت ولكنها استوقفته قبل أن يخرج قائلة:

ـ وعلى فكرة يا (علي).. المرة دي أنا مش هستنى كتير..

سمع جملتها ثم أكمل طريقه خارجًا دون أن يلتفت إليها، فلم يجبها إلا صوت إغلاق الباب بقوة جعلتها تنتفض في مكانها.. شعرت بسخونة تخرج من أذنيها ووجنتيها، فتنفست بعمق محاولة السيطرة على ارتعاش يديها، وهي تنظر إلى خاتم خطبتها، ولأول مرة منذ أن استقر هذا الخاتم في إصبعها فكرت أن تخلعه.. وبالفعل، ما هي إلا ثوانٍ حتى تحولت الفكرة إلى قرار، فنزعته بسهوله استغربتها ووضعته أمامها فوق المكتب.. ودون أن تنظر إليه عادت لاستئناف عملها في هدوء..

*****

كانوا أربعتهن يجلسن حول المائدة التي تتوسط المسرح، وبصحبتهن شاب يعزف على العود ويغني أغنية (حلوين من يومنا والله) لــــ(سيد مكاوي) وهن يصفقن معه ويرددن خلفه أحد مقاطع الأغنية في سعادة :

حلوين من يومنا والله قلوبنا كويّسة
بنقدّم أحلى فرحة ومعاها ميت مِسا
ويا ليل طوّل شويّة عـ الصحبة الحلوة ديّة
الغالي علينا غالي ولا عمره حيتنسى
حلوين من يومنا والله قلوبنا كويّسة

سرت موجة انتعاش بين الجمهور، واندمجوا بقوة مع العرض.. وأخذوا يصفقون في سعادة حتى إنهم شاركوا في الغناء بصوت عالٍ:

يا ليل ابعت سلامي للناس الطيّبة
فكّرهم بالمحبّة وبأيّام الصبى
وتطول أفراحي غنوة يجعل أيّامنا حلوة
وتعيش الفرحة دايمًا في قلوبنا قريّبة
ويا ليل طوّل شويّة عـ الصحبة الحلوة ديّة
الغالي علينا غالي ولا عمره حيتنسى
حلوين من يومنا والله والله.. قلوبنا كويّسة

*****

(6)

على مائدة 31 مائدتهن المفضلة منذ أكثر من عام في ذلك المقهى، كانت (كاترين) تجلس في شرود تنتظر حضور صديقاتها.. تنظر إلى ساعة هاتفها المحمول وتزفر في ضيق، فمن المفترض أن يكنَّ موجودات منذ أكثر من نصف الساعة، فهن يعرفن أنها لن تستطيع التأخر بسبب مرض والدتها..

يأتي النادل ويضع أمامها زجاجة مياة وكوب زجاجي فارغ، ويسألها عنهن، فتجيبه بابتسامة باهتة إنهن على وشك الوصول، وبعد أن يرحل تحاول الاتصال بهن، ولكن لا يجيبها أحد، فتعود إلى شرودها ولكن هذه المرة تنظر إلى الكوب في عمق وهي تفكر; هكذا هي حياتها، فارغة تمامًا، لم يستطع أحد أن يملأها حتى ابنها، والمفترض أن يكون أجمل ما حدث لها في حياتها، أصبح وجوده تذكرة دائمة لها على سوء اختيارها..

عادت إلى ساعة هاتفها المحمول، وقد قررت الرحيل في سخط حينما تناهى إلى مسامعها أصوات نقر على الأرض بالقرب منها، وحينما نظرت إلى جوارها إلى مصدر الصوت وجدت ما لم تتوقعه، دمية متحركة (ماريونيت) تسير نحوها وفي إحدى يديها وردة حمراء..

رفعت (صَبا) والتي كانت تحرك الدُمية يدها عاليًا لتصل الدمية إلى مستوى طول (كاترين) وهي تقول في سعادة بصوت عالٍ:

ـ مفاجأااااااة..

اتسعت عينا (كاترين) في دهشة وسعادة حينما رأت (مريم) تحمل كعكة كبيرة مليئة بالصواريخ والشموع، و(نيرة) تمسك في يديها خيوط مجموعة كبيرة من

البالونات، والتي يغلب عليها اللون البنفسجي وقد التففن جميعا حولها، وانضم إليهن معظم الندلاء في المقهى، وأخذوا يحتفلون بها ويغنون أغنية عيد الميلاد في سعادة بصوت قوي غير مبالين بجميع رُوَّاد المقهى الذين أخذوا يتابعوهم في فرحة، بل والبعض منهم أخذ يصفق ويغني معهم..

نظرت (كاترين) في سعادة إلى الدمية التي كانت تقف فوق المائدة تشاركهم الاحتفال، وحينما إنتهوا من الغناء سألوها جميعًا في حماس أن تتمنى أمنية قبل أن تطفئ شموع كعكتها الـــ 29..

اقتربت من الكعكة وأخذت تفكر، وهي تنظر إلى لهب الشموع فيما ستتمنى، ولكن لم تمهلها (نيرة) الفرصة وقالت قبل أن تطفئ هي الشموع:

ـ انتي لسة هتفكري؟ إحنا عايزين ناكل التورتة..

ضحكوا جميعًا بينما اقتربت (نيرة) من الكعكة، وأخذت تنفخ في الشموع في سرعة، ولكنها ما لبثت أن رفعت رأسها موجهة حديثها إلى (مريم) في غيظ:

ـ الله يخرب بيتك.. يعني لازم 29 شمعة بالعدد؟ نفسي أتقطع..

علت ضحكاتهن في المكان، ثم اقترب ثلاثتهن يساعدونها في إطفاء الشموع، فقررت (نيرة) أن تترك لهم إتمام المهمة لتلتقط أنفاسها، وبينما كانت ترفع رأسها اصطدمت بعينيه المثبتة عليها، مع شبح ابتسامة يحتل جانب فمه.. كان يجلس على المائدة المواجهة لهن مباشرة.. هي تعرفه شكلًا فقط، فهو أحد رواد المقهى الدائمين، يجلس هو الآخر مع أصدقائه باستمرار على مائدة مخصصة، لا يجلس عليها سواهم..

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي تلاحظ نظراته، ولكنها كانت الأولى بتلك المُباشرة والوضوح.. شعرت بحرارة فحاولت أن تهرب من عينيه في خجل

وهي تنزع وشاحها الصوفي وتلقيه جانبًا في إهمال، ثم تعود للاندماج مع صديقاتها ومشاركتهن التقاط الصور التذكارية..

كانت (كاترين) في منتهى السعادة وهي تفكر في أن صديقاتها لم ينسين ذكرى مولدها كما ظنت، بل على العكس فقد أعددن لها أجمل مفاجأة على الإطلاق؛ لذلك أخذت تنظر إليهن في حب وامتنان، ثم قالت وقد بدأت عينيها تترغرغ بالدموع:

ـ مش عارفة أقولكوا إيه؟ انتوا أحسن حاجة حصلت لي في حياتي..

ثم أكملت وقد بدأت في بكاء صامت، وهي تشعر أن كل ألم الليلة السابقة قد عاد يهاجمها:

ـ لولاكوا كان هيبقى أسود عيد ميلاد في حياتي..

نظرن إليها جميعًا في شفقة، بينما اقتربت منها (مريم) تربت على كتفها في حنان وهي تنظر إليها بألم وتسألها:

ـ (روماني) برضو؟

أومأت (كاترين) برأسها إيجابًا دون أية كلمة.. فقط دموع صامتة موجعة.. توتر الجو فجأة؛ لذلك حاولت (صَبا) أن تعيد إليهن مرحهم فقالت موجهة حديثها إلى (كاترين):

ـ انتِ اللي غلطانة يا (كوكا) كان لازم روماني يعني.. ماهم المصريين؟ مفيش أكتر منهم.

ضحكن جميعًا، حتى (كاترين) انفلتت منها ضحكة وسط دموعها، وسريعًا ما عادت روح المرح مرة أخرى لجلستهن، وانطلقت ضحكاتهن العالية المعتادة..

انخرطن في الحديث عن كل شيء، وأخذت كل واحدة منهن تحكي أخبارها وما حدث لها في الأيام الماضية، تشاركن همومهن وما يضايقهن، ولكن حتى الهموم وهن بصحبة بعضهن لها طابع آخر مختلف، طابع مرح خفيف على النفس، هكذا شعرت (صَبا) وهي تستمع إلى (نيرة) وهي تخبرهن بما حدث مع (علي)..

وإلى (مريم) وهى تحكى ما حدث لها اليوم في العمل، وقد تفاجأت بأن شركة الأغذية التي ستكون سبب رفدها من العمل هي نفس الشركة التي تعمل بها (نيرة)..

حتى (صَبا) نفسها وهي تخبرهن بأمر سفر (عاصم) لم تعرف كيف خففوا عنها ذلك الوجع الذي أصاب قلبها منذ سمعت بخبر هجرته، فبطريقة ما جعلوها تتقبل الأمر بيسر وسهولة، وهي تفكر في أن هؤلاء الفتيات يستحقون حقًا أن تترك عرائسها وعالمها الآخر بعض الوقت لتكن بصحبتهن، وحينما وصلت بتفكيرها إلى تلك النقطة اتسعت ابتسامتها وقالت:

ـ بقولكوا إيه.. قفلوا على النكد دا..

نظرن جميعًا إليها منتظرين أن تكمل حديثها، فغمزت لهن بإحدى عينيها وهي تشعل سيجارة:

ـ ما تيجوا نلعب الشايب.

*****

الراوي طلع ع المسرح..
"روح"
بيخُش في أجساد الأبطال..
"زلزال"
بيرُج المحراب الساكن..
والناس على كل كراسي العرض..
"خشوع"
العاشق طول الوقت.. إنسان موجوع..
كل الواقفين ع المسرح..
زي القاعدين ع الأرض..
أو زي ما مثلًا توصف ورد..
لكن دبلان..
عطشان هيموت ويلاقي ولو نقطة ميَّة..
بس العطشان إزاي ممكن..
يشرب من إيد واحد..
"عطشان"

(7)

الساعة تقترب من الواحدة ظهرًا، وقت الذروة في شوارع وسط البلد.. تضع (مريم) كلتي يديها في جيوب معطفها، وتسير بهدوء حَذِر وسط الزحام والباعة الجائلين الذين تتعالى أصواتهم فوق أصوات أفكارها المبعثرة فتنظر إليهم في ضيق..

هي الآن في طريقها لمقابلة (أيوب) في الاستديو الخاص به بوسط البلد.. ترتدي نفس ملابس البارحة؛ نفس المعطف الطويل والتنورة الواسعة، عِنادًا لمديرها الذي أهانها، وإصرارًا على مبدأها في أن مظهرها شيء يخصها هي فقط..

تتعالى أصوات الباعة الجائلين، وتتداخل مع نفير السيارات المعترضة طوال الوقت، فتنظر حولها في تأفف.. كم تكره منطقة وسط البلد، وتكره زحامها الغير مبرر.. تكره السير في شوارعها، والقاطنين في مبانيها، بل إنها تكره هذا المدعو (أيوب)، والذي دون أن يعلم سيتسبب في فصلها من عملها.

تعلم علم اليقين أن محاولتها معه ستكون فاشلة، وكانت قد قررت ألا تذهب إليه، ولكن صديقاتها أقنعوها البارحة أن مقابلته لن تضير، ربما يسر لها الله الأمور ونجحت في مهمتها..

(يا رب)

قالتها (مريم) وهي تقف أمام إحدى العمارات بشارع شريف، وهي تنقل بصرها بين ورقة في يديها وبين رقم العمارة لتتأكد أنها قد وصلت..

سارت في ممر ضيق نسبيًا؛ حيث كان باب العمارة الرئيسي في آخر هذا الممر.. عمارة أصيلة من تلك المباني القديمة التي طالتها يد الخراب، فحولتها إلى مجرد عقار في شارع، وقد أصبح مدخلها ملجأ لبضائع الباعة الذين يحتلون أرصفة وسط البلد.. وعلى الرغم من أن الإهمال قد طال كل شيء، إلا أن الفن والأصالة كانا لا يزالان يطلان على استحياء من تلك النقوش المحفورة على جوانب الحوائط، والتي غطتها الأتربة بالكامل..

أخذت (مريم) تلهي تفكيرها بالنظر إلي تلك النقوش وهي تصعد في بطء وتوتر بضعة سلالم في اتجاه مصيرها، وما هي إلا بضع خطوات حتى وجدت نفسها أمام الباب المنشود.

كان الباب مواربًا، فخمًا ضخمًا ونظيفًا.. على العكس من كل شيء في تلك العمارة.. بحثت حولها فلم تجد أي أثر للجرس؛ لذلك طرقت عدة طرقات بيدها على استحياء وانتظرت، ولكن لا يوجد مجيب، كررت محاولتها هذه المرة بقوة، ولكن بلا مجيب أيضًا، ودون تفكير دفعت الباب بهدوء فطاوعها بكل يسر ودون أن يحدث أي صوت، وبخطوات مترددة دلفت إلى الداخل..

وكأنها عبرت إلى عالم آخر، ومكان غريب لا يمت بصلة في هدوئه إلى ذلك الضجيج المتواصل بالخارج.. أخذت تنظر حولها في تمعن وعلى وجهها بعض علامات الدهشة والإعجاب؛ فالمكان على الرغم من بساطته فخم جدًا، قليل الأثاث كثير التُحف، ويغلب عليه الطابع البدوي، وهناك تلك الـــ..

ـ انتِ دخلتِ هنا إزاي؟

انتفضت (مريم) على ذلك الصوت، على الرغم من أنه كان في منتهى الهدوء والثبات، حيث التفتت في رعب وهي تشهق بقوة.. كان صاحب الصوت

قريبًا منها بشدة، ومع التفاتتها السريعة اصطدمت به فوقع فنجان القهوة الذي كان يحمله فوق معطفها، فصرخت وهي تبتعد عنه قائلة:

ـ انت مين؟

رفع إحدى حاجبيه في استغراب وهو يضع الفنجان جانبًا، ثم يمسك بإحدى المناديل الورقية ويقترب منها قائلًا بنفس الهدوء:

ـ أنا اللي مين؟ انتِ اللي مين؟

قالها وقد بدأ يمسح آثار القهوة من على معطفها بكل سهولة، وكأنه يعرفها منذ زمن، ولكنها صرخت فيه وهى تدفع يده بعيدًا حينما أدركت الموقف وشعرت بيده تصطدم بصدرها:

ـ إبعد إيدك يا حيوان..

عقد حاجبيه وهو يلقي إليها بالمنديل في غضب، وينظر إليها منتظرًا إجابتها، كانت ترتجف ولكنها حاولت أن تبدو متماسكة وهي تقول:

ـ أنا عايزة أقابل أستاذ (أيوب)..

ـ عايزاه في إيه؟

ـ وانت مالك؟

منع ابتسامة خفيفة من أن تعتلي شفتيه وهو يزفر في نفاذ صبر ويجيبها:

ـ نغير صيغة السؤال.. عايزاني في إيه؟

أخرسها سؤاله وجعلها تنظر إليه وقد فغرت فاها، وهي تفكر في أنه من المستحيل أن يكون هو، فـــ(أيوب) رجل قارب على الخمسينات، والذي أمامها بجسده الرياضي وملابسه وملامحه بكل الأحوال لا يتجاوز الثامنة والثلاثين من عمره، ولكنها حينما لاحظت تلك الشعيرات البيضاء اللاتي

تركها صاحبها بثقة تزحف إلى ذقنه وشعره أيقنت أنه لا يمزح، إنه بالفعل (أيوب)، وحينما وصلت إلى تلك النتيجة قالت بصوت مبحوح وهي تشير إلى معطفها:

ـ أنا عايزة أروح الحمام..

انفلتت منه ضحكة خافتة، ثم قال لها وهو يستدير مشيرًا إلى رواق:

ـ تالت باب عالشمال..

فرت إلى جواره في سرعة كالكرة، حتى كادت أن تتعثر من سرعتها، وفي خلال ثوانٍ كانت قد اختفت داخل الرواق، وما إن سمع باب الحمام يغلق حتى لحقها، ولكن إلي المطبخ لإعداد فنجان قهوة آخر..

كان يفكر فيها وهو يقف أمام الموقد يعد فنجان قهوة جديد، تلك الفتاه الغريبة التي اقتحمت مخبأه فجأة دون سابق إنذار، واقتحمت معها ملله الذي أصبح يلازمه كظله مؤخرًا..

ابتسم وهو يتذكر رد فعلها حينما لامست يده صدرها، وأخذ يفكر في أن رد فعلها يناسب بقوة طريقة ملابسها الغير منسقة، وطريقة حجابها الذي لم يعطه فرصة لتبين ملامحها بوضوح..

قطع أفكاره وقع أقدامها؛ حيث كانت تمر إلى جوار المطبخ دون أن تدري أنه بالداخل حينما استوقفها صوته قائلًا:

ـ أنا هنا..

عادت خطوتين إلى الوراء ثم وقفت إلى جوار باب المطبخ تتطلع إليه في أسف حينما أكمل:

ـ بعمل فنجان قهوة بدل اللي وقعتيه.. تشربي إيه؟

أجابته بابتسامة خجولة وهي تدلف إلى داخل المطبخ، وتشير إلى معطفها الذي كانت تحمله على يدها:

ـ ما إنا شربت خلاص..

اتسعت ابتسامته وهو يتفحصها كليًا بجراءة تصل إلى درجة الوقاحة..

أخذ يرتشف قهوته في هدوء؛ بينما سارت عينيه ببطء فوق جسدها، والذي ظهرت معالمه بوضوح بعد أن خلعت معطفها الصوفي، حيث كانت ترتدي تحته كنزة صوفية ضيقة تنحت معالم أنوثتها..

شعرت بنظراته تخترق جسدها كسهام مشتعلة، فارتدت معطفها المُبلل وهي لا تزال مطرقة برأسها إلى الأرض تحاول أن تجمع بعض الكلمات في جملة مفيدة، حينما تحرك (أيوب) فجأة معتدلًا في وقفته، فتراجعت هي إلى الخلف في حدة جعلتها تشعر بالإحراج من ردود أفعالها المبالغ فيها؛ لذلك قررت أن تقطع ذلك الصمت المميت وتدخل في الموضوع مباشرة، فقالت:

ـ أنا (مريم) من شركة سبوت..

نظرت إليه فوجدته يتطلع إليها في صمت منتظرًا أن تكمل حديثها.. أخذت نفسًا عميقًا، ثم استرسلت في الحديث تشرح له الموضوع بأكمله، وقد أدركت أن هذا الرجل لن تفلح معه أية حيل، فقررت أن تصارحه بكل شيء.. كان يستمع إليها باهتمام شديد وبداخله شعور قوى بالإثارة، وهو يفكر في أنه على وشك الحصول على مغامرة جديدة يتخلص بها ولو لبعض الوقت من الملل المميت الذي يحيط به ويفقده الرغبة في كل شيء، حتى في العمل..

ابتسم بداخله وهو يتابع طريقتها المرتبكة في الحديث؛ لذلك أرسلها (أشرف عيسى) إليه.. أرسلها وهو يعلم أنها على الرغم من سذاجتها الواضحة قد

تكون الوحيدة القادرة على الحصول على موافقته.. ذلك الخبيث يعلم أن ذلك النوع من النساء يستفزه ويوقظ بداخله إصرار في اقتحامهن وتغيير مسار حياتهن..

ولكنها تختلف عن الكثيرات اللاتي سبقنها؛ طريقة ملابسها ونظراتها وتحفظها المبالغ فيه، حتى كلماتها غير المرتبة تخبره بأنها بِكر في كل شيء، كما إن حدة ردود أفعالها تخبره بأن هذه الفتاة لديها مشاكل كبيرة في التعامل مع الرجال، وتلك هى أكثر الأسباب التي تعطي لمغامرته إثارة. إذن فالهجوم مع مثيلاتها هو الحل الأمثل..

تحرك باتجاهها في بطء، فتوترت نبرة صوتها ثم ضاعت تمامًا حينما وقف أمامها مباشرة لا يفصله عنها سوى سنتيمترات قليلة.. مال عليها فحاصرها عطرة الرجولي، ثم توقفت أنفاسها تمامًا حينما مد يده خلف ظهرها كأنه سيطوقها، ولكن ما هي إلا ثوانٍ حتى اعتدل في وقفته وهو يرفع أمام عينيها قداحة كانت خلفها؛ كأنه يخبرها بأنه كان يحضر القداحة ليس أكثر، ولكنه فاجأها وهو ينظر إلى عينيها مباشرة ويقول:

ـ تعرفي انك جميلة؟

ارتعشت أهدابها بطريقة واضحة، بينما إنقطع الهواء عن رئتيها تمامًا، هذا الرجل وجوده مخيف، يهدد كل شيء بداخلها.. وحينما قرأ على ملامح وجهها أن طريقته تركت الأثر المطلوب اتسعت ابتسامته وهو يبتعد في هدوء كي يعطيها مساحة لتتنفس، ثم قال وهو يشعل سيجارته:

ـ وأنا مستعد أوافق إني أمسك الحملة..

سألته في لهفة غير مصدقة وهي تأخذ نفسًا عميقًا:

ـ بجد؟

ـ بجد.. بس بشرط..

ـ موافقة من غير ما أعرف..

ـ بلاش تسرع.. اعرفي شرطي الأول..

شعرت بالقلق من الطريقة التي قال بها جملته الأخيرة، إلا أنه أكمل وهو يتحرك ناحيتها ببطء:

ـ شرطي إني أصورك..

عقدت حاجبيها في عدم فهم؛ بينما أكمل هو في بطء وهو ينفث دخان سيجارته، وقد قرر أن يطرق الحديد وهو ساخن:

ـ وانتِ عريانة..

*****

شهقات وهمهمات سرت في القاعة بين الجمهور بعد آخر جملة.. أبدوا جميعًا اعتراضهم غير مصدقين هذه الوقاحة، فقال أحدهم:

ـ دا حيواااان..

وقالت أخرى بصوت عالٍ:

ـ يتحرق الشغل.. دا عايز يتربى..

ثم قالت ثالثة بطريقة شديدة الانفعال والحُنق:

ـ أنا لو مكانها كنت قلعت الجزمة وضربته على دماغه..

ضحك معظم الجمهور، واتسعت ابتسامة أربعتهن من آخر تعليق وهن ينظرن لبعضهن، ثم قالت ذات اللون الأبيض:

ـ كل دا فكرت فيه (مريم).. تضربه بالقلم هيعمل لها إيه يعني؟ تكسر أي حاجة على دماغه.. أو حتى تقلع جزمتها وتضربه.. كل دا فكرت فيه.. بس للأسف مقدرتش تعمل أي حاجة.. سمعته للآخر ومشيت في هدوء..

أكملت ذات اللون الأسود في حزن:

ـ كانت مخضوضة.. خايفة.. بردانة.. وأصعب ذكريات في الدنيا حاصرتها بقوة.. بس عارفين اللي وجعها أكتر من كلامه؟ رد فعلها.. مكانتش متخيلة إنها بالضعف دا.. خرجت من عنده وهي مش مصدقة.. بصت في ساعتها، لسة بدرى على معاد رجوع مامتها من الشغل.. تقدر تروَّح وتنفجر لوحدها كالعادة من غير ما حد يسألها مالك..

ظهر التأثر على ملامح الجمهور حينما تقدمت ذات اللون البنفسجي إلى منتصف المسرح وأكملت:

ـ حاولت تكلم حد من أصحابها بس معرفتش.. (صَبا) موبايلها كان مقفول.. (كاترين) مش ناقصة هَم.. حتى (نيرة) الوحيدة اللي بترد في أي وقت مردتش.. أصل (نيرة) في نفس الوقت كانت في موال تاني.. كانت في مفترق طرق..

*****

(8)

بينما كانت تجلس أمامه، وهي تحاول أن تظهر له بعض الحزم وعدم الاهتمام والغضب المصطنع،كانت (نيرة) من داخلها تتراقص من الفرح غير مبالية بحقيبتها التي تهتز كل دقيقة، معلنة أن هناك من يتصل بها، بل ويلح في الاتصال، ولكنها ولأول مرة لم تهتم.. فلقد قررت أن تضع هاتفها المحمول على الوضع الصامت كي لا يزعج تواجدها مع (علي) أي شيء، وليذهب من يتصل بها إلى الجحيم، ويتركها في لحظة سعادة معه لن تتكرر كثيرًا.

كانا يجلسان في مكانهما المفضل.. ذلك المطعم المطل على النيل مباشرة، أول مكان اعترف لها فيه بحبه.. وبينما كان يُملي (علي) على النادل طلباتهما، أخذت تتطلع إليه في شوق وحب.. فلتغفر له، يكفيها أنه اتصل بها فجرًا ليخبرها بأنه لن يستطيع أن ينتظر حتى عودته من الإسكندرية..

هذا المجنون ضرب بكل شيء عرض الحائط، وعرَّض نفسه للخطر في العمل كي لا تستمر غاضبة موجوعة منه طوال فترة غيابه.. ابتسمت بداخلها وهي تفكر أن تصرفه إن كان يدل على عدم تحمله للمسئولية، فهو يدل أيضًا على حبه الشديد لها..

استغراقها في أفكارها جعلها في البداية لا تلاحظ توتره، ولكنها الآن تلاحظ أنه ليس في حالته الطبيعية بالمرة.. هناك شيء يحاول أن يجد صيغة ملائمة لكي يخبرها به، فقد كان (علي) يشعل إحدى سجائره حينما تناولت (نيرة) تلك السيجارة الموضوعة في المطفأة والتي كانت لا تزال مشتعلة وأعطتها له، فابتسم لها في توتر وهو يأخذها منها..

لا تدري لماذا انقبض قلبها فجأة، وتحولت كل أفكارها وسعادتها إلى شعور واحد، وهو الخوف..
أحضر النادل طلباتهما؛ قهوته السادة، وعصير اليوسفي المفضل لديها.. فابتسمت وهي ترتشف منه حينما فكرت في أن (علي) قد طلبه دون الرجوع إليها..
أخذت تفرك كفيها ببعضهما البعض في توتر وهى منتظرة أن يتحدث.. ستسامحه، ولكن يجب أن يتحدث أولًا كي تسامحه..
فكرت في أن تبدأ بالحديث، ولكنها تراجعت.. ستتركه يُخرج كل ما بداخله، كل غضبه غير المبرر، وكل انفعالاته، ثم ستحاول بطريقتها أن تعاتبه وتحتويه في الوقت نفسه.. فـ(علي) طيب وحنون جدًا، ولكنه يحتاج إلى من يحتويه، ويُهدئ من روعه دائمًا.. يحتاج منها أن تؤكد له باستمرار أنها لن تتركه..
أخرجها من حوارها مع نفسها وهو يسألها في حزن:
ـ انتي عارفة أنا بحبك قد إيه؟
خفق قلبها من حزنه، ولكنها قررت أن تتماسك قليلًا وهي تسأله بلهجة عتاب:
ـ ياريت أعرف.
ـ بحبك للدرجة اللي مبقيتش عارف أعيش فيها بعيد عنك، وأنا مش عارف انتِ فين وبتعملي إيه.. بحبك وبغير عليكي لدرجة إني بدأت أكره أصحابك.. مش طايق حب الناس ليكي.. مش طايق فكرة إن فيه حد غيري بيحبك وبيهتم بيكي..
ثم أكمل وهو ينظر إلى مياه النيل:

ـ بحبك لدرجة إني مش عايز أكون السبب إني أخنقك، وأبعدك عن الناس اللي بتحبيهم.. وعارف لا أنا هتغيَّر، ولا انتِ هتقدري تستحمليني..

لم تكن تصدق ما تسمعه منه، وحينما همت أن تجيبه تجمدت شفتاها وقد تسمرت عيناها على يده اليمنى حينما لاحظت ولأول مرة منذ جلوسهما معًا أنه لا يرتدي خاتم خطبتهما، لقد أخذ القرار ونفذه دون حتى عناء إخبارها، وعلى الرغم من صدمتها فقد ابتسمت من سذاجتها حينما ظنت أنه لم يتحمل ثلاثة أيام وهي غاضبة منه، والحقيقة أنه لم يستطع أن يتحمل ثلاثة أيام وهناك ما يربطهما ببعض..

شعرت بمرارة في حلقها غير مصدقة أن الرجل الذي أحبته يمتلك كل ذلك القدر من القسوة، كانت شفتاها ترتجف من الألم وقد شعرت بشعور عجيب لأول مرة في حياتها.. شعرت أن مكان قلبها فارغ لا يوجد به شيء.. أرادت أن تصرخ، أن تبكي، ولكنها تماسكت بكل ما تبقى لديها من كبرياء وكرامة..

حاولت أن تبحث عن كلمات تجيبه بها، ولكن أي كلمات ستقال ستؤلمها هي، وستقلل من شأنها أمام نفسها، لذلك قالت بلهجة حاولت أن تكون هادئة، وهي تشير إلى يده اليمنى:

ـ واضح إنك أخدت القرار ونفذته..

نظر إلى مكان خاتم الخطبة ورد عليها دون أن يجرؤ على النظر إليها:

ـ صدقيني دلوقتي أحسن من بعدين، أحسن ما ييجي اليوم اللي نسيب فيه بعض واحنا كارهين بعض..

ـ وأنا؟

ـ انتِ هتفضلي أجمل حب في حياتي..

ـ وانت هتفضل أهم درس في حياتي..

قالتها بمرارة أصابت قلبه، فعقد حاجبيه في ألم وهو يتساءل في نفسه: أي حمق فعل؟ وأي قلب طعن؟

نظرت (نيرة) إلى مياه النيل نظرة صامتة طويلة وهي تحاول أن تجمع شتات نفسها، تحاول أن تلملم داخلها كي تبدو متماسكة غير مبالية وهي راحلة، وبالفعل ما هي إلا ثوانٍ، ودون كلمة واحدة أخرجت بعض النقود من حقيبتها ووضعتها على المائدة، ثم وقفت استعدادًا للرحيل حينما سألها باستغراب مشيرًا إلى النقود:

ـ إيه دا؟

فأجابته بمنتهى الهدوء واللامبالاة:

ـ بدفع حسابي.. انت عارفني، محبش حد غريب يدفع لي الحساب..

ثم أكملت وهي تخلع خاتم خطبتها وتلقيه فوق المائدة:

ـ وانت بقيت غريب..

ثم استدارت وتركته دون أن تعطيه الفرصة للرد..

رحلت، وبكل الألم الذي كان يمزق قلبها ابتسمت، وهي تنظر يمينًا ويسارًا، وكأنها تخبر الناس أنها بخير..

ولكنها لم تكن بخير..

لم تكن بخير على الإطلاق..

*****

(9)

سارت (مريم) دون أن تدري، حتى وصلت إلى منزلها في حي المنيل، سارت مصدومة خائفة مُشوشة، كانت ترتجف من داخلها.. تحتاج إلى أن يضمها أي شخص ليطمئنها، تحتاج أن يربت عليها أي أحد حتى ولو كانت ورقة شجر تسقط فوق كتفها..

لعنت ضعفها الذي أخرسها ولم يمكنها من الرد على ذلك الحيوان الرد الأمثل..

تشابكت الأفكار في رأسها، كيف تركته يُكمل عرضه الوقح؟ كيف تركته يعرض عليها مقايضته القذرة؟

ماذا ستخبر (أشرف) مديرها؟ بالطبع لن تخبره بما حدث فهو لن يصدقها.. كيف يصدق أن رجل مثل (أيوب) ينظر لفتاة مثلها لدرجة تجعله يعرض عليها مثل ذلك العرض؟

لن تخبر مديرها، ولن تخبر أحدًا حتى صديقاتها، فبماذا ستخبرهن؟ لن يصدق أحد أنه عرض عليها ذلك العرض المريض (أن يوافق على أن يكون هو مخرج تلك الحملة الإعلانية مقابل أن يصورها عارية، مع وعد صريح أنه لن يجبرها على شيء، ولن يفعل ذلك إلا بإرادتها وموافقتها الكاملة)..

بالطبع لن تخبر أحدًا.. ستذهب غدًا وتقوم بتقديم استقالتها دون توضيح، وهم لن يعطوا للأمر أهمية، لن يلتفتوا إليها، فوجودها في الشركة غير مرغوب فيه من الأساس، ستترك تلك الوظيفة وتبحث عن أخرى، ولو على المال لديها ما يكفيها بضعة أشهر حتى تجد وظيفة أخرى، فمصروفاتها تقريبًا

منعدمة، فهي لا تدخن أو تشرب الشيشة كبعض صديقاتها، وليس لديها هوس بمساحيق الزينة أو الملابس أو أي شيء آخر، لا تذهب إلى الكوافير إطلاقًا، حتى مصاريف المنزل تتحملها والدتها دون عناء.. فهي تشغل وظيفة محترمة في أحد البنوك.. إذن النقود ليست عائقًا أمامها ولو لفترة مؤقتة.. ستترك العمل دون كلمة واحدة، وتخبر صديقاتها أنها لم تستطع إقناعه فقط.. وستجتاز ما حدث بمفردها كما اعتادت دائمًا..

هدأت قليلًا حينما وصلت إلى ذلك الحل وهي تصعد سلالم العمارة التي تقطن بها، وهي تنظر في ساعتها.. لا زال لديها متسع من الوقت حتى عودة والدتها، ستأخذ حمامًا دافئًا طويلًا تزيل به قاذورات عرض ذلك الرجل.. وقد تبكي قليلًا وهي تستحم، ثم تصلي وتقرأ ما تيسر من القرآن الكريم حتى ترهقها عيناها من كثرة القراءة والبكاء فتنام قليلًا أو كثيرًا.. لا يهم.. وحينما تستيقظ ستكون قد تجاوزت الأمر..

كانت (مريم) قد دلفت إلى المنزل حينما وصلت بتفكيرها إلى تلك النقطة -وقد بدأت عيناها تلمع بدموع مكتومة- حينما رأته فتجمدت دموعها من الصدمة وتجمدت معها ملامحها..

كان هو، عمها، ذلك الرجل البغيض، صاحب أسوأ ذكرى في حياتها، والذي لم تره منذ أكثر من اثني عشر عامًا، يجلس بأريحية ممدًا جسده فوق الأريكة في صالة منزلها يشاهد التلفاز، ثم اكتمل المشهد بخروج أمها من المطبخ متجهة إليه تحمل صينية الشاي -ودون حجاب- والتي ما إن رأت (مريم) حتى شهقت من المفاجأة، تلك الشهقة التي جعلت عمها يلتفت ويدرك وجودها فيعتدل سريعًا في جلسته..

تسمرت أم (مريم) في مكانها للحظات، ثم وضعت صينية الشاي فوق طاولة الطعام بينما ارتدى عمها معطفه وخرج مسرعًا من المنزل دون كلمة واحدة.. شعرت (مريم) بالاشمئزاز وهو يمر إلى جوارها، وقد حاصرتها ذكرى ذلك اليوم فتراجعت إلى الوراء كأنها تخشى الاصطدام بتلك الذكرى، ولكنها انتفضت على صوت غلقه للباب ورائه، فنظرت إلى والدتها نظرة مؤلمة كأنها تطلب منها أن تخبرها أن ما رأته لم يكن حقيقة، ولكن أمها لم تستطع أن تنظر إليها، فقط سألتها بصوت مرتعش وهي لا تزال مطرقة برأسها إلى الأرض:

ـ إيه اللي جابِك بدري؟

خرج صوت (مريم) بصعوبة بالغة وهي تجيب والدتها بسؤال:

ـ الحيوان دا كان بيعمل إيه هنا؟

ـ كان بيطمن علينا..

سألتها (مريم) صارخة:

ـ من إمتى بيدخل البيت؟

ـ من حوالي سنة..

قالتها والدتها بعد تردد ثم أكملت بسرعة كأنما تخشى ألا تواتيها الشجاعة مرة أخرى:

ـ وعلشان متفهميش غلط.. إحنا هنتجوز كمان شهر..

جحظت عينا (مريم) من الصدمة، وقد أمسكت رأسها بكلتي يديها، كانت تشعر بأن كل شيء بداخلها يتهاوى، وهي تسألها بأنفاس متقطعة متألمة:

ـ إزاي؟ إزاي؟.. مش لاقية غيره؟ انتِ نسيتي اللي عمله؟

أجابتها والدتها بصوت مضطرب، وهي تجلس على أقرب مقعد:

ـ أنتِ اللي لازم تنسي، وتعيشي حياتك بقى و..
قاطعتها (مريم) بصراخ مكتوم وهي تضغط على أسنانها وقد برزت كل عروق وجهها من الألم:
ـ اسكتي.. اسكتي.. روحِي اتجوزيه، بس لا انتِ ولا هو تعتبوا البيت دا..
ثم أكملت صارخة:
ـ انتِ فاهمة؟
ثم اندفعت كالعاصفة إلي حجرتها مُغلقة الباب خلفها بقوة انخلع معها قلب أمها..
كانت (مريم) كالطير المذبوح تنتفض من الألم، تشهق في وجع وهي تبحث عن دموع تطفئ نيران صدرها ولكن بلا جدوى..
نزعت حجابها بعنف وألقت بنفسها على أحد أطراف الفراش، وهي تهز رأسها في عدم تصديق.. صحيح أن العلاقة بينها وبين والدتها منذ ذلك اليوم، منذ رحيل أبيها لم تكن على ما يرام، فهي كانت تزداد وحدة وانعزال، ووالدتها لم تستطع احتواء أزمتها، وزادت العلاقة جفاءً بينهن بعد زواج أختها الكبرى، ولكنها لم تكن تتخيل أن تفعل بها أمها ذلك، أن تتزوج الرجل الذي كان سببًا في كل العذاب الذي عانوه طوال السنوات الماضية..
شعرت بألم في قلبها وهي تفكر في أن عليها الآن أن تستعد لوحدة مفرطة.. أن تستعد للتعامل مع نزيف لن يتوقف أبدًا.. كم تحتاج أن تفقد ذاكرتها الآن، بل أن تفقد حياتها بأكملها..
جلست على ذلك المقعد أمام المرآة، وأخذت تتطلع إلى نفسها بملامح مُبهمة وهي تتساؤل بمرارة.. لماذا اليوم تحديدًا؟ لماذا يفعل بها الله ذلك؟ لماذا يلقي

على قلبها بكل ذلك الحمل، وهو يعرف أنها وحيدة لا تقدر على ذلك الثقل وحدها؟ أين العدل مع إنسان حُكم عليه بالعذاب طوال حياته، حياته التي لم يختر بها أي شيء؟

أخذت تنظر إلى نفسها كأنها تحاول التعرف عليها..

ضاعت ملامحها منذ زمن، ضاعت مع قلبها وأحلامها وشبابها حتى تساوى كل شيء..

رحلوا جميعًا عنها.. أبيها، (يس) ابن عمها وحب حياتها، أختها، وأخيرًا أمها..

رحلوا وقد أخذ كل منهم معه قطعة حتى لم يتبقَ بداخلها شيء.. أصبح داخلها كحجرة فارغة يُسمع بها صفير الهواء، ثم تذكرت فجأة (أيوب)، ولوهلة شعرت أنها تحتاجه، شعرت أنه الآن أقرب وأصدق شخص تعرفه، على الأقل هو لا يتصنع المثالية والشرف..

وضعت يدها في جيب معطفها وأخرجت هاتفها المحمول ولم تنتبه إلا على صوته الرخيم يأتيها من الناحية الأخرى حذرًا يشوبه نبرة استغراب من اتصالها السريع.. لم تتحدث كثيرًا، فقط قالت من بين دموعها الصامتة جملة واحده مقتضبة:

ـ أنا موافقة على شرطك..

*****

(10)

في أحد مسارح ساقية الصاوي كانت (صَبا) تجلس على أحد المقاعد، واضعة يديها في جيوبها تنظر إلى بعض المتدربين وهم يقومون بتحريك العرائس الماريونيت.. بينما كان (آدم) صديقها ومخرج العرض يقوم بإعطائهم بعض التوجيهات، وذلك بعد أن تم تكليفها بأن تكون من أهم المدربين والمشاركين في عرض (الليلة الكبيرة) التي قررت إدارة الساقية إعادة إنتاجه وعرضه شهريًا ضمن برنامجها الفني بصفه دورية..

كانت (صَبا) في قمة حماسها لذلك العرض، والذي كانت تعتبر اشتراكها فيه فرصة رائعة ستحدث فارقًا كبيرًا في حياتها الفنية.. وعلى الرغم من أنها كانت تتابع البروفة بتركيز شديد إلا أن ذلك لم يمنعها من التفكير في أشياء كثيرة فرضت نفسها على عقلها..

مثل (عاصم) وسفره الذي ربما سيكون خلال أيام..

و(نيرة) التي تحاول كعادتها أن تظهر بمظهر القوية غير المبالية ولكنهن جميعًا يعرفن أنها تتهاوى من داخلها.. و(مريم) هي الأخرى التي تحاول الوصول إليها منذ خمسة أيام دون فائدة.. فهي إما في العمل أو نائمة..

قامت من مقعدها وهى تشير بإحدى يديها إلى المتدربين أن يستمروا فيما يفعلون، ثم سارت قليلًا في أحد ممرات المسرح وهي تتفقد تطبيق الـ(واتس آب) لترى هل ردت إحداهن عليها بخصوص مقابلتهن اليوم، ولكنها زفرت في ضيق حينما رأت أنه لم يرد عليها أحد، بل إن ثلاثتهن لم يرين رسالتها من الأساس؛ لذلك قررت أن تحاول الاتصال بـ(مريم) للمرة

العاشرة تقريبًا.. وضعت الهاتف على أذنها وأخذت تستمع في ملل لصوت الجرس وهي تنقر بإحدى قدميها على الأرض، بينما كانت يدها الأخرى تتخلل شعرها المموج الطويل نسبيًا..

ممكن ولاعة؟

تجمدت يديها بين خصلات شعرها وقد تسمر جسدها بأكمله، شعرت برعشة قوية وتسارعت دقات قلبها كأنما وقع منها وارتطم بالأرض، تعرف هذا الصوت جيدًا، سمعته بقلبها قبل أذنيها، ومن المستحيل أن يخطئه قلبها، لكن ليس من المعقول أن يكون هو، لا تصل الصدف عادة إلي هذه الدرجة.. ولكنها متأكدة من أنه هو، تلك النبرة الرخيمة التي تضفي شعورًا غريبًا بالسلام داخلها لا يتمتع بها الكثيرين، بل لا يتمتع بها سواه..

ولماذا كل هذه الحيرة؟ استدارة بسيطة منها وسيحسم الأمر..

وببطء شديد لا تعرف سببه -هل كان خوفًا من أن تجده هو بالفعل؟ أم خوفًا من أن يكون صوته مجرد تخيلات؟- استدارت (صَبا) لتنظر إليه..

إنه هو؛ بجسده الممشوق، وسمرته الرائعة، وشفته التي خُلقت فقط لكي تبتسم..

إنه هو بعينيه الضيقتين اللتين تخترقان من تنظران إليه..

إنه هو، جاء بعد ما يقرب من عام لكي يثبت لها أنه كان يستحق الانتظار..

قطع صوت (مريم) على الهاتف تدافع أفكارها وهي تقول:

ـ ألوووو.. ألووو.. صَبا!.

ـ إقفلي دلوقتي..

قالتها (صَبا) في سرعة وأغلقت الهاتف دون تردد، وهي تنظر إليه، أرادت أن تتصنع نسيانه ولكن هيهات، تلك الحياة التي ولدت في عينيها حينما رأته أخبرته بمنتهى السهولة أنها تعرفت عليه، بل وكانت تنتظره..

وبنفس الهدوء والسلاسة السابقين، استرسلا في الحديث، عادت السعادة إلى قلبها وهي تتحدث معه، كانت تشعر أنها فتاة مُراهقة مندفعة في ردود أفعالها، وأن وجهها كالزجاج الشفاف، يعكس بكل هدوء ونقاء ما تشعر به، ولكنها لم تبالِ، نسيت أمر المسرح وأمر المتدربين، حتى إنها لم تلاحظ (آدم) الذي كان يتابعها باستغراب من فوق المسرح، ويشير إليها أن تقترب، ولكنها كانت في مكان آخر.. كانت في عينيه.. لم تنتبه إلا حينما فوجئت بـــ(آدم) يُسلم عليه في ود لتعرف أن وجوده هنا ليس صدفة لأي أحد في المكان سواها، حينما علمت أنه (بدر الحسيني) الرسَّام والفنان التشكيلي، ومصمم ديكور العرض.. ابتسمت في هدوء حينما أدركت أنه بالقرب منها كل تلك المُدة، تسمع اسمه وتتحدث عنه منذ حوالي شهرين دون أن تدرك أنه هو..

اندمجوا في الحديث والعمل، واندمجت هى معهم ظاهريًا فقط، أما تفكيرها كان في عدد اللقاءات التي ستجمعهما في الأيام القادمة..

التقت عيناهما فجأة فاضطربت أهدابها واحمرت وجنتاها.. بينما اتسعت ابتسامته عن آخرها.. لم تكن تلك هي المرة الأولي التي يقبض على عينيها متلبستين بالتطلع إليه، ولكنها لم تهتم، كانت قرينتها المُراهقة في منتهى العنفوان والاندفاع، فبادلته الابتسامة بأخرى أعذب، متناسين تمامًا وجود (آدم).. والذي أخرجها فجأة من كل ذلك مع إعلانه انتهاء البروفة وإعطاء المتدربين ميعاد البروفة القادمة، ثم قطع عليها طريق العودة حينما سلَّم عليه

وغادرهما سريعًا لكي يستطع اللحاق بموعد تصوير في منطقة مصر الجديدة.. مما يعني أنه لم يعد لديها حُجة للجلوس معه، فالجميع قد بدأوا في المغادرة..

أخذت (صَبا) في جمع أغراضها، وهي تفكر في حزن أنه قد حان موعد الرحيل، وكأن جلستهما كانت ستدوم إلى الأبد.. وجاء خبر الرحيل مفاجئًا مفجعًا لقلبها..

خرجا من القاعة بصحبة بعضهما البعض.. صامتان، لم يتبادلا كلمة واحدة، وحينما اجتازا بوابة ساقية الصاوي الخارجية قطع (بدر) ذلك الصمت قائلًا:

ـ قهوتك إيه؟

التفتت إليه وأجابته في هدوء:

ـ مظبوط.. ليه؟

ـ هشرًبك قهوة..

صاحبت جملته ابتسامته الرائعة التي لا تقاوم.. إنه يدعوها لشرب القهوة بمصاحبته، وذلك يعيى أنها إذا وافقت فستظل بالقرب منه لساعة أخرى على الأقل، تنظر إليه، وتستمع إلي صوته الرخيم، وتذوب في ابتسامته الرائعة.. كانت قرينتها المُراهقة تقف تتطلع إليها في ترقب منتظرة رد فعلها.. همَّت (صَبا) بالموافقة ولكنها تراجعت بسرعة قائلة:

ـ معلش.. خليها وقت تاني..

ـ وليه مش دلوقتي؟ ليه وقت تاني؟ انتِ ضامنة الظروف تسمح تاني؟ انتِ ضامنة أصلًا إن الوقت التاني هييجي تاني؟ خلِّي الوقت التاني لقهوة تانية..

إنه على حق، لا يوجد شيء مضمون، فلقد وضعه القدر للمرة الثانية أمامها دون سابق موعد، بالتأكيد هنالك حكمة من ذلك..

فاتحيا اللحظة الراهنة دون أن تفكر في أي شيء آخر، فلتزيد من رصيد ذكرياتها معه..

ابتسمت في داخلها وقد وافقت في قرارة نفسها، خاصة وأن جنونه وتفكيره قد لاقى هوى في نفس قرينتها المُراهقة المندفعة، والتي كانت قد استيقظت تمامًا بداخلها، وأمسكت بمقاليد الأمور، ودون مناقشة ابتسمت وسارت إلى جواره معلنة بطريقة ضمنية موافقتها على عرضه، لم تسأله عن المكان الذي سيتناولان به القهوة، لم تسأله عن الطريق.. لم تسأله عن أي شيء، فقط سارت إلى جواره في سعادة ورضا بينما يُذرها عطره الرائع بين الحين والآخر أنها لا تحلم..

أما هو فقد اختار أكثر شوارع حي الزمالك هدوءًا ليسيرا فيه، وشكرته هي في نفسها.. فالشوارع المزدحمة كانت تضطرهم إلى السير خلف بعضهما، مما يفقدها متعه الاقتراب منه والنظر إلى وجهه..

تجاذبا أطراف الحديث بطريقة سلسلة مرحة لم تخلُ من الدعابات والضحكات العالية..

حكت له عن أسرتها؛ أبيها الذي يعمل كمراسل صحفي لأكبر الشبكات الإخبارية العالمية، ووالدتها وحبها الشديد لها، و(عاصم) أخيها وارتباطها الشديد به، وصديقاتها وعلاقتهن الرائعة، وعرائسها..

كانت تتحدث معه بطلاقة استغربتها، فعلى الرغم من أنها لم تكن تعرفه إلا أنها كانت تتحدث بتلقائية وصداقة وود جعلوه هو أيضًا يتحدث معها كأنها

صديقة قديمة لم يرها منذ سنوات؛ حيث حكى لها الكثير والكثير عن نفسه وأسرته وعمله؛ أخبرها أنه اقترب من عامه الخامس والثلاثين، يعيش بمفرده منذ أكثر من أربعة عشر عامًا.. فقد كان والده يعمل بالسفارة المصرية في العديد من الدول الأوروبية والأفريقية، وقد كانوا يتنقلون معه باستمرار، إلا أنه قرر الاستقرار نسبيًا في مصر، حتى بعد ما جاء والداه واستقرا في مصر استمر هو في العيش بمفرده، فقد تعود على وحدته، وكأنها قد أصبحت هي سر نجاحه وملهمته الأولى والأخيرة، لديه أخت متزوجة وتعيش بدولة الإمارات، وأخ متزوج ويعيش في ألمانيا..

إذن فهو لم يتزوج، أو على الأقل غير متزوج حاليًا، بقي أن تعرف هل هو مرتبط في الوقت الحالي أم لا.. شعرت بالضيق وهى تصل بتفكيرها إلى أن احتمالية عدم ارتباط رجل في وسامته وروعته تكاد تصل إلى صفر في المائة حينما باغتها سؤاله فجأة، وكأنما كان يقرأ أفكارها:

ـ مرتبطة؟

أشارت برأسها علامة على النفي، فسألها وهو ينظر إليها مباشرة كأنما أراد أن يقرأ الإجابة في عينيها قبل أن يسمعها:

ـ حبِّيتي بجد قبل كدا؟

أزعجها أنه سبقها بكل هدوء وإقدام في ذلك السؤال؛ لذلك هربت من الإجابة بطريقة مباشرة، وسألته بخبث أنثوي:

ـ أي لون من ألوان الحب؟

أجابها مداعبًا وقد اتسعت ابتسامته:

ـ أخضر وبأستيك من فوق.. هو في ألوان للحب؟

أجابته بجدية:
ـ طبعًا.. أصفر وأبيض وأحمر..
ـ اشرحي لي..
ـ بص يا سيدي.. (الحب الأصفر) هو الحب اللي بيكون فيه شوية غيرة بنسب متفاوتة، وغالبًا بتكون حميدة؛ يعني فيه ناس على الرغم من حبهم للي حواليهم ساعات بيحسوا بغيرة ناحيتهم.. (الحب الأبيض) هو الحب اللي بنتولد بيه وبيكبر معانا؛ زي حب الأب والأم والوطن والقرايب.. أما (الحب الأحمر) فدا بقى مفيش غنى عنه؛ وهو الحب بين الرجل والست.. يعني الرومانسيات وكدا..
ـ ممممم.. يبقى أعدِّل سؤالي.. كام لون من الحب في حياتك؟
ـ الأصفر عمري ما حسيت بيه، الأبيض غرقانة فيه؛ وخصوصًا مع (عاصم) أخويا.. أما الأحمر.. ثم تنهدت وهي تكمل:
ـ أديني لسة مستنياه..
أخبرته ببراعة أنثوية أنها غير مرتبطة، وأن قلبها لا يزال يحمل كل الأحلام لرجل حياتها.. قالت جملتها وسبقته بخطوتين، وهي تدفع بطريقة طفولية بإحدى قدميها حجرة صغيرة..
جعلته براءتها يبتسم ويلحقها، بل ويسبقها إلى الحجرة، ويقوم هو بدفعها.. أخذا يتبادلان دفع الحجرة بأقدامهما في سعادة كأنها كرة قدم، ويتنافسان فيمن سيبقي الحجرة معه أطول وقت ممكن، كانت تلحقه وهي تفكر في أنه قد حان دورها لترد عليه سؤاله، فسألته بطريقة حاولت أن تبدو عادية جدًا، وخالية من أي فضول أنثوي:

ـ وأنت؟

قالتها هكذا دون تحديد؛ هل تقصد إذا ما كان مرتبطًا الآن؟ أم إن كان قد مر سابقًا بتجربة حب حقيقية؟ والعجيب أنه لم يراوغ في الإجابة، فقد قال وهو يحاول الحفاظ على الحجرة بين قدميه كأمهر اللاعبين:

ـ كتير.. وعرفت ستات أكتر.. لدرجة إني مبقيتش عارف أحس أي إحساس جميل..

ثم أكمل وهو يركل الحجرة بكل قوته إلى أبعد مكان، منهيًا تلك اللعبة، ومتوقفًا عن السير:

ـ لدرجة إني مبقيتش عارف أحب..

وقفت بدورها وقد شعرت بغيرة مجهولة السبب من كل النساء اللاتي عرفهن، وهي ترد عليه بشيء من الضيق:

ـ مفيش حد مبيعرفش يحب.. وبعدين أنا مش بسألك عرفت كام واحدة.. أنا بسألك حبيت بجد واللا لأ؟

أجابها وهو يشير برأسه إلى ممر متوسط الطول، تؤدي نهايته إلى بوابة العمارة التي يقفان أسفلها:

ـ طيب ينفع أجاوب واحنا بنشرب القهوة؟

ثم أكمل بصوت هادئ، وبلهجة تصعب مقاومتها:

ـ وبالمرة تشوفي الأتيليه بتاعي.

استدارت برأسها إلى حيث أشار برأسه، فقابلتها تلك اللافتة الكبيرة المعلقة بطريقة أفقية في أول الممر والمرسوم عليها يدويًا نصف وجه لامرأة ذات عين

باكية، ومكتوب أسفل الرسمة (أتيليه زينة)..

عادت برأسها إليه وفي طريق العودة تصارعت الأفكار بها.. تستغربه بشدة لأنه يسير بخطى سريعة، وتستغرب من نفسها أكثر لأنها لا تمانع في ذلك على الإطلاق..

كانت تفكر في عرضه وهي تنظر إليه في حيرة؛ بينما أخذت قرينتها المراهقة تتطلع إليها في توسل وتستجديها في عطف، فقط نصف ساعة أخرى بصحبته لن تؤثر سلبًا في العالم، ولكنها ستجعلها أسعد إنسانة في هذا الكون لنصف الساعة القادمة.. وبالفعل حسمت قرينتها تلك المناقشة والتي لم تستغرق سوى ثوانٍ قليلة، فابتسمت له في رقة معلنة بغمازتها قبولها دعوته..

وفي الداخل انشغلت تماما عنه.. لم تجبه -وهو يطلب منها أن تتفقد المكان حتى ينتهي من إعداد القهوة- سوى بإيماءة من رأسها.. أخذت تنظر حولها في شغف ولهفة، شعرت بدفء غريب، كأنها تنتمي إلى هذا المكان، وهي تتطلع حولها في ألفة، بينما تفكر في أن هذا المكان يشبه كثيرًا روح غرفتها، حتى تلك الفوضى التي تعم كل شيء..

مكان مُثير يطغى عليه الطابع الفرعوني بشدة، برديات معلقة في كل مكان..

رأس نفرتيتي موضوعة على عمود طويل عالٍ، كأنها آثر في متحف..

مفتاح الحياة عند القدماء المصريين معلقًا بحجم كبير على إحدى الحوائط..

وقعت عينيها على حامل خشبي مُغطى بقطعة من القماش الأبيض، اعتقدت (صَبا) أنها تخفي أسفلها لوحة تحت التنفيذ، فانتابتها رغبه عجيبة في أن تراه وهو يرسم، بالتأكيد هو رائع وهو يعمل، لدرجة لن تستطيع أن تفعل معها

شيئًا آخر سوى التطلع إليه.. لم تكن تعلم أنه هو الآخر يتطلع إليها من مطبخه ذي الطابع الأمريكي، المطل على الصالة، وهو يقف متظاهرًا بأنه ينتظر ماكينة القهوة أن تنتهي من عملها، بينما في الواقع هو يتابعها بشغف، وهي تدور كالفراشة في المكان، وتدور معها في رأسه عشرات الأسئلة..

لماذا تحدث معها بكل ذلك الود؟

ولماذا حكى لها عن نفسه كل تلك التفاصيل وبتلك الأريحية؟

لماذا دعاها إلى الدخول إلى صومعته؟ بل لماذا دعاها إلى شرب القهوة من الأساس؟

أخرجه من أفكاره صوت ماكينة القهوة وهي تعلن أنها قد انتهت من عملها، فأفرغ محتواها في كوبين وذهب إليها.. كانت لا تزال تتطلع في انبهار إلى أركان المكان، حينما سمعت خطواته تقترب منها، فاستدارت إليه وقالت بابتسامة رقيقة:

ـ المكان يجنن..

سرحت عينيه إلى غمازتها اليسرى، ثم رد عليها بابتسامة أروع وهو يعطيها كوب القهوة، ويشير إليها بالجلوس على تلك الأريكة الجلدية المريحة..

جلسا متجاوران لا يفصلهما عن بعض سوى سنتيمترات قليلة، وقد ظلت صامتة لا تجد شيئًا تقوله؛ بينما أشعل هو إحدى سجائره، ونظر إليها قائلًا:

ـ موبايلِك بيرِن..

انتبهت بالفعل إلى أن هذه هي نغمة هاتفها المحمول، فأخرجته من الحقيبة لتجد أن المتصل (نيرة)، ولكنها لم تُجب، لم تسمح لشيء أن يقاطعهما حتى لو كانا صامتين، ولكنها فوجئت أن الأخيرة قد اتصلت قبل ذلك أكثر من خمس

مرات، استغربت في البداية، ثم قررت وهي تضع الهاتف في جيب معطفها أن تعاود الاتصال بها لاحقا..

كان يجلس بأريحية وهدوء ينفث سيجارته في صمت كأنها غير موجودة.. أخذت تشرب قهوتها في توتر وهي تنظر إلى جانب وجهه من خلال دخان السيجارة، حينما التفت إليها فجأة وقال:

ـ على فكرة، أنا ليا عندك ولاعة..

ـ وأنا ليا عندك إجابة سؤال..

قالتها باستغراب وتحدٍ جعلا ابتسامته تتسع من تلقائيتها وهو يقول:

ـ ناصحة.. ثم أكمل دون أن ينظر إليها:

ـ حبيت بجد مرة واحدة، من سنين، حب غريب، يمكن مالوش أثر في قلبي..

ثم أكمل وهو يسحق سيجارته في المطفأة، كأنه يسحق معها ذكرياته:

ـ بس لسة موجود في حياتي بشكل ما..

زادت إجابته فضولها ولهفتها لمعرفة المزيد، فسألته مباشرة:

ـ انفصلتوا ليه؟

ـ علشان معرفتش أحافظ عليها..

ثم أكمل في توتر وهو يشعل سيجارة جديدة:

ـ ومن يوميها محاولتش أحافظ على أي حد في حياتي..

صدمها ردُه، وشعرت بانقباض في صدرها وهي تتطلع إليه دون أن تجد الرد المناسب، فسألها وهو ينظر إلى عينيها مباشرة:

ـ خفتي مني؟

أجابته بحذر:

ـ المفروض أخاف؟

ـ مش عارف.. بس..

كان كمن يبحث عن كلمات كي لا يصدمها مرة أخرى، فأكمل قائلًا بطريقة متقطعة:

ـ انتي.. انتي جميلة قوي.. وأنا.. أنا وِحِش قوي.. أنا مش الراجل اللي أنا شايفه في عنيكي..

قالها وصمت، فعقدت حاجبيها في عدم فهم، وهي تحاول أن تتذكر ما الذي أدى بحديثهما إلي تلك المنطقة الشائكة، لماذا يخبرها بتلك الأشياء عن نفسه، ولم يمر على معرفتها به سوى بضع ساعات؟

هل تلك طريقة جديدة لكي يثير فضولها ويجعلها تتعلق به أكثر؟

لماذا لا يرن هاتفها، ويخرجها من ذلك الموقف السخيف؟

ثم ماذا يقصد بأنه ليس الرجل الذي يراه في عينيها؟

هل يظن أنها وقعت في هواه لمجرد أنها تحدثت معه بوِد، وقبلت بدعوته لإحتساء القهوة؟ إن كان يظن ذلك فهو إما مجنون أو مغرور بشدة..

عاد صوت هاتفها المحمول مرة أخرى، ولكن هذه المرة أخبرتها النغمة أن هناك من بعث إليها برسالة، فأخرجته في سرعة من جيبها لتهرب من ذلك الموقف السخيف، ولكنها ما إن قرأت محتوى الرسالة حتى وقفت فجأة قائلة:

ـ أنا لازم أمشي حالًا..

*****

(11)

انقلبت الأمور فجأة رأسًا على عقب، لم يعد هناك شيئًا ثابتًا في مكانه، فقد استحال داخلهن إلى مدينة مبعثرة ضربتها عاصفة قوية..

استحالت حياتهن جميعًا في وقت واحد إلى حمل ثقيل كئيب، كأنهن أقسمن على الوفاء في صداقتهن، حتى في الألم، فقد توالت الضربات على رؤسهن واحدة تلو الأخرى، حتى ختمتها (كاترين) بتلك الرسالة التي وقعت على ثلاثتهن كالصاعقة، والتي أخبرتهن فيها بأن والدتها نقلت إلى المستشفى، وقد دخلت في غيبوبة لا يعلم أحد متى ستفيق منها.. ومنذ اللحظة التي وصلت إليهن تلك الرسالة، منذ عشرة أيام وهن لا يفارقن (كاترين).. يتوجهن إليها بعد أن ينتهين من أعمالهن ويظلوا إلى جوارها حتى انتهاء مواعيد الزيارة الرسمية..

لم يكنَّ قادرات على الحديث، فأصبحت تلك الأزمة فرصة رائعة للصمت، انتهزتها (نيرة) بقوة لتتجنب الحديث عن انفصالها عن (علي)، بينما استغلت (مريم) ذهابها إلى المستشفى يوميًا، كي لا تقابل والدتها كثيرًا، أو بالمعنى الصحيح لكي تهرب من مواجهتها..

أما (صَبا) فكانت مشاعرها وحياتها في قمة التضارب بين حزنها لميعاد سفر (عاصم) الذي اقترب، وسعادتها بدخول (بدر) في حياتها، تلك السعادة التي كانت تشعر أحيانًا أنها خيانة وسط كل تلك الظروف السيئة التي تمر بها صديقاتها.. كم تمنت أن تخبرهن بكل شيء منذ اللحظة التي قابلته فيها في المسرح، وما حدث في الأتيليه الخاص به، ثم اعتذاره منها بعد ذلك.. كم

تمنت أن تشاركهن نصر إحساسها بأنها ستقابله مرة أخرى، ولكن لم تعطها الظروف الفرصة لتخبرهن بأكثر من عناوين مقتضبة تلخص كل شيء..

صمت كئيب يعم الغرفة لا يقطعه سوى تلك الأصوات الرتيبة المتتالية، والتي تصدر عن تلك الأجهزة الطبية الموصولة جميعها بجسد والدة (كاترين)، تلك الأصوات القاتلة التي كانت تقبض قلب (كاترين)؛ كأنها عدَّاد يخبرها أن والدتها لم يعد لديها الكثير من الوقت..

ـ انتوا ساكتين ليه؟ اتكلموا واضحكوا عادي..

قالتها (كاترين) وهي تنظر إلى صديقاتها الثلاث، الموجودات معها بالغرفة، لتخرجهن من أفكارهن اللاتي غرقن فيها.. ثم أكملت وهي تعود برأسها إلى والدتها، وتقبل إحدى يديها:

ـ انتوا عارفين إنها بتحب قعدتنا.. اتكلموا، يمكن كلامنا وهزارنا يساعدها ويخرجها من الغيبوبة..

نظرن إليها جميعًا في شفقة وحزن، فجميعهن يعلم أنها مسألة وقت.. فلقد توقفت معظم أجهزة الجسد عن العمل، وهي في العُرف الطبي (ميِّتة إكلينيكيًا) ولكن (كاترين) ترفض الاعتراف بفكرة أن والدتها يمكن أن ترحل وتتركها..

همت (نيرة) بالكلام، ولكنها صمتت حينما دخل أحد الأطباء الغرفة..

كان الطبيب شابًا وسيمًا، ألقى عليهن جميعًا التحية بابتسامة هادئة وهو ينظر إلى شاشات الأجهزة الطبية ثم أمسك بالتقرير المعلق على الفراش؛ حيث جرى بعينيه سريعًا على سطوره، وخطَّ به بضع كلمات، ثم وبابتسامة هادئة أخرى استأذنهن ورحل..

لم يتفوه بكلمة واحدة، ولم تسأله (كاترين) أيضًا عن أي شيء، كأنها كانت تخشى أن تسمع منه ما يقتل الأمل بداخلها في أن والدتها ستعود إليها مرة أخرى..

وما إن رحل الطبيب وسمعوا جميعًا صوت إغلاق الباب حتى وجدتها (صَبا) فرصة لتخفيف حدة التوتر والكآبة اللذان يملأن المكان، فاتجهت مسرعة إلى جوار (كاترين) وسألتها وهي تغمز بإحدى عينيها:

ـ هو القمر دا بيتابع حالة الحاجة من إمتى؟

ضحكت كل من (نيرة) و(مريم) ضحكة مكتومة؛ بينما ابتسمت (كاترين) حينما سمعت كلمة الحاجة -والتي دائمًا ما تطلقها (صَبا) على والدتها- فأجابتها وهي تربت على يد والدتها:

ـ من يومين تقريبًا..

أومأت (صَبا) برأسها علامة على الفهم وهي تقول:

ـ أنا قلت برضو.. ما هي أمك لو كانت شافتة ماكانتش دخلت في غيبوبة أصلًا..

ثم أكملت وهي توجه حديثها إلى (نيرة) و(مريم):

ـ دا بقى يا بنات اللي اسمه الطب البديل..

انفلتت منهما ضحكة عالية فوضعن أيديهن على أفواههن ليكتما ضحكاتهما؛ بينما نظرت (كاترين) إلى (صَبا) وهي تضحك بلا صوت، ثم أخذن يتناوبن في إطلاق المُزحات حول الطبيب الوسيم، بينما كانت (كاترين) تنظر إليهن في حب وامتنان، فهؤلاء الفتيات قطعة من الجنة في حياتها، ووجودهن يحدث دائمًا فارق في كل شيء، فهي تشعر دائمًا معهن أنها أقوى وأفضل حالًا، وأن

كل شيء يمكن مواجهته، بل والانتصار عليه..
انفتح الباب فجأة، فصمتوا جميًعا، وما إن رأت (كاترين) الزائر حتى شعرت فجأة بثقل في قلبها، وعاد إليها كل الحزن والألم التي ظنت أنهما سكنا في الدقائق السابقة، فقد كان الزائر (روماني) زوجها، والذي ما إن دخل الغرفة حتى صمتن جميعًا في ضيق، فلطالما كانت علاقتهن به متوترة وسطحية جدًا.. ألقى عليهن التحية في برود، فرددن عليه باقتضاب، ثم خرجن مسرعين بعد أن أخبرن (كاترين) أنهن سينتظرونها بالخارج..
تابعتهن (كاترين) بعينيها حتى خرجن جميعًا، ثم عادت تمسك بيد والدتها دون حتى أن تنظر إليه، وكأنه غير موجود، وحينما جلس إلى جوارها انكمشت على نفسها، فمجرد وجوده في نفس المكان يجعلها تختنق ولوهلة حسدت والدتها، وتمنت أن تدخل في غيبوبة هي الأخرى حتى لا تشعر بوجوده مهما اقترب منها..
انتفضت من زحام أفكارها حينما شعرت بأنامله -على الرغم من ملابسها الثقيلة نسبيًا- تسير ببطء بطول عمودها الفقري فالتفتت إليه في حدة، لانت قليلًا حينما رأت ذلك الحنان في نظرة عينيه.. لم تعرف هل كان ذلك الحنان حقيقيًا، أم أن احتياجها إلى أحد ليحمل عنها وجعها هو الذي صوَّر لها ذلك..
ـ إيه رأيك تروحي البيت الليلة دي، وأنا هبات مع ماما..
قال جملته وقد استقرت أصابعه على مؤخرة عنقها تدلكها برقة وهدوء.. نظرت إليه بريبة واستغراب، ولكنه أكمل بنفس الهدوء:
ـ أو بلاش البيت.. روحي عند واحدة من صاحباتك..

سرت في جسدها قشعريرة من جراء لمساته، وأحست بخدر في عنقها، فأجابته بهدوء كأنها أصابت لمساته صوتها:

ـ لأ.. مش هسيب ماما.. مش هخرج من المستشفي غير وهي معايا.. أو..

لم تستطع أن تكمل جملتها حيث انفجرت في بكاء صامت، فاقترب منها وقبل جبينها في رقة وهو يقول:

ـ ششششش.. خلاص أنا هفضل معاكي النهاردا..

لم تصدق رقته وحنانه وهو يضمها إليه، لم تصدق أنه (روماني) نفس الرجل الذي تفنن في إيلامها منذ زواجهما، ولكنها كانت ضعيفة لدرجة قررت معها أن تستمتع بذلك الحنان حتى ولو كان كذبًا، لتأخذ استراحة صغيرة، فقد قضى مرض والدتها على آخر نقطة قوة بداخلها..

أخذ يضمها في قوة ظنتها قوة حانية، وهو يهدأ من روعها ويمسح دموعها في رقة متناهية، ثم أمسكها من يدها وتوجه بها إلى حمام الغرفة لتغسل وجهها وتهدأ قليلًا، وهناك وقف إلى جوارها أمام حوض الاغتسال وأخذ يساعدها في غسل وجهها، وبالفعل هدأت قليلًا حينما لامس الماء البارد وجهها الساخن، وانتظم تنفسها شيئًا فشيئًا..

وقف خلفها، وقد طوق خصرها بإحدى يديه، وباليد الأخرى أمسك بالمنشفة وأخذ يجفف قطرات الماء من على وجهها بهدوء.. كانت أنفاسه ساخنة، ولأول مرة بدأت تشعر بارتجاف جسده.. ارتجفت شفتاها تحاول أن تكذب إحساسها.. أسقط المنشفة وضمها فجأة من الخلف إلى جسده، فارتعشت حينما التصقت به، بينما أخذ هو يلثم عنقها بأنفاس من نار، ولكنها لا زالت تكذب إحساسها.. بالتأكيد لن يفعل شيئًا هنا..

ربما فقط اقترابهم أثاره بعض الشيء..
ربما يريد أن يخبرها بطريقته أنه إلى جوارها..
ربما..
ماتت كل الاحتمالات حينما تقابلت نظراتهما في مرآة الحمام.. إنها تعرف تلك النظرة، تحفظها لدرجة أصبحت معها تتمنى الموت كلما تراها، لذلك تصلب جسدها وهو ينظر إلى عينيها مباشرة من خلال المرآة بينما كان يلثم شحمة أذنيها وقد تصاعدت حدة أنفاسه، وهو يخبرها بصوت كفحيح الثعبان:
ـ وحشتيني قوي..
شعرت بالغثيان من أنفاسه، وزاد من اشمئزازها يده التي كانت تجوب أنحاء جسدها كالحيَّة التي تلتف على جسد فريستها وتضغط بقوة حتى تكسر عظامها.. بحثت عن صوتها فلم تجده، فردت بدلًا منه بدموع صامتة.. حاولت أن تتحرك وتفلت نفسها من بين يديه، حاولت أن تقاوم اشتداد يديه حول جسدها ولكنه كان أسرع منها..
دفعها إلى أقرب حائط وألصقها به حتى شعرت بارتطام عمودها الفقري بالسيراميك البارد..كان أقوى منها أو ربما صدمتها جعلتها أضعف من أن تقاومه.. حاولت أن تدفعه ولكنها كانت كمن انحشر بين حائطين..
زاد التصاقه بها وأخذت يده المُدرَّبة تجوب جسدها بكل قسوة..
توسلت إليه ولكنه كان في عالم آخر.. حاولت أن تصرخ ولكن كان صوتها مكتومًا مشبعًا بالألم والصدمة.. لذلك لم تجد بدًا من الهروب.. الهروب بطريقتها الوحيدة التي لا تعرف سواها..
كانت أصوات الأجهزة الطبية الرتيبة المتتالية هي آخر ما سمعته بوضوح –

لدرجة غطت على صوت أنفاسه اللاهثة- قبل أن ترتطم بأرضية الحمام فاقدة الوعي..

*****

الحيطة السّد.. من بعد سراب
بتشوف قدامك خُضرة ونور بعد الصحرا
تفضل ماشي..
من كُتر جمال الصورة بتستسلم ليها
وتبطَّل تسأل ورق الكوتشينة
وقلبك..
هيموت ويشوف..
هتموت م الخوف..
والسكة اللي انت مافيش قدامك غير إنك
تفضل للآخر تمشيها
النور بيروح..
وبيرجع.. مش زي الأول
إنسان مجروح..
يمكن بيخِف لكن برضو
تفضل علامات في مكان الجرح
علشان دايمًا..
كل جراحك.. بعد ما تنساك
تفضل انت..
حاسس.. بيها.

ما إن رآها الجمهور حتى انتبهوا جميعًا واعتدلوا في جلستهم..
دُمية متحركة (ماريونيت) ذات ملامح جميلة، وشعر مجعد مكتوب على ملابسها هي الأخرى (أنا قررت أحكي) توسطت وحدها المسرح الذي كان يسبح في ظلام، إلا من تلك البقعة الضوئية المُسلطة عليها حيث بدأت الدُمية في الحركة، صَاحبها صوت مُحركتها والذي جاء مليئًا بالشجن:
ـ مفيش فرحة للأبد.. ولا حزن للأبد..
ـ مفيش حاجة اسمها صدفة.. الصدفة قدر مفاجئ.. والقدر حياة.. والحياة، مفيهاش شيء بيجي في وقته..
ثم أكملت وهى تتحرك فوق المسرح بلهجة تهكمية:
ـ وبرضو مفيهاش حاجة بتيجى متأخرة.. فيه حكايات بتتكرر،، ونهايات مهما اختلفت متشابهة..حكمة مش فاهمينها،، ومعنى بنقضي عمرنا كله بندوَّر عليه..
ويا بخت اللي يلاقيه..

*****

(12)

انخلع الوتد، وتاهت مركب (كاترين) في مياه زرقاء مخيفة موحشة.. ماتت والدتها وماتت معها آخر فرصة للحياة..

لم تعد تتذكر منذ متى بدأت تبتعد عمن حولها.. لم تعد تتذكر منذ متى بدأت في فقدان أثر الحياة بداخلها بعد أن كانت أمها هي الدليل الوحيد الآمن في حياة مقفرة قاسية، وها قد فقدت دليلها إلى الأبد، لذلك لم تعد تجد بدًا من الحياة، فلتتبع السراب إلى أي مكان..

كانت (كاترين) تجلس أمام صورة العذراء في الكنيسة، والتي أصبحت لا تفارقها كل يوم إلا سويعات قليلة منذ حوالي الشهر وهو عُمر هجرها للحياة، أو بالمعنى الأدق هجر الحياة لها، فلم تعد تجد الراحة في شيء إلا في تلك الصورة، والتي كانت تشعر أن روح أمها قد سكنتها؛ لذلك كانت تجلس أمامها طوال اليوم تتحدث معها وتحكي لها كل شيء، تشكو إليها صعوبة الحياة دونها، وترجوها أن تسامحها لأنها لم تكن إلى جوارها في آخر لحظات حياتها..

انقبض قلبها، واعتصر الألم جسدها، وسالت الدموع بغزارة من عينيها وهي تتذكر تلك اللحظات فلعنت (روماني) وقسوته، بل إنها منذ تلك الليلة لم تره ولو مرة واحدة، لن تغفر له أبدًا ذلك الألم الذي سيصاحبها حتى تلحق بأمها، والذي جعلها تلقي باللوم على الجميع..

أبيها الذي لم يكن موجودًا في المستشفى تلك الليلة، وعلى صديقاتها اللاتي تركنها معه بمفردها وخرجن..

وعلى ابنها لأنه يشبه أبيه..

وعلى نفسها وضعفها الذي جعلها تفقد وعيها في الحمام، وحرمها من آخر لحظات تقضيها مع أمها، لذلك اعتزلت الجميع، حتى عملها التطوعي في الكنيسة، والذي كانت تعشقه، قررت اليوم أن تتخلى عنه..

قررت اليوم أن تُسلم كل شيء يخص ذلك الأمر للمسئول عنه، على الرغم من أن جميع الأخوات في الكنيسة حاولن إقناعها أنها بذلك ترتكب خطأ كبيرًا، وأن ذلك العمل هو الذي سيخرجها من عزلتها وسيساعدها علي تَحمُل ألم فراق والدتها، ولكنها لم تستمع إليهن، بل لم تعد تستمع إلي أي شخص..

فلا أحد يشعر بها، ولا يدرك أحد قوة مصابها..

لا يعلموا أن والدتها كانت بالنسبة إليها أهم أسباب الحياة، وها قد رحلت وأخذت معها الحياة..

تنهدت (كاترين) وهي تنزع عينيها من على صورة العذراء، عائدة إلى واقعها، ناظرة إلى ساعتها التي أخبرتها أن الوقت قد أزف، ويجب أن تنهض لتلحق بمسئول الأعمال التطوعية في الكنيسة قبل رحيله، لتتخلص من ذلك العبء وإلى الأبد.. تلت صلاة أخيرة ونهضت، بينما لا تزال عينيها متعلقة بصورة (العذراء) في خشوع حيث ودعتها في صمت وذهبت..

كانت تسير في ذلك الممر الذي تتواجد فيه كل المكاتب الإدارية بالكنيسة.. تسير وحيدة في ممر فارغ كقلبها بخطوات بطيئة متثاقلة.. تتمنى أن تنتهي من كل شيء في سرعة، مع أنها تدرك جيدًا صعوبة ذلك وخاصة أن المسئول عن ذلك قد تغير.. ولا تعلم هل سيكون المسئول الجديد متعاونًا معها ومع

أزمتها أم لا..
توقفت أمام إحدى الأبواب، والمكتوب عليها (أمين عام التربية الكنسية) والذي كان مواربًا.. طرقت عدة طرقات خفيفة على الباب، ثم انتظرت لحظات دون إجابة، فكررت المحاولة مرة أخرى قبل أن تدفع الباب بهدوء وتدلف إلى الداخل بخطوات مترددة.
كان يجلس على ذلك الكرسي الجلدي الضخم أمام المكتب يطالع الكثير من الأوراق أمامه، يبدو منهمكًا للدرجة التي لم تجعله ينتبه إلى طرقاتها على الباب، ومن ثم دخولها.. لم يكن يستخدم إضاءة الغرفة، بل اكتفى بإضاءة ذلك المصباح فوق المكتب إلى جواره، مع ضوء النهار الخفيف الذي كان يتسرب على استحياء داخل الغرفة، مما جعل الغرفة تسبح في هدوء عجيب تسرب إلى نفسها فأعطاها بعض الراحة..
تنحنحت (كاترين) بصوت خفيض لكي ينتبه إلى وجودها، وعندما رفع رأسه لينظر إليها ارتجف قلبها.. لقد كان هو..
ذلك الملاك الذي ربت على قلبها، بنفس تلك الابتسامة الرائعة، والذي لم تكن تعرف عنه شيئًا سوى عطره، وهنا انتبهت لرائحة عطره الذي كان يعبق الغرفة.. ذلك العطر الذي لم تنسه منذ ذلك اليوم..
(جوزيف فؤاد) هو اسم ملاكها الذي كان مكتوبًا على تلك اللوحة الخشبية الموضوعة على مكتبه..
كان جليًا في عينيه أنه تذكرها هو الآخر وهو ينظر إلى عينيها مباشرة، وقد تغيرت نظرته من الانزعاج إلى الترحيب بابتسامة هادئة احتلت وجهه الحنون وهو يشير إليها بالجلوس.. ترك كل ما يشغله ورحب بها بطريقة لم تكن

عادية، ولم يحاول هو أن يجعلها كذلك..
أخذ يتحدث معها بحنان فائق وتَفهُم شديد؛ كأنه يعرف سبب ألمها ووجعها وهو يحاول إثناءها عن قرارها وإقناعها بالصبر وعدم التسرع، ولكنها كانت صامتة لا تجيبه، فقط تتساءل لماذا ظهر الآن بالتحديد؟ كان صوته مثل عطره مميزًا رقيقًا دافئًا.. تسرب إلي داخلها بمنتهى السهولة.. هذا الرجل له مكانة خاصة بداخلها لا تعرف سببها، فهى لم تره إلا مرة واحدة، ولم تتحدث إليه مطلقًا، ولكن ابتسامته ووجوده في ذلك اليوم كان كافيًا ليزيل عن قلبها أثقالًا كثيرة.. قطع أفكارها وهو يقول:
ـ عموما إنتي عارفة إن الموضوع مش سهل.. وإن لازم قبل ما تمشي يكون فيه بديل ليكي..
أومأت برأسها علامة على الإيجاب حينما أكمل هو قائلًا:
ـ إحنا داخلين موسم الصيف.. ومحتاجين لكل الناس معانا، وخصوصًا إننا بنشطب المبنى الجديد، واللي هيكون فيه مسرح كبير للأنشطة الفنية اللي انتي مسئولة عن حاجات كتير فيها..
ثم قال وهو ينظر إلى عينيها مباشرة، كأنه يحاول أن يبعث إليها برسالة من خلال نظراته:
ـ صدقيني.. وجودك معانا ولو مؤقتًا هيفرق كتير ليكي ولينا..
لم تجادله.. كيف تجادل تلك النظرة المُطمئِنة؟ كيف تقاطع تلك السكينة، والتي لم تحظ بها منذ زمن بعيد لذلك وافقته بإيماءة خفيفة من رأسها وهي تنظر إلى عينيه مباشرة، كأنها تعيد شحن روحها من ذلك الحنان المتدفق من عينيه، ثم تركته على وعد باللقاء غدًا..
تركته ولأول مرة منذ سنوات بعيدة تنتظر "غدًا" بفارغ الصبر..

(13)

ـ الهانم بقى جاية متأخرة على معاد التصوير، وعاملة نفسها فنانة، وبتقول للماكير أنا عايزة ميكب الخدامة يكون طبيعي جدًا.. كان نفسي أقولها انتي مش محتاجة ميكب أصلًا للدور دا..

قالها (آدم) ضاحكًا موجهًا حديثه إلى (صبا) التي جاوبته بابتسامة باهتة مجاملة؛ حيث كانا يجلسان في الغرفة المخصصة لصناعة العرائس في ساقية الصاوي، يقومان بوضع اللمسات الأخيرة على بعض العرائس لتصبح جاهزة لبدء العرض في خلال أيام..

أخذ (آدم) يسترسل في حديث بلا معنى، ومواضيع متعددة ليس لها علاقة ببعضها البعض؛ فقط كي يحاول إلهاء (صَبا) عن ذلك الحزن المسيطر عليها منذ أن عادت من المطار، حيث كانت تقوم بتوصيل (عاصم) أخيها..

ـ أنا صدَّعت..

قالتها (صبا) بعفوية وهي تمسك بجبينها، فسألها (آدم) بطريقة مازحة:

ـ مني؟

ـ لأ طبعًا..

أجابته (صبا) في سرعة، ثم أكملت وهي تبتسم لطيبة (آدم):

ـ قصدي عايزة قهوة.. استجدع ومشِّي رجلك وهات لنا قهوة..

ـ من عنيا يا ستي.. وأهو بالمرة أطلع أشرب سيجارة.. ما تيجي ترتاحي شوية وتشربي سيجارة معايا..

تعلم جيدًا أن (آدم) يحاول جاهدًا مواساتها، ولكنها لم تكن ترغب في شيء

الآن أكثر من رغبتها في المكوث وحيدة ولو لدقائق معدودة؛ لذلك هزت رأسها يمينًا ويسارًا بابتسامة لطيفة؛ علامة على أنها لا تريد.. ولأنه يعرف صديقته جيدًا لم يحاول الضغط عليها، وخرج في هدوء وقد تركها فريسة لأفكارها وحزنها..

تنهدت(صَبا) بألم وهي تشعر بوحدة بشعة.. جاءت منذ قليل حيث كانت تقوم بتوصيل (عاصم) إلى المطار، كم تكره الرحيل والوداع..

كم تكره صالة السفر منذ الصغر -والتي ارتبطت معها دائمًا بحرمانها من وجود أبيها كثير السفر- منذ أن كانت هي و(عاصم) يصاحبان أمهما وهي تقوم بتوصيل أبيهما؛ حيث كانا يقفان أمام ذلك الحاجز الحديدي، يتابعان المسافرين في ذلك المشهد المتكرر وهم يودعون ذويهم بابتسامة تقتلها الدموع قبل أن تستقر على الوجه؛ بينما يجلس كل من أمهم وأبيهم على إحدى المقاعد صامتان، ثم وبعد دقائق تصبح أسرتها جزءًا من ذلك المشهد المتكرر..

ولكن مع تكرار المشهد توقفا عن البكاء، فقد أصبح ذهابهم لتوصيل أبيهم إلى المطار روتين كالذهاب إلى السوبر ماركت.. هل سمعت يوما عن أحد يبكي وهو يشتري أغراضه من السوبر ماركت؟

وحينما كبرا بحيث يمكن الاعتماد عليهما تركت لهما أمهما ذلك الروتين، فصارا هما من يقومان بتوصيل أبيهما بمنتهى الروتين والهدوء، وكلما كانت تكبُر كان يزداد انتباهها للتفاصيل المؤلمة، ويزداد كرهها لذلك المكان، فالفراق هنا ملموس حدَّ الألم..

ولكن اليوم الألم مُضاعف.. اليوم ولأول مرة تخرج من المطار وحيدة دون (عاصم).. فلقد رحل الذي كان يضمها ويعدها أنه لن يرحل مطلقًا حينما

كانت تبكي من رحيل أبيهما الدائم..
رحل وتركها ضعيفة لا تقدر حتى على البكاء..
رحل لبداية حياة جديدة، أو ربما ليهرب من حياة لم يحتمل المضي فيها..
وقعت عينيها على القداحة الموضوعة أمامها فوق المائدة، والتي أصبحت ضمن سلسلة مفاتيحها، فشعرت بمرارة في حلقها وهى تفكر أنه هو الآخر قد رحل..
رحل وهما في تلك المرحلة من العلاقة التي تبدو عادية؛ مجرد تقارب أو انجذاب أو صداقة..
تلك المرحلة اللامعة التي يبدو فيها كل شيء بلا معنى واضح، ولكنه في نفس الوقت يكون واضحًا جدًا للطرفين..
تلك المرحلة التي تكون فيها سعيدًا جدًا لمجرد حوار عادي، أو مكالمة هاتفية لا تتعدى الخمسين ثانية ويكون فيها (صباح الخير) على الــ(واتس آب)، أو مجرد (إعجاب) على الــ(فيس بوك)، معنىً خاص لا يفهمه سواك..
تلك المرحلة التي تكون مليئة بالوعود، لكن دون كلمة واحدة ملموسة..
رحل في تلك المرحلة التي على الرغم من كل شيء لا تعطيك الحق في شيء أكثر من مجرد الاطمئنان من بعيد ثم الانتظار..
رحل فجأة دون وداع، وذلك أقسى أنواع الرحيل..
نظرت في سخرية مؤلمة إلى العرائس المتحركة المنتشرة على تلك المائدة الخشبية، وهي تفكر في أنه لم يتبقَ لها الآن سواهم، هم أوفى من الجميع؛ على الأقل لن يرحلوا عنها أبدًا، لذلك أمسكت بإحدى العرائس وقد قررت أن تلهى نفسها عن ذلك الفراغ البشع الذي طوَّق داخلها، وأخذت تقوم بعملها

بتركيز شديد جعلها لا تشعر بذلك الواقف على بعد خطوات قليلة يتابعها في صمت..

كان (بدر) يقف بالقرب منها؛ ينظر في وَله إلى تلك الخصلة من شعرها الكستنائي المموج التي اعترضت على عقصها مع باقي الخُصل، وقررت أن تتهدل بحرية وانطلاق على جبين صاحبتها، ليتسرب من خلالها تلك الخطوط الذهبية التي ترسلها شمس الأصيل، فتضفي على ذلك الوجه ملائكية ناعمة.. اقترب منها أكثر حتى لم يعد يفصله عنها سوى سنتيمترات قليلة، حينما وقعت عينيه على سلسلة مفاتيحها فابتسم في رقة..

ـ العين اليمين عايزة تتظبط..

قالها فجأة وبلهجة جادة فجفلت (صَبا) من صوته المفاجئ؛ حيث تراجعت إلى الخلف، وتأرجحت بمقعدها الخشبي العالي، حتى كادت أن تسقط أرضًا لولا أنه أسرع وأمسك بها بإحدى يديه؛ بينما باليد الأخرى أمسك بالمقعد، وفي لحظات كانت رغمًا عنها بين ذراعيه..

لحظات أخرى بين ذراعيه توقف فيها الزمن، ومرت كأنها حياة كاملة، وحينما أدركت الموقف وانتبهت إلي ذلك التقارب بينهما دفعته بتوتر، وابتعدت عنه في خجل حاولت أن تجعله غضب؛ حيث عقدت حاجبيها وهى تقول بأنفاس لاهثة، وقد وضعت إحدى يديها على صدرها ،كأنها تخفف من حدة صعوده وهبوطه:

ـ خضيتني على فكرة..

ـ طيب مفيش شكرًا إني لحقتك قبل ما تقعي؟

احمرت وجنتاها من جملته والطريقة التي قالها بها، كأنه يُذكرها أنها كانت بين ذراعية وملتصقة بصدره منذ لحظات، فاتسعت ابتسامته كأنه كان يقرأ أفكارها..

أشاحت بعينيها بعيدًا عنه، وقالت بصوت مرتعش وابتسامة متوترة لتغير سير الحوار:

ـ إزيك.. عامل إيه؟

لم يجبها، ولكنه مد يده في هدوء وأخرج ذلك القلم الرصاص الذي كاد أن يقع من بين شعرها الذي انطلق في حريةٍ ثائرًا.. أمسك بالقلم ولوح إليها به في نظرة ساخرة، فوضعت يدها على شعرها، وهي تفكر في رعب أن شكلها بشع -بالتأكيد- فهي لم تنم منذ ثلاثة أيام، ولا تضع أي مساحيق تجميل، حتى شعرها لم تهتم به أكثر من أنها عقصته في إهمال مستخدمة قلم رصاص.. ابتسمت في خجل وهي تأخذ منه القلم وتعيد استخدامه في عقص شعرها مرة أخرى.. ثم قالت وقد تصنعت الانهماك في العمل بطريقة حاولت أن تكون محايدة:

ـ خير؟ إيه اللي جابك النهاردا؟

جلس إلى جوارها، وقال مازحًا وهو يمسك القداحة الُمعلقة في سلسلة مفاتيحها:

ـ جاي آخد حاجتي..

ـ مالكش حاجة عندي..

قالتها وقد ابتسمت رغمًا عنها وهي تأخذ منه سلسلة المفاتيح وتضعها في أحد جيوبها..

ـ بس انتِ ليكي..

نظرت إليه في استغراب، فأخرج من جيبه علبة قطيفة زرقاء صغيرة، ثم فتحها وأخرج منها سلسلة فضية تتدلى منها قلادة على شكل مفتاح الحياة بنقوشة الفرعونية..

نظرت إلى السلسلة طويلًا، ثم نظرت إليه في حيرة من لا يفهم شيئًا.. كانت الهدية مفاجأة بالنسبة إليها، فقد أخبرها قبل ذلك أن مفتاح الحياة هي هديته المفضلة لكل من دخل حياته وأضاف إليها حياة، وأنه لم يهديها طوال حياته سوى لثلاثة أشخاص، منهم أُمه؛ لذلك ظلت تنظر إليه في تأثر شديد وهي تتساءل لماذا ظهر الآن تحديدًا وهي في قمة حزنها؟

هل ليخبرها أنها ليست وحيدة، وأنه مهما ابتعد عنها قريب؟

أم ليخبرها بطريقة غير مباشرة أن هناك حياة ما تنتظرها؟

اقترب منها وساعدها في ارتداء السلسلة، والتي ما إن استقرت على صدرها حتى أمسكتها كأنما تستمد منها قوة ما، ثم قالت له وقد تبللت رموشها بدموع حاولت كتمانها:

ـ جميلة أوي يا (بدر)..

ـ واضح.. لدرجة إنك هتعيطي من جمالها..

حاولت اغتصاب ابتسامة لترد بها على دعابته، ولكنها قالت دون مقدمات:

ـ (عاصم) سافر..

قالتها واسترسلت دموع صامتة في إكمال الحديث.. قالتها كأنها تقول له بطريقة غير مباشرة أنها تحتاج إليه بشدة، وأن وجوده الآن هو رحمة من الله..

أومأ برأسه وقال في مواساة وهو يلتقط بإبهامه إحدى دمعاتها:

ـ عارف.. علشان كدا أنا موجود النهاردا..
محت كلماته كل أثر بداخلها للعتاب أو الغضب منه، ولكنها لم تمحُ ذلك الخوف غير المبرر، والذي كان يطرق صدرها بقوة؛ لذلك سألته في تردد:
ـ طيب وبكرة؟
ـ خلينا نسيب بكرة لبكرة..
قالها وهو يشيح بنظره بعيدًا عنها، ويلهي نفسه بالنظر إلى العرائس الموضوعة فوق المائدة.. قالها بطريقة وخزت قلبها، ولكنها حاولت ألا تلتفت إلى ذلك الإحساس، كأنما أراد قلبها هدنة من الحزن والوحدة..
تناست أنه تركها فجأة، وأن أخباره انقطعت تمامًا منذ ما يقرب من الثلاث أسابيع..
تناست أنه لم يكن يجيب على أي من اتصالاتها على الرغم من أن آخر محادثة هاتفية بينهما كانت من أروع ما يكون..
يكفيها أنه تذكر موعد سفر (عاصم) وأنه حرص على أن يكون إلى جوارها في هذا اليوم.. يكفيها أنه جاء اليوم بتلك السلسلة ليخبرها دون كلمة واحدة أنه موجود..
ـ مش هتعرفيني على (أشرقت)؟
سألها ببساطة وتلقائية أنهت في ثوانٍ تلك الحرب الدائرة بين قلبها وعقلها، فابتسمت في هدوء وهي تتناول من جانبها تلك الحقيبة القماش، والتي تُصنَّع خصيصًا لحفظ العرائس المتحركة، ثم تُخرج منها في حرص تلك الراقدة في سكينة..

(أشرقت) أول عروسة تقوم بتصنيعها بالكامل بمفردها؛ لذلك لم تكن بالنسبة إليها مجرد عروسة ماريونيت، بل كانت صديقتها الرابعة، والتي لا تقل حبًا وأهمية عن باقي صديقاتها..

كان (بدر) يتابعها في صمت وإعجاب وهي تقوم بإخراج العروسة من ثباتها العميق، وتفك خيوطها بمنتهى المهارة والسرعة، ثم تقف على ذلك المقعد الخشبي القصير؛ ليتناسب طول الخيوط مع طولها، وتبدأ في تحريك العروسة بحرفية وهي تسأله بصوت مختلف، كأن (أشرقت) هي من تتحدث:

ـ حد بينادي عليا؟

ـ أنا..

ـ مين حضرتك؟

ـ واحد مُعجب..

قالها (بدر) بتلك الابتسامة التي تذيب (صَبا) وهو ينظر إليها مباشرة، فحاولت الأخيرة أن تداري ارتعاشة يديها؛ حيث جعلت (أشرقت) تضع يديها فوق عينيها في خجل وهي تقول:

ـ بس انت فاجأتني..

تعالت ضحكاته في سعادة، واسترسل ثلاثتهم في حوار مُمتع ضاحك ألهاها قليلًا عن ذلك الخواء الذي كانت تشعر به منذ قليل، وقد اندمجت في تحريك (أشرقت) وهي تفكر في أن هذا الرجل حضوره ساحر فقد زال الصداع تمامًا، حتى إنها نست وجود (آدم) بل إنها لم تشعر به يقف على باب الغرفة ممسكًا بالقهوة، يتابعهما في صمت وعلى جانب فمه شبح ابتسامة وهو يتابع نظراتها إلى (بدر)؛ بينما يُفكر بإحساس أنكر بشدة أنه غيرة، أن وجوده الدائم

إلى جوارها طوال الأيام الماضية لم يفلح في أن يجعلها بتلك السعادة التي منحها إياها (بدر) الذي لم يمض على وجوده بضع دقائق..

فلتتوقف ساعة وحدتها قليلًا، وليدخر قلبها بعض السعادة، حتى وإن كانت سعادة مؤقتة..

هكذا فكر (آدم) وهو يغلق الباب في هدوء، ويرحل في صمت يصاحبه شعور جارف بالشفقة على صديقته، فهو يعلم جيدًا أن أقصى ما يستطيع (بدر) إعطائها; هو الذكرى..

*****

(14)

لم تعد (مريم) تفارق (أيوب) على الإطلاق، فقد اشترط الأخير قبل توقيع العقد أن تلازمه (مريم) وتكون مساعدته الشخصية طوال فترة التحضير والتصوير للحملة الإعلانية، بل وتحصل على مكافأة مجزية من الشركة، ولم يعترض (أشرف عيسى)، بل لم ينبس بكلمة واحدة، خاصة بعد أن صدمته (مريم) وحصلت على موافقة (أيوب)..

أما (مريم) فقد كانت في منتهى الرضا، ولأول مرة تشعر أن رأسها مرفوع في تلك الشركة أمام كل من أهانها أو استهزأ بها يومًا ما..

لأول مرة تشعر بالزهو حينما رأت رد فعل (حلا) زميلتها في المكتب حينما علمت الأخيرة أن (مريم) ستكون مساعدة (أيوب) الشخصية.. وقتها وعلى الرغم من استغرابها الشديد من شرط (أيوب) واتفاقهما المريض إلا أنها شعرت بالامتنان والشكر له، ومنذ ذلك اليوم لم تفارقه في الشركة أو في استديو التصوير الخاص به، بل لم تعد تفارقه في أي مكان، والحقيقة أنها كانت تحتاج إلى ذلك بشدة..

كانت تحتاج إلى شيء يشغلها طوال اليوم عن ذلك الألم الذي استيقظ بداخلها كالوحش منذ أن عرفت بأمر زواج والدتها من عمها، وإلى ما يبعدها عن المنزل وعن الاحتكاك بوالدتها حتى ترحل الأخيرة عن المنزل وكأنها كانت تُدرب نفسها على الحياة دون والدتها، وتُثبت لنفسها أنها تستطيع الاستغناء عن الجميع ، وبعد أن تزوجت والدتها ورحلت احتاجت أن تبتعد عن المنزل أطول فترة ممكنة كي لا تقتل الوحدة ما تبقى منها، وبالفعل فقد

ساعدها انشغالها في وفاة والدة (كاترين)، ثم عملها المتواصل مع (أيوب) على ذلك..
واليوم; أول ايام التصوير -الذي كان في مقر الشركة المُعلن عنها، والتي تعمل بها (نيرة)- وعلى الرغم من أنها لا تفقه شيئًا في هذا العمل، إلا أن (أيوب) أصر على أن تكون متواجدة، وقد أسعدها ذلك..
كانت (مريم) تقف مع (نيرة)؛ تتحدثان وعيناها معلقة عليه، وهو جالس على مقعده أمام إحدى شاشات التصوير، يتابع التحضيرات بتركيز شديد، ويعطي تعليماته بحزم لمساعديه المنتشرين في المكان.. وعلى الرغم من تركيزه الشديد فقد كان ينظر حوله ليتأكد من وجودها كل فترة، ثم يعود إلى عمله مرة أخرى، وكم كان يشعرها ذلك بزهو شديد وشعور جديد كليًا عليها، فأصبحت تنظر إليه نظرة جديدة وخاصة بعد أن نجح (أيوب) في أن يُطمئنها من ناحيته، في البدايه استغربت بشدة من أنه لم يتحدث عن اتفاقهم مطلقًا، ولم يحاول معها أية محاولة مريبة، بل العكس كانت كل تصرفاته في منتهى الرقة للدرجة التي جعلتها تنسى أمر الاتفاق تمامًا..
توقفت (نيرة) عن الحديث بعد أن تأكدت أن (مريم) لا تسمعها تقريبًا، وأخذت تتفحصها كأنها تراها لأول مرة.. هناك تغيرات كثيرة طرأت على صديقتها؛ فالحجاب الذي كان بالكاد يُظهر حاجبيها تراجع كثيرًا إلى الخلف، والعينان أصبح يزينهما خط من الكحل ضعيف غير مضبوط يدل على قلة خبرة من وضعه، أما الملابس على الرغم من أنها لم تتغير كثيرًا، ولكنها لم تعد بنفس ذلك الاتساع والطول اللذان تعودت عليهما (مريم)..
ـ تصدقي.. أنا أول مرة تقريبًا من يوم ما عرفتك أشوفك لابسة أحمر!.

قالتها (نيرة) بابتسامة خبيثة وهي تلكز (مريم) برقة في يدها كي تنتبه الأخيرة إليها، ثم أكملت وهى تغمز بإحدى عينيها باتجاه (أيوب):

ـ دا باين عليه سره باتع..

اتسعت ابتسامة (مريم) وقد لمعت عينيها من الخجل، وهمت أن تجيب لولا التفاتة (أيوب) وإشارته إليها أن تذهب إليه، فأمسكت بيد (نيرة) وقالت وهي ذاهبة إليه:

ـ عادي يعني.. تعالي أعرفك عليه..

سلمت (نيرة) على (أيوب) الذي حيَّاها بلطف، وتبادل معها حوار قصير، ثم اعتذر منها بكل لباقة كي يعود إلى عمله، وقبل أن يتوجه مرة أخرى إلى مقعده قال لــ(مريم):

ـ خليكي جنبي.. متبعديش..

قالها بطريقة أبهرت (مريم) وأقلقت (نيرة) بشدة، والتي أخذت تتطلع إليه بترقب وقلق، ولكنها في النهاية قالت لـ(مريم) مُداعبة وهي تغمز لها بإحدى عينيها:

ـ طيب خليكي جنبه..

ثم أكملت وهي تشير إلى ذلك المكتب الذي لا يفصله عنهم سوى حاجز زجاجي:

ـ ولو عايزة حاجة أنا في المكتب.. شاوريلي بس، أو ابعتيلى أي عيل صغير يناديني..

أومأت (مريم) برأسها علامة على الإيجاب وهي تحاول كتم ضحكاتها من جراء دعابة (نيرة)، والتي ما إن ذهبت إلى مكتبها حتى عادت هي إلى

(أيوب) مرة أخرى، لا تفعل شيئًا سوى الجلوس إلى جواره صامتة؛ بينما يعمل الجميع في تركيز شديد، حينما رن فجأة هاتف أحد المساعدين..

رفع (أيوب) رأسه ليعرف من صاحب الهاتف، والذي ارتبك بشدة وأسرع إلى هاتفه كي يغلقه تمامًا؛ فالجميع يعرف أن (أيوب) ينبه على الجميع عدم استخدام الهاتف المحمول أثناء العمل، ويوبخ بشدة من يكسر تلك التعليمات، إلا أن الأخير أشار بيده إلى صاحب الهاتف ألا يغلقه، بينما أخذ يهز رأسه ثم كتفيه مع الأغنية والتي كانت الأغنية الأسبانية الشهيرة (Suavements) للمطرب الأمريكي (Elvis Crespo).

كانت الأغنية ذات إيقاع راقص سريع؛ لذلك وقف (أيوب) وسط استغراب جميع الموجودين، وأخذ يرقص بحركات مُدربة وواثقة وهو يشير إلى صاحب الهاتف قائلًا:

ـ هاتها من الأول..

ثم وقف أمام (مريم) وجذبها برفق من يدها لتشاركه الرقص وسط دهشة الحاضرين، والتي تحولت إلى حيوية وسعادة وهم يتابعون ما يحدث أمامهم، وقد اتسعت ابتساماتهم من هذا المجنون.. ولم تكن (نيرة) في مكتبها أقل دهشة من فريق العمل، فقد مدت رأسها إلى الأمام وقد اتسعت عيناها وهي تتابع ذلك المشهد من خلف الحاجز الزجاجي دون أن تفهم شيئًا، فقد كان كل ما تراه (أيوب) يتحرك بخفة غير عادية كراقص محترف، و(مريم) بين يديه كالورقة في الفراغ يحركها الهواء، لا تملك من أمرها شيئًا.. تتحرك معه رغمًا عنها ولا تملك سوى أن تنظر إليه في استجداء أن يتركها ويرحمها من كل

تلك العيون المنصبة عليها، ولكنه أصر على إكمال الرقصة دون أن يلتفت إلى أحد؛ حيث مال عليها وهمس في أذنيها قائلًا:

ـ متبصيش لحد، وسيبي نفسك ليا وللإيقاع..

كان يمسك بإحدى يديها ويطوق خصرها باليد الأخرى، أما هي فقد كانت متعلقة بقميصه لا تفعل شيئًا سوى التمايل بين يديه في توتر، وللحظة ودون أن تدري تاهت في تلك الشعيرات التي كانت تطل من فتحة قميصه حينما استنشقت عطره عن قرب، فأدار رأسها وجعلها تتمنى أن يقربها من صدره أكثر، ولكن حركة مفاجئة منه جعلتها تفقد توازنها وتتعثر في إحدى قدميه، إلا أنه رفعها عن الأرض بضعة سنتيمترات كي لا تسقط؛ مما جعلها تلتصق بصدره تمامًا..

ارتعشت أطرافها وانتفضت من ذلك التقارب الذي أعاد إليها ذكرى لقائهما الأول، وبسرعة ودون أن يترك لها الفرصة أن تستعيد تفاصيل ذلك اللقاء، أنزلها مرة أخرى وأبعدها قليلًا عن صدره وهو يغمز لها بإحدى عينيه، ثم قال وهو ينظر إلى حذائها الرياضي:

ـ أُمَّال لو كنتي لابسة كعب كنتي هتعملي إيه؟

لم تستطع الرد عليه.. سرعة حركاته وتسارع أنفاثها ألهياها عن كل شيء.. كان يقربها منه ويبعدها عنه بسرعة جعلتها في حالة تشبه الدوار، ورويدًا رويدًا بدأت تنفصل تمامًا عمن حولها، وتستمتع بتحريكه لها كالعرائس المتحركة، وقد شعرت أن الحياة قد بدأت تدُب في داخلها مع إيقاع الموسيقى وحركات يديه المُدربتين، فلم تعد تفكر في شيء سوى عطره الرائع، وكيف

يمكن أن يحمل وجوده كل هذا الأمان والخطر في آن واحد.. جذبها إلى صدره مرة أخرى وأخذ يتطلع إلى وجهها مباشرة ثم سألها باستنكار:

ـ انتِ آخر مرة عملتي حواجبك إمتى؟

وكأنه ألقاها من الطابق العشرين.. هوى السؤال على أذنيها كالمطرقة فانتفضت وابتعدت عنه في حركة سريعة مفاجئة مما جعلها تفقد توازنها تمامًا، ولكنه كالمعتاد أحكم يده على خصرها وأمسك بها في آخر لحظة قبل أن تسقط؛ كأنه يخبرها أن بيده كل شيء، ثم قال بنبرة ذات مغزى:

ـ مش قلت لك سيبي نفسك ليَّا؟

شهقت من الخضة؛ بينما تردد صدى ضحكته في المكان تزامنًا مع انتهاء الأغنية حينما أعادها تصفيق الموجودين إلى الواقع.. نظرت حولها وعلى وجهها شبح ابتسامة، وقد استغربت بشدة من عدم إحراجها أو خجلها من الموقف..

أخذ نفسًا عميقًا وهو ينظر إليها بطريقته الرائعة، ولكنها قابلت نظرته بابتسامة باهتة، وقد حل بداخلها محل السعادة إحساس مُبهم لم تستطع تفسيره، ربما هو مزيج من الخوف والثقة والضعف والاحتياج..

وماهى إلا لحظات حتى عاد الجميع،كُلٌ إلى عمله، وعادت هي إلى جواره، وقد استقر بداخلها يقين أن هذا الرجل لن يمسك بها إلى الأبد..

فهى معه هاوية لا محالة..

*****

(15)

ـ بقولك (مريم) متغيرة.. وبطريقة تقلق.. دي كانت لابسة أحمر..

قالتها (نيرة) وهي تحتسي عصير اليوسفي المفضل لديها؛ حيث كانت جالسة على مائدتهن المفضلة (مائدة 31)، موجهة حديثها إلى (صبا)، والتي أجابتها وهي ترفع حاجبيها بطريقه تمثيلية:

ـ لأ.. الموضوع كدا يقلق فعلًا..

نظرت إليها (نيرة) بغيظ من تهكمها فأكملت (صَبا) بابتسامة واسعة؛ بينما كانت تمسك جانبَي جبهتها بإبهامها وسبَّابتها من شدة الصداع:

ـ يا بنتي متكبريش الموضوع.. سيبيها تفك شوية، إحنا ما صدقنا بدأت تخرج من الشرنقة اللي هي فيها..

ـ يعني يوم ما تفك، تفك مع واحد داخل على الخمسين؟ هو آه مش باين عليه خالص بس انتِ مش عارفة هما بيقولوا عليه إيه في الشغل..

ثم أكملت بصوت خفيض:

ـ م الآخر رجل وسخ.. والهبلة التانية لا هتعرف تصد ولا ترد معاه..

نظرت إليها (صَبا) نظرة قلقة بعد أن بدأت تشعر بخطورة الأمر، ولكنها قالت حينما لمحت (آدم) يقترب منهما:

ـ طيب قفلي على الحوار.. (آدم) جِه..

أقبل عليهما (آدم) بوجهه البشوش وملابسه السوداء التي يرتديها باستمرار، سلَّم عليهما وهو يقول لــ(نيرة) مداعبًا، بينما يهم بالجلوس:

ـ انتِ لسة بتشربى يوسفندي؟

أجابته (نيرة) بالأسلوب نفسه:
ـ وانت مش ناوي ربنا يتوب عليك وتسيب عبدة الشيطان؟
ضحكوا ثلاثتهم ثم سألهما (آدم):
ـ أُمال فين باقي العصابة؟
أجابت (نيرة):
ـ (مريم) المفروض في الطريق.. و(كاترين) معرفش هتيجي واللا لأ؟
سألتها (صَبا) في حزن:
ـ مأكدتيش عليها؟
ـ إزاي؟ ما إنتي عارفة.. رامية الموبيل معايا من يوم اللي حصل.. ومبتردش على تليفون البيت..

قالتها (نيرة) في ضيق ما لبث أن تحول إلى دهشة انتقلت عدوتها إلى كل من (صَبا) و(آدم) وهم ينظرون ثلاثتهم إلى (مريم) القادمة باتجاههم، والتي اخترقتها نظراتهم المندهشة، فزادت من سخونة وجنتيها واضطراب قدميها..

كانت (مريم) تسير غير متوازنة بسبب ذلك الحذاء الجديد ذو الكعب العالي، والذي اتضح لها أنها لم تتمرن على السير به بالقدر الكافي، فقد جعلها تترنح يمينًا ويسارًا كالتي تسير فوق المياه، ولكن لم يكن ذلك هو سبب اضطرابها الوحيد، فهناك ذلك الرداء الأخضر الطويل والفضفاض الذي كانت ترتديه لأول مرة في حياتها، وترتدي فوقه سترة جينز لا تكاد تصل إلى خاصرتها، والأهم من كل ماسبق هو ذلك الألم المتواصل في النصف الأعلى من وجهها، والذي نتج عن تهذيب حاجبيها لأول مرة منذ أن أعلنت الطبيعة اكتمال أنوثتها.. لذلك حاولت أن تلهي نفسها عن كل ذلك بأن تركز في خطوات

قدميها كي لا تسقط من الخجل، وما إن وصلت إليهم حتى كادت أن تنكفئ على وجهها، لولا أنها أمسكت بحافة المائدة، فأسرع إليها (آدم) قائلًا بتلقائيته المعتادة:

ـ اسم الله عليكي.

انفجرت كل من (نيرة) و(صَبا) في الضحك من رد فعل (آدم)، وبينما كانا يُجلسان (مريم) اقتربا من وجهها بطريقة ملحوظة مدققين فيه النظر، ثم قالت (نيرة) بابتسامة جزلة:

ـ نعيمًا..

تبعتها (صَبا) هامسة وهي تغمز بإحدى عينيها:

ـ دا باين عليه حكيم روحاني مش مخرج إعلانات..

حاولت (مريم) أن تداري إحراجها وتكتم ضحكتها من تعليق صديقاتها، وهي تنظر إليهما إن يصمتا مشيرة بعينيها إلى (آدم) قائلة:

ـ ما تخرسوا شويه..

وبالفعل عادت كل منهما إلى مقعدها وهما يضحكان، ثم بدأوا جميعًا يتجاذبون أطراف الحديث حينما مالت (صَبا) على أذن (نيرة) وقالت بخبث:

ـ إحنا مركزين النهاردا بزيادة..

ابتسمت (نيرة) وهي تعرف من تقصد (صَبا)..

إنها تقصده، ذلك الرجل الذي يجلس مع أصدقائه باستمرار على مائدة أمامهم خاصة بهم، لا يجلس عليها غيرهم حتى وإن كانوا غير موجودين..

تعرفه وتشعر به وبنظراته التي أصبحت أكثر جرأة وتركيزًا، والحقيقة أنه نجح في شد انتباهها أكثر من ذي قبل، فقد كان ينظر إليها بطريقة تشعل في

نفسها ألف تساؤل، كأنه يناديها أو يخبرها بشيء ما بعينيه، وبجرأة لم تتعودها على الإطلاق نظرت مباشرة إليه، ولثوانٍ ظلت شاخصةً ببصرها على ملامحه دون أن تهرب كالعادة..

أسرتها سمرته الرائعة، وملامحه الهادئة، ثم ذقنه النابتة في مشهد يغري أي امرأة أن تطيل النظر إلي ذلك الوجه، وحينما إنتبهت إلى نظرته المباشرة، وشروده في وجهها، نزعت عينيها من عينيه في سرعة، وهي تحاول أن تداري خجلها في الاندماج مع أصدقائها في الحوار، حيث عرضت عليهم أن يلعبوا الورق..

وافقوا جميعًا على اقتراحها، ثم اتفقوا على أن يلعبوا لُعبة (الشايب)، وبالفعل بدأوا في اللعب بحماس، واندمجوا بشدة حتى تعالت ضحكاتهم حينما إنتهت اللعبة بخسارة (نيرة)..

رفعت (صَبا) كلتا يديها قائلة في سعادة:

ـ أنا الكينج يبقى أنا اللي أحكم.

وافقها كل من (مريم) و(آدم) ، فأخذت تنظر إلي (نيرة) في توحُد وهي تحاول التفكير في إصدار حُكم قاسٍ، حينما مر من أمامهم أحد النُدلاء وهو يحمل صينية فوقها فنجان من القهوة، فسألته (صَبا):

ـ (حسين).. القهوة دي رايحة لمين؟

أشار (حسين) إلى الرجل الجالس على المائدة التي أمامهم -والذي اعتدل في جلسته وزاد تركيزه مع الحوار الدائر أمامه- وقال بابتسامة واسعة كأنه تعود على مثل تلك المواقف منهم:

ـ رايحة للشيف (مراد)..

لمعت عينا (صَبا) وهي تنظر إلى (نيرة) التي اتسعت عيناها كأنها قرأت ما دار في بال صديقتها، فقالت لها:

ـ استحالة.. انسي..

ـ أنا ليا طار عندك.. قومي قدمي القهوة.. ثم أكملت وهي تغمز بعينيها:

ـ للشيف (مراد)..

ضحكت (مريم) وقد تذكرت تلك الليلة في شرم الشيخ، فرفعت إبهامها لأعلى علامة على أنها استحسنت الحكم، بينما ظل (آدم) ينقل بصره بينهما في سعادة وصمت..

حاولت (نيرة) التملص من الحكم وهي تنظر إلى (صَبا) نظرة رجاء مرة، ونظرة استنكار أن ما تفعله لا يجوز مرة أخرى، ولكن ظلت الأخيرة على موقفها ووافقها الجميع؛ لذلك لم تجد (نيرة) بدًا من أن تأخذ الصينية من النادل وتذهب لتقديمها إلى (مراد)..

(مراد) رددت اسمه بداخلها وهي تسير باضطراب وخجل وبطء ناحيته.. ابتسمت وهي تفكر أن آخر ما كانت تتوقعه أن يكون طباخًا..

وعلى الرغم من أنها كانت تشعر بإثارة غريبة..

وعلى الرغم من أنها لأول مرة منذ ما يقرب من شهرين، منذ انفصالها عن (علي) تشعر بإحساس غير إحساس الغضب، إلا أنها ما إن وقفت أمامه حتى قررت أنها ستقتل (صَبا) لا محالة..

مدت إليه بيدها المرتعشة صينية القهوة؛ قائلة بصوت خفيض مرتبك وابتسامة خجولة:

ـ اتفضل..

هكذا فقط دون أن تشرح له أي شيء معتمدة، على أنه كان يتابعهما منذ البداية.. نظر إلى عينيها مباشرة نظرة ثابتة اخترقتها فأشعلت في وجهها النار، ثم هبط بعينيه إلى يدها اليمنى، وحينما عاد بعينيه إليها مرة أخرى كان يحمل معه ابتسامة أنارت ملامحه بشكل أبهرها، وبينما كان يمد يده ليتناول فنجان القهوة جاء صوت صديقه وهو يقول في سخرية:

ـ ياريتني كنت طلبت قهوة..

تجمدت ملامح (مراد) الذي التفت إلى صديقه، ونظر إليه نظرة محذرة قاسية أخرست الأخير، وحينما عاد إليها كانت ملامحه مختلفه تمامًا، فقد كان وجهه متجهمًا، وقال لها باقتضاب وهو يأخذ منها الصينية:

ـ شكرًا..

توترت ملامح (نيرة) من تغيره المفاجئ، وأومأت له برأسها دون كلمة واحدة، ثم استدارت وقد شعرت فجأه بسخافة ما فعلت، وندمت بشدة على ذلك، وفي طريق عودتها إلى المائدة كان وجهها ممتقعًا محمرًا، ولكن هذه المرة من الغضب، وكل ما كنت تفكر فيه أن القتل لن يكون كافيًا لــ(صَبا)...

*****

الوِحدة أطيب حد ممكن يبقى صاحبك
ع الأقل مش بيُغدر
بس تعرف؟..
برضو أوقات تبقى محتاج حد جنبك
حد يسند..
لَمَّا تيجي تقف لوحدك
غصب عنَّك.. مش بتقدر
الغريب في البنت لَمَّا ساعات بتضحك
ضحكة مليانة بدموع..
والغريب في الغُربة يشبه
صورة فيها صليب وحبل وصرخة
تستنجد.. يسوع
كل واحد فينا راوي..
ومن كلامك.. جِه كلامي
كل دَمعة خد تشبه.. أختها على خد تاني..
تختلف بس الأسامي.

قالت ذات اللون الأخضر بابتسامة تمثيلية

ـ عجبي على بنت لذيذة شقية من برَّاها..

تبعتها ذات اللون الأسود بوجه حزين:

ـ لكن حزينة من جواها..

ثم أكملت ذات اللون الأبيض:

ـ تبص لوِشَّها تلاقي البدر منور ليلاتي..

أنهت ذات اللون البنفسجى الرُباعية قائلة بوجه شاحب:

ـ وتبص جواها تلاقى بني أدم بيموت يوماتي..

تنهد أربعتهن تنهيدة قوية، ثم قلن بصوت واحد:

ـ وعجبي.....

*****

(16)

كان لدى (نيرة) شعور دائم بأنها رأت (مراد) قبل ذلك في مكان ما خارج حدود المطعم، ولكن لقلة متابعتها للإعلام عامة وبرامج الطبخ خاصة لم تتخيل أن يكون هو نفسه ذلك الطاهي الماهر الذي تتهافت على برامجه نصف سيدات مصر..

ابتسمت وهي تتذكر حديثهم الأول منذ ما يقرب من شهرين، فقد عادت بعد أن قدمت إليه القهوة وهي في قمة غضبها من طريقة معاملته لها، والتي أسمتها غرور مبالغ فيه..

كانت غاضبة حانقة عليه وعلى (صَبا) حتى إنها قررت الرحيل فورًا، وفي فراشها كانت تتقلب في أرق وهي تراجع كل ما حدث، يكاد يصيبها الجنون من غرابة تصرفاته; هي متأكدة من أنه يتابعها منذ فترة طويلة، هي تشعر بعينيه المركزتين عليها كما إنها رأت تلك النظرة الرائعة فيهما وهي تقدم إليه القهوة، إذن لماذا تلك الطريقة المتعجرفة التي عاملها بها؟..

زفرت في ضيق واعتدلت جالسة في الفراش، وقد شردت في ظلام الغرفة، والذي لا يقطعه شيء سوى بصيص ضوء بعيد جاء من إنارة الشارع..

الليلة هي الأولى التي يؤرق ليلها التفكير في رجل غير (علي)..

(علي).. كيف استطاعت أن تتجاوز حكايتها معه وحبها له للدرجة التي تجعلها تفكر في رجل آخر؟

هل تجاوزت رحيله المفاجئ بالفعل؟ بل هل أحبته حقا؟

تُري هل ستشفى من تلك الصفعة؟

إنها لم تبكِ، لم تذرف دمعة واحدة على الرغم من وجوده أمامها كل يوم في العمل، بل إنها لم تتحدث مع أحد من صديقاتها في ذلك الموضوع، فهن يعرفنها جيدًا، فهي لا تتحدث قبل أن تُشفي تمامًا، ولكنها تشعر أن هناك فتاة أخرى تسكنها، تؤدي واجباتها عنها؛ تعمل وتأكل وتنام وتضحك بدلًا منها..

ربما لا زالت في مرحلة الصدمة.. وربما كل الظروف اللاتي مررن بها هي وصديقاتها كانت رحمة من الله ليخفف عنها وطأة تركه لها.. ربما..

قطع تفكيرها ذلك الصوت المميز لبريد الـ(فيس بوك)، والذي أخبرها بأن هناك رسالة جديدة بُعثت إليها..

أمسكت بهاتفها المحمول وفتحته في ملل ما لبث أن تحول إلى دهشة حينما رأت اسم المُرسل وصورته..

فتحت الرسالة في عدم تصديق، وأكلت محتواها بكلتي عينيها والذي كان..

(إزيك؟ آسف على اللي حصل من صاحبي النهاردا، وآسف أكتر على قلة ذوقي.. بس أنا فضلت أنهي الحوار بسرعة علشان محبتش حد تاني يضايقك بالكلام)..

أخذت تنظر إلى صورته وقد اتسعت ابتسامتها كأنها لم تبتسم منذ سنوات، فقد كان هو (مراد) يرتدي طربوش الطهاة المميز ويبتسم ابتسامته الخلابة..

ولكن كيف وصل إليها بتلك السرعة؟ كيف عرف حسابها الشخصي على الـ(فيس بوك)؟

نظرت إلى تلك النقطة الخضراء إلى جوار اسمه، والتي تخبرها أنه لا زال متصلًا بالإنترنت، وشعرت كأنه ينتظر ردها، ثم ابتسمت وهى تتخيله الآن

يهز في قدمه ويعض بأسنانه على شفته السفلى كما تعودت أن تراه.. احتارت بما ستجيبه، ولكنها وجدت نفسها ترد عليه ردًا في منتهى الاقتضاب، وكأنها ترد له عجرفته معها منذ ساعات:

ـ انت مين؟

ـ أنا الشايب..

اتسعت ابتسامتها أكثر من رده الغير متوقع.. تتخيله الآن وهو يبتسم.. ودون أن تدري أخذها في حوار طويل استمر حتى الفجر، ومنذ تلك الليلة انجذبا كقطبي المغناطيس وأصبحا أصدقاء..

تحدثا كثيرًا وعرفا عن بعضهما البعض أكثر، أخبرها بمنتهى الصراحة أنه متزوج وأب، ولكن زواجه على شفا هاوية.. يتخذ المنزل كالفندق، أما زواجه فهو كأرجوحة أحبالها شبه متهتكة، ولكنها موجودة فقط للحفاظ على شكل الأرجوحة الخارجي.. أما أية محاولة لاستعمالها فستؤدي مؤكدًا إلى إصابة خطيرة.. يحيا حياة مُملة ميتة مع امرأة فقد كل أنواع التواصل معها منذ زمن.. يعشق عمله ولكنه كثيرًا ما يضيق بشهرته..

وهى أيضا أخبرته بأمر (علي) باقتضاب شديد لاحظه، ولكنها لم تتحدث معه في أي تفاصيل، وأخبرته عن صديقاتها وعن علاقتهن القوية، وعن والدها وافتقادها الجنوني له، على الرغم من مرور كل تلك السنوات..

آخر ما كانت تتخيله أن تصادق رجلًا متزوجًا، حتي وإن كانت مجرد صداقة، كان ذلك بالنسبة إليها شيء مرفوض فيه مجرد النقاش وضد مبادئها تمامًا، ولكنها وجدت نفسها دون أن تدري تنجذب بقوة إلي تلك العلاقة دون أدنى مقاومة منها.. فقد اقتربا بسلاسة واندمجا في هدوء.. عرف كل منهما كيف

يحتوى الآخر جيدًا.. عرف كل منهما ما ينقص الآخر، وحاول أن يعوضه عنه، بل اتخذ كل منهما الآخر فترة راحة من كل المشاعر المُرهِقة التي تحيط بهما..

واليوم أخبرها بأنه سيحتفل بعيد مولدها على طريقته الخاصة، وستكون هديته لها مختلفة تمامًا مثل كل شيء فيه.. ستكون هديته مقسمة لثلاث مراحل كما قال لها في الهاتف:

ـ الأولى: هطبخ لك.. والثانية: هديكي حاجة بتاعتك.. والثالثة: هخليكي تجربي حاجة كان نفسك فيها من سنين..

لم تفهم منه شيئًا سوى الأولى، لذلك هي اليوم تجلس أمامه متأنقة في مطبخ مطعمهم المُفضل -والذي عرفت أنه يمتلك ثُلثه- ولكن ولأول مرة ليست على مائدة 31..

كانت تتطلع إليه بإعجاب وهو يتحرك بخفة، يقطع الخضروات التي أمامه بحرفية وسرعة شديدتين بينما يعطى أوامره السريعة والحازمة لمُساعده المسكين، الذي يحاول محاولات بائسة مجاراة سرعة رئيسه ومُعلمه الشيف (مراد البنا) أشهر طباخ في مصر..

قالت وهي تتابع حركته السريعة المشوقة، وطريقته الرائعة في تقديم الأطباق التي ينتهي منها:

ـ مممممم.. الروايح تجنن، انت طابخ إيه.

رفع رأسه إليها وقال بابتسامة جذابة:

ـ تشكيلة لبناني على إيطالي على صيني على مصري.. دقايق والأكل هيخلص..

قالها ثم أحضر (طاسة) كانت فوق الموقد وأفرغ محتوياتها بمهارة في طبق أخير ألحقه بباقي الأطباق المرصوصة أمام (نيرة) ثم أشار بيده إلى أصناف الطعام تباعًا قائلًا:

ـ الـ appetizer (أرنشينو دي ريزو)، سجق بصلصة دبس الرومان..

وال main dish (بيف شاو مين)..

وهنحلي بـــ(بروفيترول بالنوتيلا) وأم علي..

سألته (نيرة) بطريقة ساخرة:

ـ يعنى أيه أم علي؟

قهقه عاليًا في سعادة، وأجابها وهو يخلع رداء المطبخ ويجلس إلى جوارها بعد أن أشار إلى مساعده بالانصراف:

ـ دي كانت واحدة شمال، بس ربنا تاب عليها وجابت (علي)..

ضحكت ضحكة رائعة؛ بينما أكمل وهو يضع أمامها كوب من العصير:

ـ وطبعا منقدرش ننسى عصير اليوسفندي.. وصحيح الأكل كله سبايسي زي ما بتحبي..

نظرت إليه مبهورة وهي تسأله:

ـ انت إزاي عرفت كل دا؟

ـ علشان أنا اللي كنت بعمل لك أكلك..

لمعت عيناها؛ ليس من كلماته، بل من الطريقة التي قال بها تلك الكلمات، احمرت وجنتاها وحاولت أن تهرب من عينيه، فقالت مداعبة:

ـ ياللا قبل ما الهونج شاو شينج يبرد، وأنا استحالة آكله وهو بارد..

ضحك بقوة من دعابتها، ثم أصلح لها اسم الأكلة، وبدأ في تعريفها بباقي الأكلات.. أخذا يتحدثان وهما يتناولان الطعام حديثًا ممتعًا لا ينتهي.. كان كل شيء حولها رائع، ولم تعرف بالتحديد مصدر تلك الروعة، هل كان الطعام ومذاقه المختلف؟ أم كان مذاق صانعه هو المختلف بحديثه الحُلو وحضوره الخفيف؟ أم عطره المميز الذي جعلها تفكر في روعة استنشاقه عن قُرب؟..

انتهى وقت الطعام ولا زالت (نيرة) مأخوذة بجمال كل شيء حولها؛ حينما جاء وقت الهدية الثانية فاصطحبها (مراد) وخرجا من الباب الخلفي للمطعم، حيث كانت سيارته مصفوفة..

فتح (مراد) السيارة، وحينما همت هي بالركوب استوقفها قائلًا:

ـ لأ.. مش هنركب العربية!.

نظرت إليه باستغراب زاد حينما أعطاها تلك الحقيبة الورقية، والتي أحضرها من داخل السيارة وقال لها وهو يعيد إغلاقها بجهاز التحكم عن بُعد:

ـ ودي الهدية التانية: حاجة بتاعتك وكانت ضايعة منك..

فتحت الحقيبة في فضول، ثم تسمرت عينيها من المفاجأة..

نظرت إليه غير مصدقة وهي تخرج محتوى الحقيبة، والذي كان وشاحها الصوفي الأخضر الذي اختفى منذ يوم حفلة ميلاد (كاترين) ولم تجده في أي مكان.. حاولت أن تتكلم، ولكن خانتها كل الكلمات، ثم أخيرًا قالت وبريق دموع يلمع في عينيها:

ـ انت مش متخيل الكوفية دي بالنسبة لي إيه؟ دي آخر هدية من بابا –الله يرحمه–..

قالت كلماتها وهي تضم الوشاح إلى صدرها كأنها تضم معه ذكرى أبيها.. نظر إليها بحنان جارف وهمَّ أن يواسيها، ولكنه قرر تغيير دفة الحوار، وخاصة بعدما رأي بضع دَمعات غافلتها وهربت من عينيها؛ لذلك سألها في حماس :

ـ مش عايزة تعرفي هديتك التالتة؟

مسحت دموعها بأطراف أناملها وتبعته بنظراتها، وحينما توقف قفزت كالأطفال وصفقت بيديها غير مصدقة، وكأن بين يدي هذا الرجل جهاز للتحكم في مشاعرها عن بُعد..

كان (مراد) يقف إلى جوار دراجة بُخارية من ماركة (هارلي) حيث بدأ يلبس قفازه وخوذته وهو يشير إليها قائلًا:

ـ جاي واللا الدور الجاي؟

لم تتردد لحظة واحدة، فقد أسرعت إليه وقفزت في سعادة خلفه وهي تتساءل: ما الذي أصابها؟ منذ متى وهي بهذا الاندفاع؟ هي مجنونة؛ تحب دائمًا فعل الأشياء الجديدة، ولكن بصُحبة صديقاتها، ولكنها لم تتحلى يومًا بتلك الجرأة وذلك الانطلاق أمام شخص لا تعرفه بما يكفي..

تحرك فجأة بالدراجة فاهتزت هي لدرجة كادت معها أن تسقط، ولكنها تشبثت بكتفيه القويتين بينما إنطلقت منها ضحكة حماس عالية وهو ينطلق مسرعًا..

طار شعرها من قوة الهواء، وقد شعرت أن هناك حياة ما بدأت في الحبو بداخلها، وهي تفكر في أن هذا الرجل قد أعطاها في ليلة واحدة سعادة تكفيها عمرها القادم كله..

(17)

ـ يا بنت الذين.. ركبتي موتوسيكل؟

قالتها (صَبا) غير مصدقة، وقد أخرجت رأسها فقط من خلف ستارة غرفة تغيير الملابس في أحد المحلات حيث كانت تقوم بتجربة بعض الملابس..

ضحكت كل من (نيرة) و(مريم) من رد فعلها، ثم قالت (مريم) لــ(صَبا) وهي تشير بعينيها إلى (نيرة) دون أن تنتبه الأخيرة:

ـ قيسي واخلصي، الكلام مش هيخلص، في حاجات تانية عايزين نجيبها..

اختفت (صَبا) خلف الستارة مرة أخرى في سرعة، وقد تذكرت أن عليها الانتهاء سريعًا.. فاليوم يعدُون مفاجأة لــ(نيرة) بمناسبة ذكرى مولدها، وقد تجمع أربعتهن اليوم في ذلك المركز التجاري الكبير لذلك السبب، حيث أقنعتها أنها تريد أن تشتري فستانًا جديدًا لترتديه في حفلة (عمر خيرت) والتي ستكون فيها بصحبة (بدر)..

أخذت (صَبا) ترتدي ذلك الفستان بينما تستمع إلى (نيرة) وهي تُكمل حديثها، وبعد أن انتهت أخذت تتطلع إلى نفسها في تلك المرآة الكبيرة في زهو لم يعكر صفوه سوى ذلك الصداع العنيف الذي أصبح يلازمها طوال اليوم بشكل مُرهق، وتزيد حدته عن المعقول في فترة الصباح، لذلك أمسكت جبينها بإحدى يديها في ألم، بينما استندت بيدها الأخرى إلى الحائط حيث شعرت بإعياء شديد، ولكن ما إن وصلها صوت الفتيات في الخارج يحثونها على الإسراع حتى تحاملت على نفسها واعتدلت في وقفتها، ثم أخذت نفسًا عميقًا وخرجت إليهن..

زمت (نيرة) شفتيها ورفعت إحدى حاجبيها علامة على أنها استحسنت ما ترتديه (صَبا)؛ حيث قالت:

ـ برنسيسة.. ولا كلمة.. take it.

بينما قالت (مريم) بلهجة محايدة:

ـ بصي.. هو تحفة، بسسسس.. أنا شايفة إن عندك حاجات كتير شيك قوي تقضي بيها..

أجابتها (صَبا) وهي تغمض عينيها في ألم من قوة الصداع:

ـ يابنتي دا (عمر خيرت)، يعني لازم ألبس حاجة جديدة..

ردت عليها (مريم) بخبث وهي تغمز بإحدى عينيها:

ـ على أساس إن (عمر خيرت) شاف دولابك كله قبل كده؟

ـ وانتي زعلانة ليه؟ هو انتي دافعة حاجة من جيبك؟

قالتها (صَبا) بعصبية واضحة سرعان ما ندمت عليها حينما رأت نظرة (مريم) الصامتة المُعاتبة، فاقتربت منها وقالت لها في أسف:

ـ متزعليش يا ميما.. والله مكانش قصدي، بس الصداع بجد معصبني..

أومأت (مريم) برأسها بتَفهُّمٍ، بينما سألتهما (نيرة):

ـ هي (كاترين) راحت فين؟

أجابتها (مريم) وهي تشير بسبابتها إلى الخارج:

ـ راحت توكيل الساعات اللي قدامنا.. ثم أكملت وهي توجه حديثها إلى (صَبا):

ـ ادفعي حسابك على ما أروح أجيبها..

ثم تركتهما وذهبت إلى (كاترين) التي كانت تقوم هي الأخري بدفع حساب الساعة التي ابتاعتها توًا.. وقفت (مريم) إلى جوارها وقد أخرجت الساعة من عُلبتها لتشاهدها، ثم سألتها في استغراب:

ـ لمين دي؟

أجابتها (كاترين) دون أن تنظر إليها:

ـ لبابا علشان عيد ميلاده..

ـ بس دي شبابي أوي على باباكي..

ـ مش مشكلة.. أنا جيبتها خلاص..

قالتها (كاترين) ببرود وهي تأخذ الساعة من يد (مريم) وتعيدها إلى علبتها ثم تسبقها إلى خارج المحل، حيث تبعتها الأخيرة وهي تفكر في ضيق أن صديقتهن قد تغيرت كثيرًا وبشكل ملحوظ، فلم تعد تجتمع معهن كالسابق، بل إنهن لم يرونها منذ ما يقرب من شهرين، وحتى حينما تكون بصحبتهن تكون دائمًا شاردة، صامتة لا تشاركهن في الحديث والمزاح كما أعتدن منها، حتى إنها اليوم جاءت بعد إلحاح شديد من (صَبا).

أما (صَبا) فقد كانت تحاول إلهاء (نيرة) بأية طريقة، فأخذتها إلى إحدى أكشاك الأكسسوارت الحريمي الموجودة في منتصف رواق المركز التجاري بحجة أنها تريد ابتياع حلق ترتديه مع الفستان..

وحينما كانت (نيرة) منهمكة في البحث عن الحلق، لفت انتباهها صوت طبل ومزمار، وما إن استدارت لترى ما يحدث خلفها حتى وجدت نفسها محاطة بفرقة مزمار بلدي مكونة من ثلاثة أفراد، يعزفون لها في حماس، بينما توقف المارة في سعادة لمشاهدة ما يحدث..

أخذت (نيرة) تنظر حولها في عدم تصديق وهي تضحك في هيستيريا موجهة حديثها لــ(صَبا):

ـ يا مجانين.. دي أكيد فكرتك يا بنت الذين..

ضحكت (صَبا) في سعادة ثم أشارت إليها أن تنظر خلفها وهي تقول في سخرية مقلدة (مراد):

ـ ودي بقى هديتك التانية..

نظرت (نيرة) حيث أشارت (صَبا) ثم شهقت في سعادة، ووضعت يديها على فمها من المفاجأة، فقد كانت (مريم) آتيه باتجاهم، تقود دراجة حمراء معلق عليها الكثير من البالونات، وما إن وصلت إليهن حتى أخذت تدور حول (نيرة) بالدراجة وهي تقول بصوت عالٍ ليغطي على صوت المزمار:

ـ إحنا برضو بنعرف نعمل مفاجأت..

قهقهت (نيرة) بصوت عالٍ وهس تنظر حولها في انبهار، وقد احمر وجهها بقوة حينما لاحظت تجمهر المارة لمشاهدة ما يحدث في سعادة، بل لقد شاركهن البعض الرقص والفرحة، بينما أخرج البعض الآخر هواتفهم المحمولة لتسجيل ما يحدث أمامهم..

أخذت (نيرة) تنظر إلى صديقاتها في سعادة وحب، وقد اغرورقت عيناها بالدموع وهي تفكر كم هي إنسانة محظوظة بوجود أولئك الملائكة المجانين في حياتها، واللاتي يحاولن إدخال السعادة على قلبها بأية وسيلة..

لاحظت (صَبا) أن (كاترين) تقف بعيدًا تتابع ما يحدث كالأغراب، بعيون شاردة وملامح باهتة لا تعبر عن شيء كأن ما يحدث لا يعنيها، فأخذت تشير إليها من مكانها لكي تنضم إليهن، ولكن هيهات، فقد كانت (كاترين) كأنها

تتابع التلفاز، ثم فجأة وجدتها تنظر بغضب إلى أحد الواقفين إلى جوارها وتتحدث إليه بطريقة كانت تبدو حادة، بينما كان الرجل ينظر إليها باستغراب ويشيح بيديه في غضب..

شعرت (صَبا) أن هناك شيئًا غريبًا، ولكنها لم تفهم شيئًا مما تراه فحاولت أن تنادي على (كاترين)، ولكن الأخيرة لم تسمعها، فقد كان صوت المزمار يعلو على كل شيء؛ لذلك اتجهت إليها (صَبا) ولكن في خطوات متثاقلة وأقدام مرتعشة.. فلقد زادت حدة الدوار بطريقة أفقدتها توازنها.. كانت دقات الطبول كأنها تدق في رأسها بقوة وعنف، يصاحبها طنين قوي في أذنيها، بينما تداخلت الوجوه في بعضها البعض.. وشيئًا فشيئًا ابتعدت أصوات الموسيقى ثم فجأة توقفت تمامًا..

علا صوت (كاترين) وقد بدأت تتشاجر مع الرجل وتتهمه بأنه يحاول التحرش بها، بينما أخذ الرجل يدافع عن نفسه ويصرخ فيها متهمًا إياها بالجنون..

أسرعت كل من (نيرة) و(مريم) لتبين الأمر، بينما كانت (صَبا) تقف تنظر حولها في عدم إدراك.. تحاول التحدث، ولكن ذلك الثُقل في رأسها والطنين في أذنيها يمنعانها من أي رد فعل..

ثم فجأة ودون مقدمات وقعت مغشيًا عليها..

*****

(18)

ألقت (صَبا) نظرة أخيرة على نفسها في مرآة حقيبتها الصغيرة قبل أن تترجل من السيارة الأجرة التي توقفت بها أمام إحدى أبواب دار الأوبرا المصرية؛ حيث كان ينتظرها (بدر) بالداخل أمام المسرح الكبير لحضور حفل الموسيقار (عمر خيرت)..

أخرجت مرآتها الصغيرة للمرة العاشرة لتتأكد أنها نجحت في إخفاء شحوبها وإرهاقها جيدًا بمساحيق التجميل..

تطلعت إلى نفسها في ضيق..

على الرغم من أنها في قمة تأنقها إلا أنها تشعر أنها لم تعد إلى طبيعتها بعد ما حدث لها في المركز التجاري.. تشعر أنها أصبحت باستمرار باهته ذابلة، وخاصة بعد أن ألقى ذلك الصداع اللعين بظلاله أسفل جفونها..

أعادت المرآة إلى مكانها في سرعة كأنها لا تريد أن تكتشف في وجهها شيئًا أخر يقلل من ثقتها في نفسها، ثم أكملت طريقها إلى (بدر) وهي تفكر في خجل كيف سيكون رد فعله حينما يراها؟ وخاصة أن تلك هي المرة الأولى التي يراها بملابس كلاسيكية، ولكنها ما إن لمحته من بعيد حتى خفق قلبها واضطربت أمعاؤها مثلما يحدث في كل مرة تراه فيها، وكأنها المرة الأولى..

كان (بدر) يقف على مرمى بصرها مستندًا بظهره إلى الحائط؛ بينما يضع كلتا يديه في جيوب بنطاله ينظر إلى العالم حوله في لامبالاة، ثم يعود وينظر إلى الأرض وهو ينقر بإحدى قدميه نقرات متتالية تدل على ملله، يرتدي بزة سوداء وقميص أبيض ملقى بإهمال حول ياقته ربطة عنق سوداء أيضًا..

أخذت تنظر إليه في إعجاب شديد منتهزة فرصة أنه لم ينتبه بعد إلى وصولها.. كان رائعًا أنيقًا يافعًا، وقد ألقت عليه ملابسه جاذبية خارقة، وجعلته أطول من المعتاد.. نظرت إلى وجهه فاتسعت ابتسامتها حينما رأت ذقنه النابتة التي تعشقها..

كانت قد اقتربت منه جدًا حينما رفع رأسه فجأة ورآها، وما إن وقعت عيناه عليها حتى انتصب في وقفته وأطلق صفيرًا عاليًا جعل وجنتيها تتوردان بقوة..

أخذ يتطلع بانبهار شديد إلي تلك الفراشة التي تقف أمامه، والتي كانت ترتدي فستانًا أخضرَ من الساتان عاري الأكمام، ضيقًا حتى الخصر، ثم واسعًا منفوشًا، يتجاوز الرُكبتين ببضعة سنتيمترات، تغطيه طبقة كاملة ذات أكمام طويلة من الدانتيل الأسود، بينما تنتعل في قدميها حذاءً أسود ذا كعب عالٍ جعل جسدها ممشوقًا ملفوفًا، أما شعرها فكان مرفوعًا بأكمله على شكل (كحكة) تهرب منه كالمعتاد في تمرد بعض الخُصل.. ظل يتطلع إليها في بطء وهو ينظر إليها بعينيه الضيقتين نظرة ثابتة بعثرتها وجعلت قدميها ترتعشان؛ لذلك حاولت أن تبدو طبيعية وهي تدور أمامه كالأطفال وتسأله:

ـ إيه رأيك؟

ـ سندريللا!.

قالها (بدر) بصوت مبحوح، وهو لا يزال مأخوذًا برقة جمالها، فاتسعت ابتسامتها في خجل وظهرت واضحة غمازتها التي يعشقها.. مدت يدها تُسلم عليه فاحتضنها بين أصابعه القوية، ولكنه لم يكتفِ بمجرد السلام بل رفع يدها إلى شفتاه ولثمها في رقة متناهية وهو ينظر إلى عينيها مباشرة.. تفاجأت

بما فعله فتسمرت وانقطع الهواء تمامًا عن رئتيها، وقد شعرت بداخلها ينصهر، وأن وجنتاها وصلتا لمرحلة الغليان..

أفلت يدها بنعومة، ثم ثنى ذراعه الأيسر ورفعه قليلًا منتظرًا أن تتأبطه قائلًا بلهجة مسرحية:

- My lady

تعلقت بذراعه في خجل مخلوط بسعادة غامرة، وهي تفكر في أن هذا الرجل يقفز بها سريعًا، ويصعد بها أدوارًا عالية، هي تعرف أنها قد تسقط فجأة من إحداها، ولكنها لم تهتم أبدا.. فليذهب أي شيء يحرمها من تلك اللحظات الرائعة إلى الجحيم..

عبرت معه بوابة المسرح وكأنها قد عبرت إلى حقبة تاريخية أخرى.. كانت تتأبط ذراعه بفخر وزهو كأنه محارب عظيم يحتفل به قومه.. نسيت تمامًا أمر الصداع والدوار وهالات عينيها السوداء، وهي تفكر كم يُشعرها وجودها إلى جواره بالتميز والفخر..

جلسا في مكان مميزٍ في الصفوف الأولى، وما إن استقرا في جلستهما حتى أخرجت (صَبا) هاتفها المحمول وأبعدته قليلًا عنهما وهي تقول له:

ـ ياللا واحدة سيلفي..

ولكنه لم ينظر إلى عدسة كاميرا الهاتف بل تعلق نظره بها.. نظرة احتارت كثيرًا في تفسيرها وهي تنظر إلى الصورة بعد أن قامت بالتقاطها.. وما هي إلا دقائق حتى بدأ الحفل وسط تصفيق حار من الجمهور..

انسابت نغمات (عمر خيرت) الرائعة لتخلق جوًا ساحرًا وأثرًا رائعًا في نفوس الجميع..

أما هما فكانت نظراتهما تتلاقى في سعادة بين الحين والآخر؛ بينما تلامست أناملهما بضع مرات مع نغمات البيانو.. كم تمنت (صَبا) أن تتوقف الأرض عن الدوران لتستمر روعة تلك اللحظات إلى الأبد بعد أن توصلت أخيرًا إلي أن ما تشعر به الآن هى السعادة بعينها، شعور سيستمر مذاقه في قلبها وروحها إلى الأبد.. نظرت إلى جانب وجهه في شوق يزداد وهي إلى جواره، ثم اعترفت لنفسها أخيرًا على نغمات مقطوعة (تيمة حب) أنها غارقة في ذلك الرجل منذ اللقاء الأول..

انتهى الحفل سريعًا؛ هكذا شعرت (صَبا) وهي تجلس إلى جوار (بدر) في سيارته متجهين إلى المَرسم الخاص به بعد أن طلب منها أن يحتسيا القهوة هناك، ولم تستطع الرفض كالعادة.. ابتسمت وهي تفكر في أنه ككل شيء يفعله.. فهو يطلب الشيء بطريقة مختلفة.. طريقة آمرة لا ينتظر فيها موافقة الطرف الثاني، لذلك طلب منها ألا تأتي بسيارتها الخاصة..

وصلا المَرسم، وما إن جلست حتى قالت وهي تتأوه؛ بينما كانت تخلع حذائها وتدلك أصابع قدميها:

ـ نفسي أعرف مين المؤذي اللي اخترع الكعب العالي؟

ـ واحد في أمريكا اللاتينية كان طويل جدًا، وبيحب واحده قصيرة جدًا وحَب يقرَّب المسافات.. علشان يعرف يبوسها بسهولة؟

ـ دا بجد؟

سألته (صَبا) في براءة جعلته يضحك بقوة وهو يلقي بسترة بزته وربطة عنقه على أحد المقاعد ويقول:

ـ أوقات كتير بحس وأنا بتكلم معاكي إنك عيلة صغيرة عندها 14 سنة..

قالها ثم اتجه إلى مطبخه ليعد القهوة وهو يعلم جيدًا أن كلماته قد استفزتها.. وبالفعل فقد عبست من تشبيهه.. ضايقها ألا يراها كأنثى، ألا يراها كامرأة ناضجة.. أخذت تدور في المكان -حافية القدمين- كعادتها كلما تأتي إليه، كأنها المرة الأولى، بينما أطلقت سراح شعرها فعاد ثائرًا مثلها..

كان (بدر) يتابعها في حنين، وعلى جانب شفتيه ابتسامة شاحبة وهو يفكر في تلك الفتاة الوحيدة منذ زمن طويل التي استطاعت أن تهدد وحدته..

كم تشبهها..

كم تبدو رقيقة مثلها.. كم تبدو للناس هشة ضعيفة، ولكنها في الواقع أقوى مما يتخيله الجميع..

كم تشبهها في ثورتها الصامتة، وعشق عجيب لحياة لا تتمسك بها..

كلما يحاول الهروب منها يعود بشوق عنيف، وكلما يقرر أن يبتعد عنها يجد نفسه واقفًا أمامها يدعوها إلى حفلة موسيقية أو لاحتساء فنجانٍ من القهوة..

وجود تلك الفتاة يؤلمه ألمًا يكاد يكون قد أدمنه، فهي تبعثر بوجودها ذكرياته دون أن تدري.. تصر على أن تجعله يخطو مرة أخرى إلى ذلك الجانب المظلم في حياته، والذي أغلق بابه منذ سنوات، وألقى بمفتاحه في أعماق الذكرى..

عادت (صَبا) إلى مكانها على الأريكة، فلحقها هو حاملًا أكواب القهوة وجلس إلى جوارها، ولكنها لاحظت أنه يجلس قريبًا منها، لا يفصلهما سوى سنتيمترات قليلة، حيث سألها وهو يعطيها قهوتها:

ـ عارفة أنا شايفك إزاي؟

نظرت إليه بتساؤل، فأكمل:

ـ شايفك بضفيرتين..

عبست مرة أخرى وأخرجت له لسانها كالأطفال، فضحكا كلاهما، ثم قالت له في حنين:

ـ عارف؟ أنا فعلًا كنت بضفر شعري لحد إعدادي.. بابا اللي كان بيضفرهولي.. كان بيقعد على الكرسي وأنا على الأرض، هو يعمل لي ضفيرة، وأنا أطرقع له صوابع رجليه..

ثم أكملت في حزن حاولت أن تداريه بابتسامتها:

ـ بس هو كان بيغيب كتير، وأنا كنت بكبر..

ـ نفسك في إيه دلوقتي حالًا؟

استغربت من سؤاله المفاجئ.. نظرت إليه وتأملت ملامحه عن قرب ثم أحمرت وجنتاها حينها أدركت حقًا ما تتمنى حدوثه الآن، فهربت من عينيه وهي تعترف لنفسها على استحياء أنها تتمنى أن يُقبلها، تتمنى أن تفقد عذرية شفتيها بين شفاة ذلك الرجل، ثم بعد ذلك يحتضنها بقوة ويتركها على صدره إلى أن يشاء الله.. عادت بعينيها إلى وجهه مرة أخرى وأجابته بحرص:

ـ نفسى نفضل أصحاب على طول.. وانت؟

ـ نفسي أعمل أي حاجة تفرحك..

قالها بصوت هامس وهو ينظر إليها بطريقته الرائعة تلك، والتي تشعر معها أنه يحتوى وجهها كله بعينيه..

ـ ارسمني..

قالتها بسعادة وبراءة دون أن تدرك أنها بتلك الكلمة قد أنهت آخر اللحظات الجميلة الهادئة بينهما، فقد تجهم وجهه واختفت ابتسامته تمامًا وهو ينظر لا إراديا إلى ذلك الحامل الخشبي المُغطى بقطعة من القماش الأبيض، والتي

تخفي أسفلها لوحة بدأ في رسمها منذ سبع سنوات ولم ينتهِ منها حتى الآن..
هل تشبهها إلى ذلك الحد؟ هل بطلبها هذا تعلن عن قرب رحيلها؟
اعتدل في جلسته مبتعدًا عنها، ثم قال لها بلهجة باردة وهو يشعل سيجارة:
ـ بطلَّت ارسم بورتريهات من سنين..
انعقد لسانها من رد فعله، ولم تجد ما تقوله، ولكنها أدركت أنها قالت شيئًا ما جعل داخله ينقلب رأسًا على عقب، فقد ظهر ذلك جليًا في عينيه.. كأنها أشعلت ذكرى ما يحاول إخمادها.. حاولت أن تقول شيئًا ولكنها كانت حائرة: هل تسأله ما به؟ أم تتحدث في موضوع مختلف تمامًا؟ أم تظل صامتة.. أخرجها من حيرتها صوت جرس الباب، وكأنما جاء ذلك الزائر نجدة له هو أيضًا، فقد قام مسرعًا ليتفقد من بالباب، وحينما عاد كانت بصُحبته..
فتاه سمراء طويلة، جميلة تشبه في ملامحها الهنود بذلك الشعر الطويل والعيون الواسعة.. ترتدي فستانًا ضيقًا عاري الصدر والأكمام، وعلى كتفيها مُلقى بإهمال وشاح حريري لا يستر شيئًا..
عرَّفهما (بدر) في سرعة قائلًا:
ـ (صَبا).. (سمر)..
حيَّتها (صَبا) بإيماءة من رأسها وابتسامة بسيطة؛ بينما تجاهلت (سمر) أن ترد التحية، فقد استندت بكوعها على كتف (بدر) وقالت موجهة حديثها إليه:
ـ واضح إنى جيت في وقت مش مناسب يا بيدو..
ـ لأ خالص.. (صَبا) كانت ماشية دلوقتي..
قالها بلهجة حازمة باردة صدمت (صَبا) وأشعرتها بإهانة مُرة..

تجمدت من وقع كلماته للحظات، ولكنها حاولت أن تبدو عادية كي تحافظ على كرامتها، فاغتصبت ابتسامة واسعة كي لا تهين كبريائها، وقالت وهي تضع حذاءها:

ـ فعلا.. أنا اتأخرت جدًا ولازم أمشي..

نظر إليها (بدر) في حزن وهو يعلم جيدًا ما الذي فعله بها، يعلم إلى أي درجة أهانها وكره نفسه لأنه فعل ذلك..

تحركت (صَبا) في توتر بعد أن حيَّت (سمر) وتبعها هو في ندم، وما إن فتح الباب حتى انطلقت هي إلى الخارج دون أن توجه إليه كلمة واحدة..

سمعت صوت خطواته خلفها، ولكنها لم تلتفت إليه، لم ينادها أو يحاول أن يُبقيها، ولكنه ظل يتابعها في صمت..

ماذا فعلت ليحدث كل ذلك؟ ومن أين جاء فجأة بكل تلك القسوة؟ لم يشعرها أحد بذلك الهوان من قبل، لم يصفع أحد من قبل كبريائها بتلك المهانة.. توسلت لدموعها أن تمهلها بضع دقائق إضافية حتى تبتعد عنه تمامًا وتستقل سيارة أجرة، وما إن حدث ذلك حتى زفرت زفرة حارة ملتهبة.. هاجمها الصداع بضراوة وشعرت بسكاكين تقطع أمعاءها.. أخرجت مرآتها الصغيرة من الحقيبة، وحينما نظرت إلى نفسها وجدت أن كل ما ظنت أنه قد اختفى عاد مرة أخرى، وزاد عليه دموعًا حارقة ألهبت عينيها وانسابت بغزارة فوق المرآة حتى غطت على انعكاس صورتها تمامًا..

*****

(19)

انتهت الحملة الإعلانية بنجاح باهر، ولكن لم تنتهِ علاقة (مريم) بـ(أيوب) الذي قرر أن تصبح الأولى مساعدته الشخصية..

في البداية رفضت (مريم)، أو بالمعنى الأدق خشيت أن تقترب أكثر من ذلك من عرين (أيوب)..

ولكنه نجح بمنتهى البساطة في إقناعها، فوافقت دون أدنى جهد منه على الرغم من محاولات صديقاتها الضارية لمنعها من ذلك، ولكنها لم تستمع إليهن.. قررت أن تكمل الطريق إلى نهايته، فلم يعد لديها ما تخسره بعد أمها..

وافقت (مريم) وهي تعرف أنها حين كانت تمضي معه عقد العمل سوف تخطو وعن طواعية في طريق مُظلم غير ممهد.. كان الأمر في البداية مخيفًا، ولكن استطاع (أيوب) بخفة الفهد أن يطمئنها وأن يجعلها تسير في طريقه معصوبة العينين، وبمرور الوقت ترك لها كل شيء، فأصبحت تتولى كل ما هو خاص بالعمل أو خاص به شخصيًا، حتى إنها اصبحت تمتلك نسخة من مفتاح الاستديو خاصته، ترافقه في سفراته، تنظم أعماله وتقابل زبائنه، تعد له طعامه وتتفقد ملابسه؛ كأنها أمه أو زوجته..

أعطاها مساحة كبيرة في حياته جعلتها لأول مرة تشعر أنها ذات أهمية بالنسبة إلى أحد، أن هناك رجل يهتم لحضورها، ويتساءل عن غيابها، تتزين من أجله، وينتبه هو لكل شيء جديد في مظهرها، يهتم بتواجدها المستمر، ويغمرها بحنانه، بل ويشعرها وسط أجمل النساء أنها الوحيدة الأهم، و(أيوب) كان بارعًا في ذلك براعة لا تُوصف..

كانت (مريم) تفكر في ذلك بسعادة، وهي تقف أمام أحد الأرفف في إحدى مراكز التسوق الكبرى تبحث لـ(أيوب) عن نوع كريم الحلاقة الذي يستخدمه، حينما رأته..

تسمرت في مكانها وارتفعت دقات قلبها، في البداية ظنت أنه شخص قريب الشبه به، فقد تغير قليلًا حيث بدأ الصلع يزحف إليه، ولم يعد جسده بالتناسق الذي كان عليه، بينما ظهر لها أطول قليلًا مما كان، ولكن حينما بدأ يقترب تأكدت أنه هو..

(يس) ابن عمها، أول رعشة حب في حياتها، أول أمنية لم ولن تتحقق، أول كسرة قلب..

شعرت بغصة في حلقها وهي تراه بجانب تلك المرأة الجميلة ذات الملامح الأوروبية، ثم ارتجف قلبها حينما رأت تلك الطفلة المشاكسة التي كانت تركب عربة التسوق خاصته ويناديها بـــ(مريم)..

كان قد اقترب منها كثيرًا حينما رفع رأسه ونظر فجأة باتجاهها، فانتفضت وأدارت وجهها إلى الناحية الأخرى، ثم أسرعت لتختفي خلف أحد الأعمدة حتى يمر، فلم تكن تريد صدامًا مع الذكرى، أو ربما خجلت أن يرى مظهرها الجديد..

وقفت تتابعه من خلف ذلك العمود وهي تتساءل بداخلها: هل عرفها؟

نظرت إلى بنطالها الجينز الضيق، وبلوزتها القصيرة، وحجابها الذي يظهر مقدمة شعرها، والمربوط إلى الخلف بالطريقة التي تسمى (اسبانيش).. تحسست وجهها بزينتها الصارخة، وتساءلت في خوف: هل عرفها؟

عادت تنظر إليه في حنين، فوجدته يبحث بعينين حائرتين في الاتجاه الذي كانت تقف فيه.. بالتأكيد لمحها وهو يبحث عنها الآن ليتأكد إن كانت هي أم لا.. نظرت إليه نظرة طويلة أخيرة كأنها تختزن ملامحه الجديدة، ثم أخذت نفسًا عميقًا وانطلقت مسرعة تدفع عربة تسوقها في الاتجاه المعاكس لكي ترحل بعيدًا عنه..

هزَّتها رؤية (يس) بعنف، ألقت بها فجأة في ذكريات لا تفعل شيئًا سوى الهروب منها، بحثت عن دموع تشاركها وجع اللحظة ولكنها لم تجد، ولكن حلَّ محل الدموع حزن مؤلم سكن ملامحها..

كان (أيوب) في غرفة التصوير لديه جلسة تصوير مع إحدى الفنانات الحديثات حينما وصلت إلي الاستديو، فحمدت الله أنها لن تصطدم به..

أسرعت إلى المطبخ دون أن تلقي عليه التحية، بل إنها لم تخبره بعودتها من الأساس.. لديها على الأقل ساعة تستطيع خلالها أن تلملم شتات نفسها، وتستعيد السيطرة على وجعها، ولكنها لم تستطع، فقد تنحى كل شيء في حياتها جانبًا، ولم يستقر في رأسها سوى صورة (يس)..

أخذت تتساءل في نفسها: لماذا الآن بالتحديد؟

لماذا الآن وهي تحاول أن تتجاوز الماضي، وأن تبدأ حياة جديدة ومختلفة؟

ولكن هل تطلق على ما هي فيه الآن (حياة)؟

أصبحت صارخة.. كل شيء بها صارخ.. حتى مشاعرها وأفكارها..

فهل ما وصلت إليه هو الاختلاف الذي كانت تتمناه؟

وإن كانت الإجابة بنعم، لماذا خشيت أن يراها؟ لماذا اختبأت كالفئران، ولم تستطع حتى أن تلقي عليه التحية؟

نظرت حولها في حزن.. ماذا تفعل هنا؟ هي تعلم ما يحدث الآن في غرفة التصوير، وتعلم أن كلهن يبحثن من خلال (أيوب) عن شهرة سريعة، وهو يبحث من خلالهن عن نشوة أسرع، وهي لا ذاك ولا تلك..

إذن؛ ماذا تفعل هنا؟ لا يربطها بذلك العالم وذلك المكان أي شيء سوى ضعفها، ووجودها إلى جوار (أيوب) يضعفها أكثر.. يفقدها السيطرة على نفسها.. دوامة كلما تقاومها تبتلعها أكثر.. ولكنها على الرغم من كل ذلك تحتاجه؛ فهو آخر ما تبقى لها..

تُرى، هل رآها (يس)؟ هل لا زال يذكرها؟

بالطبع يذكرها، بل إنه فعل ما يجعله لا ينساها مطلقًا مثلما وعدها، سمى ابنته على اسمها.. ابتسمت (مريم) في ألم وهى تتذكر تلك المشاكسة الجميلة التي كانت ستصبح يومًا ما ابنتها حينما تناهى إلى مسامعها صوت آذان المغرب، فارتعش قلبها وهي تحاول أن تتذكر آخر صلاة صلتها.. في البداية لم تعد منتظمة في الصلاة، ثم انقطعت عنها تمامًا وكأنها كانت تخجل من الوقوف أمام الله..

كم اكتشفت أنها إنسانة فارغة..

كم اكتشفت أن كل الخيوط التي كانت تربطها بكل مبادئها والتزامها الديني خيوط واهِنة، ضعيفة كخيوط بيت العنكبوت؛ تقطعت مع أول اختبار حقيقي لمدى صلابتها..

شعرت بألم في رأسها من شدة صراع أفكارها، فأسرعت إلى الحمام حيث أغرقت وجهها بالماء كأنها تطفئ اشتعال أفكارها.. أزالت مساحيق التجميل عن وجهها تمامًا، ثم توضأت وعدَّلت من حجابها، وحينما عادت إلى المطبخ

كان (أيوب) هناك، يجلس على إحدى المقاعد -ممسكًا بإحدى كاميراته يتفحصها - حافي القدمين كعادته، لا يرتدي سوى بنطال من الجينز، وفانلة قطنية سوداء تظهر عضلات كتفيه وتقسيمات عضلات صدره القوية.. نظرت إليه وهي تفكر أن وجود ذلك البوهيمي يمثل الجانب الحيواني من شخصيتها، والمكبوت بداخلها طوال تلك السنوات الفائتة، والذي لم ينجح أحد في إيقاظه سواه، ولطالما كان يرعبها ذلك..

ألقت عليه تحية مقتضبة -استغربها بشدة- ثم ألهت نفسها عنه بتفريغ محتويات الحقائب التي أتت بها من مركز التسوق.. وبينما كان يُجرب الكاميرا ويلتقط لها عدة صور عن قُرب لاحظ أنها صامتة وشاردة على غير المُعتاد، وحينما نظر إلى صورها التي التقطها لها توًا اكتشف أنها حزينة بشدة حزن لم يره بها من قبل..

اقترب منها وهو لا يزال ممسكًا بالكاميرا، ثم سألها بلهجة حانية ودون مقدمات:

ـ إيه اللي واجعك؟

جفلت من سؤاله وهي تفكر في أن هذا الرجل يقرأ ما بداخلها بسهولة شديدة، أو ربما هي سهلة القراءة أكثر مما تتخيل.. أجابته دون أن تنظر إليه:

ـ ومين قال إني موجوعة؟

ـ الكاميرا.. قالها وهو يضع صورتها أمام عينيها.. نظرت إلى نفسها في الصورة، ثم قالت له بتهكم وهي تحاول محاولة بائسة الهروب منه:

ـ خلاص خليها تقولك إيه اللي واجعني..

قال لها وهو يشعل إحدى سجائره:

ـ عارفة؟.... انتِ محتاجة تخرجي برَّا دايرة الراحة..
ـ بمعنى؟
ـ محتاجة تعملي شيء مختلف.. شيء جديد.. شيء مكنتيش تتوقعي في يوم إنك تعمليه..
أجابته بطريقة ساخرة:
ـ شيء جديد ومختلف؟ أنا من يوم ما عرفتك وأنا كل حاجة بعملها عمري ما تخيلت في يوم إني ممكن أفكر أعملها..
اقترب منها أكثر، وقال لها وهو ينظر في عينيها مباشرة:
ـ مشكلتك إنك بتعمليها وانتِ حاسة بالذنب، ودا بيموت إحساسك باللي بتعمليه مهما كان حاجة جديدة ومختلفة..
اعترفت في قرارة نفسها بصحة كلماته فسألته:
ـ والحل؟
ـ موِّتي إحساسك بالذنب..
سألته بريبة:
ـ إزاي؟
ـ إعملي حاجة قوية عمرك ما تخيلتي إنك تعمليها..
ـ زي؟
أجابها وهو ينظر إلى شعلة سيجارته التي شارفت على الانتهاء:
ـ زي إنك تنفذي اتفاقنا.. خلِّيني أصورك..
ارتجف داخلها.. فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يعيد فيها الحديث في ذلك الموضوع منذ أن اتفقا، ولكنها أجابته بطريقة حاولت ألا يبدو فيها أنها

تأثرت من كلماته:

ـ بس ده مش هيموت إحساسي بالذنب.. ده هيموتنى أنا..

وقف أمامها مباشرة حتى لم يعد يفصل جسديهما عن بعض شيء.. أمسك بذقنها ورفع رأسها برقة لكي تنظر إلى عينيه مباشرة، ثم قال لها بصوت هامس بينما كان يمر بإبهامه حول حدود شفتيها:

ـ خليكي صريحة مع نفسك.. انتِ ميتة من زمان.. إحساسك بكل حاجة ميت.. كل اللي هنعمله محاولة إنعاش، يا تحسِّي بحاجة جديدة.. يا تفضلي ميتة..

ارتجفت شفتاها من أثر إبهامه، وقد وجدت صعوبة حقيقة في التنفس، بينما اضطربت أهدابها وهي تفكر أن هذا الرجل شيطان يعرف مفاتيحها جيدًا، ويدرك مدى قوة ضعفها.. يدرك جيدًا تأثير اقترابه عليها، ويعرف كيف يجعلها تفعل ما يريد، وهي تظن أنها هي صاحبة القرار..

لم يرحم وجعها وقلة حيلتها، وكعادته دائمًا يطرق الحديد وهو ساخن ليحصل على أفضل النتائج..

انتفضت حينما رن جرس الباب فجأة، فطوقها بيده الأخرى كي يطمئنها مما زاد اقترابها من صدره، وبمنتهى الرقة والعذوبة قبل جبينها قبلة حارة ثم قال:

ـ متخافيش.. هشوف مين وأرجع لك..

وما إن خرج حتى شهقت شهقة قوية؛ كأنها كانت تحت الماء لمدة طويلة.. حضنت نفسها بكلتي يديها.. جسدها ينتفض، عقلها يتصارع، وقلبها يصرخ..

عادت إلى رأسها صورة (يس) ورنَّ في أذنيها ذلك اللقب الذي أطلقه عليها منذ زمن..

مريم البتول.. وكأنها وجدت ضالتها..

أسرعت إلى غرفة المعيشة، خلعت حذائها، ثم وقفت تنظر حولها في حيرة، ولكنها حينما سمعت (أيوب) يغلق الباب ودون أن تتأكد من اتجاه القبلة، أقامت الصلاة.. وما إن قالت الله أكبر حتى انهمرت الدموع من عينيها، لدرجة جعلتها غير قادرة على قراءة سورة الفاتحة، فتركت نفسها تغرق في دموع هي الوحيدة القادرة الآن على إنقاذها..

لم تكن تخاف من (أيوب) بل كانت تخشى من خوفها وضعفها اللذان حولاها إلى مركب ورقي في عرض المحيط.. كانت تشعر بخجل شديد من ملابسها غير المناسبة للصلاة، وغطاء رأسها، ومن نفسها ككل، ولكنها كانت على يقين أن الله أكبر من كل ذلك..

كان (أيوب) يقف على باب حجرة المعيشة يتابعها في صمت وابتسامة حانية، وهو يفكر في مدى قوة تلك الفتاة، وعلى الرغم من أن تصرفها قد فاجأه، إلا أنه كان متأكدًا أنها ستجد طريقة ما لتحمي نفسها وتدافع عما تبقى بداخلها من يقين وإيمان..

لم يصبر على فتاة مثلما صبر عليها، ولكنه لم يكن يصبر عليها لينال في النهاية شيئًا ما، بل على العكس فكلما كانت تستعصي عليه كان يشعر بسعادة غريبة.. كلما كانت تفعل أي شيء في مظهرها الخارجي لمحاولة إرضائه وفي نفس الوقت تتمسك بقوة بنقائها وبراءتها كان يزداد تعلقًا بها؛ لذلك لم يعد وجود (مريم) في حياته مجرد تحدٍ بقدر ما أصبح وجودها الشيء الوحيد الذي يشعره

بأنه لا زال بداخله بقايا إنسان..

اتجه إليها في هدوء، ثم وجهها أقصى اليمين في اتجاه القِبلة الصحيح، وتركها في صمت، وما هي ثوانٍ حتى تناهى إلى مسامعها وهي ساجدة صوت إغلاق باب الاستديو معلنًا رحيله.. أنهت سجدتها بتنهيدة قوية تدل على شعورها بالأمان وهي تقول:

ـ الله أكبر..

*****

(20)

"3طوبَى للمساكِينِ بِالرُّوحِ فإِنَّ لهم مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ. 4طُوبَى لِلحزَانَى فَإِنَّهُم يَتَعَزَّونَ. 5طُوبَى لِلوُدَعَاءِ، فَإِنَّهُم سَيَرِثُونَ الأرضَ. 6طُوبَى لِلجِياعِ وَالعِطَاشِ إِلَى البِرِّ، فَإِنَّهُم سَيُشبَعُونَ. 7طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، فَإِنَّهُم سَيُرحَمُونَ. 8طُوبَى للأَنقِيَاءِ القَلبِ، فَإِنَّهُم سَيَرَونَ اللهَ. 9طُوبَى لِصَانِعِي السَّلامِ، فَإِنَّهُم سَيُدعَونَ أَبنَاءَ الله. 10طُوبَى لِلمُضطَهَدِينَ مِن أجلِ الحَقِّ، فَإِنَّ لَهُم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. 11طُوبَى لَكُم مَتَى أَهانَكُمُ النَّاسُ وَاضطَهَدُوكُمُ، وَقَالُوا عَلَيكُم مِن أَجلِي كُلَّ سُوءٍ كَاذِبِينَ. 12اِفرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، فَإِنَّ مُكَافَأَتَكُم فِي السَّمَاوَاتِ عَظِيمَةٌ. فَإِنَّهُم هَكَذَا اضطَهَدُوا الأَنبِيَاءَ مِن قَبلِكُم!"

شعرت (كاترين) بهدوء عجيب، وقد نزلت تلك الكلمات على قلبها بردًا وسلامًا، وهي تنظر إلى صورة مريم العذراء في امتنان، بعد أن بشَّرها المسيح بأن الله سيعوضها عن كل ذلك الحزن في الدنيا، سيعوضها عن كل تلك العُزلة التي فرضها عليها الجميع..

أنهت صلاتها في خشوع، وبعد أن نظرت إلى ساعتها، حملت حقيبتها متجهة إليه حيث تعودا أن يلتقيا عند المبنى الفني الجديد، والذي تقوم الكنيسة بتشطيبه وتجهيزه..

لم تجد بديلًا لها في عملها التطوعي، أو بالمعنى الأدق لم تبحث بالشكل الكافي، فوجود (جوزيف) جعلها تتراجع عن قرار ترك عملها التطوعي في الكنيسة، فقط لتراه وتكون إلى جواره بعد أن أصبحت تحيا في تلك الوحدة السوداء، وأصبح هو بصيص الضوء الوحيد في حياتها..

انعزلت تمامًا عن الجميع، وفقدت التواصل مع كل من حولها..
أهملت ابنها وانفصلت عن زوجها لعدم إمكانية طلاقها منه.. حتى والدها لم تعد تربطها به سوى بضعة كلمات تتبادلها معه كل يوم بحكم وجودهما في منزل واحد..
أما صديقاتها فلم تلتقِ بهن منذ يوم احتفالهن بذكرى مولد (نيرة)، والذي مر عليه ما يقرب من شهر..
أصبحت صامته، شاردة، مكتئبة، تزداد عزلتها ويزداد انسحابها من العالم حولها بسرعة شديدة، بل إن كل من يحاول إعادتها إلى عهدها السابق كانت تقابل محاولاته بعنف شديد وثورة جامحة..
إلا هو، فهو الوحيد الذي كانت تمضي معه معظم أوقات تواجدها في الكنيسة، وتتحدث معه طوال ساعات الليل في الهاتف..
هو الوحيد الذي كان في يده القدرة على إعطاء إشارة التوقف لتلك الوحدة وذلك الألم المتجدد منذ رحيل والدتها..
كانت في طريقها شاردة كعادتها ترد تحية من تقابله بإيماءة باردة جافة، فهم لا يستحقون تحيتها.. جميعهم منافقون يبتسمون في وجهها ويدَّعون حبهم لها، ثم تسمعهم بأذنيها يتحدثون عنها ويخوضون في عرضها، بل إنها سمعت إحداهن مرة تنعتها بالزانية..
يعتقدون أن علاقتها به غير شريفة، لا يعرفون أن ذلك الملاك هو يد الله التي مدها إليها لينتشلها من تلك المياه الزرقاء التي كادت أن تغرق فيها..
كانت (كاترين) تمر إلى جوار ثلاثة من الأخوات حينما سمعتهن يتحدثن عنها، أبطأت من سرعتها لتتمكن من معرفة ما يقولن عنها فسمعت إحداهن

تتحدث هامسة:
ـ أكيد رايحة تقابله..
فأجابتها الثانية:
ـ أنا مشوفتش بجاحة كدا، دي بتتصرف كأن محدش شايفها..
فردت عليهن الثالثة بنبرة غاضبة:
ـ اللي بيحصل دا مينفعش نسكت عليه..
وضعت كلتي يديها على أذنيها وتماسكت كي لا تستدير وتصرخ فيهن أن يتركوها لحالها، فلقد ضاقت ذرعا من أحاديثهم وشجاراتها معهم؛ لذلك أكملت طريقها كأنها لم تسمع شيئًا..
كان (جوزيف) يقف مع بعض العمال، وحينما راءها أشار برأسه ناحية المكان الذي يجلسان فيه باستمرار، فذهبت إلى ذلك المقعد الخشبي الوحيد تحت تلك الشجرة العتيقة، والتي يرجع تاريخها إلى مئات السنين.. وما هي إلا دقائق حتى انضم إليها..
جلس إلى جوارها وقد أعطيا ظهريهما إلى المبنى، وجلسا في مواجهة الشجرة..
أخذ يتطلع إليها في صمت بينما كانت هي بدورها تتطلع إلي الشجرة العتيقة في وَله، ثم قالت في حنين:
ـ زمان وانا صغيرة كنت باجي هنا مع ماما.. هي تقعد تقرا وأنا ألعب جنبها، ولما أقولها أنا زهقت تقولي لو شاطرة عدِّي لي كام ورقة على الشجرة دي..
ابتسمت وهي تقول جملتها الأخيرة، ثم اتجهت إلى جذع الشجرة، وتبعها هو فأشارت إلى جملة (أنا بحب ماما) محفورة على الشجرة وقالت:
ـ أنا اللي كاتبة دي..

أجابها وهو يبتسم لها برقة:
ـ نوستاليجا.. علشان كدة بتحبي تقعدي هنا على طول..
فقالت له في حزن:
ـ بس أنا مش هاجي تاني.. وجودي بين الناس بقى بيموتني.
ـ ووجودك لوحدك برضو هيموتك..
ـ بس أنا مش لوحدي.. انت معايا..
ـ متكرريش نفس الغلطة اللى غلطتيها في علاقتك بمامتك.. محدش بيفضل مع حد طول العُمر..
ثم أكمل في حنان بعدما رأى عيناها وقد اغرورقت بالدموع:
ـ بس ده مش معناه إني مش هفضل معاكي.. أنا موجود طول ما إنتي عايزاني موجود.. وبعدين مش احنا هنخرج مع بعض النهاردا واللا إيه؟
أومأت برأسها إيجابًا، ثم وكأنها تذكرت شيئًا ما، أخرجت من حقيبتها تذكرة إحدى حفلات عرض الليلة الكبيرة بساقية الصاوي وأعطتها له قائلة:
ـ النهاردا الساعة سبعة ونص.. (صَبا) حجزت لنا تذكرتين في أول صف..
ابتسم وقال دون أن يمد يده ويأخذ منها التذكرة:
ـ خليها معاكي أضمن.. تيجي نعد كام ورقة على الشجرة؟
اتسعت ابتسامتها وهي تعود معه إلى المقعد الخشبي؛ حيث أخذ يساعدها في عَدِّ ورقات الشجرة، وقد استعادت ذكرى تلك الأيام الرائعة، وشعرت أنها تستنشق عطر أمها في المكان، وما هي إلا دقائق حتى جذبها (جوزيف) كعادته في حديث طويل هادئ وممتع، لم يقطعه سوى تلك الراهبة التي كانت تمر من أمامهما، ثم توقفت فجأة وأخذت تنظر إلى (كاترين) وقد عقدت

حاجبيها من الاستغراب، فتوقفت (كاترين) عن الحديث وقالت لــ(جوزيف) في غضب:

ـ شايف بتبص إزاي؟

رد عليها (جوزيف) في لامبالاة:

ـ كملي كلامنا.. اتصرفي كأنها مش موجودة..

ثم أشار إلي الشجرة وقال بطريقة فكاهية:

ـ إحنا كنا وصلنا لحد كام..

لم تجبه (كاترين) بل ولم تفلح معها طريقته تلك المرة، ولكنها أشاحت بوجهها بعيدًا عن تلك الراهبة دون كلمة واحدة، فنظرت إليها الأخيرة في أسف قبل أن تكمل طريقها دون أن تنبس ببنت شفة، مما أثار غضب (كاترين) التي وقفت فجأة ثم قالت لــــ(جوزيف) قبل أن ترحل:

ـ متتأخرش بالليل..

وفي المساء ظل المزاج السيئ مصاحبًا لـ(كاترين)، فعلى الرغم من تحمسها لخروجها مع (جوزيف) ومقابلتها له لأول مرة خارج أسوار الكنيسة.. إلا أنه كان لديها ذلك الشعور المقيت بالذنب، والخوف من أن يراها أحد فيتأكد لديهم ما يظنونه فيها؛ لذلك أخذت تتلفت حولها في ريبة كي تتأكد من أنه لا يوجد أحد ما بالقاعة تعرفه أو يعرفها، فقد كانت تنظر حولها يمينًا ويسارًا كل برهة بطريقة أثارت استغراب وقلق (صَبا) التي كانت تتابعها بعيون مجهدة ورؤية غير واضحة من كواليس المسرح منتظرة أن يظهر صديقها، لترى أخيرًا ذلك الرجل الذي كانت تتحدث عنه صديقتها قبل أن تنقطع عن لقاءاتهن، والذي لم تره أي منهن قبل ذلك..

أخرجها من أفكارها صوت (آدم) وهو ينقر على كتفها بهدوء قائلًا:
ـ اجهزي، قدامنا 7 دقايق والعرض يبدأ..
ألقت (صَبا) نظرة أخيره على (كاترين)، وذلك المقعد الخالي إلى جوارها قبل أن تعود إلى أعضاء الفريق.. كان الجميع يستعد كلٌ بدميته، بينما يقف (آدم) وسطهم يعطيهم التعليمات المعتادة حينما صرخت (صَبا) في إحدى المحركين قائلة دون وعي:
ـ بتعمل إيه يا متخلف؟ انت كدا ممكن تعقَّد الخيوط والعروسة تبوظ..
صمت الجميع فجأة وتحول الهرج والمرج المعتادان قبل كل عرض إلى صمت مميت، فقد تعلقت عيون الجميع بزميلهم الذي ألجمت لسانه المفاجأة من رد فِعل (صَبا)، والتي بدورها شعرت بمدى حمق ما قالته، فقالت وهي تتلعثم من شدة الخجل:
ـ أاااا أنا أنا آسفة يا وليد.. سامحني وا ووو والله مش عارفة قلت كدا إزاي..
تدخل (آدم) وبسرعة بديهته المعتادة استطاع أن يحل الموقف، وفي خلال ثواني عاد الجميع كل إلى دُميته استعدادًا لبدء العرض؛ بينما ذهب (أدم) إلى (صَبا) ونظر إليها بطيبته المعتادة نظرة معاتبة ما لبثت أن تحولت إلى نظرة قلق حينما لاحظ شحوبها غير الطبيعي، فقال لها في قلق:
ـ (صَبا) روَّحي انتِ وأنا هبقى مكانك.. وطمنيني عليكي لما توصلي..
لم تجادله.. كانت بالفعل تشعر بأنها ليست على ما يرام.. كانت تشعر بسوء شديد لم تعرف سببه زاد بعد ما فعلته مع (وليد) زميلها في الفرقة، فقد كرهت نفسها لأسلوبها الفج معه؛ لذلك اعتذرت له مرة أخرى ثم انتظرت حتى انطفأت أنوار القاعة، وما إن فُتح الستار وبدأ العرض حتى رحلت دون حتى

أن تلقي التحية على (كاترين)..

وفي الخارج أخذت (صَبا) نفسًا عميقًا حينما لفحت وجهها موجة هواء باردة في ذلك اليوم من أوائل شهر نوفمبر جعلتها ترتعش رعشة لذيذة، وقد اشتمت في الجو رائحة مطر قادم فابتسمت في حنين، فلطالما كانت تعشق الشتاء..

كانت تسير في اتجاه سيارتها، تشعر بدوار خفيف تعودت عليه في الآونة الأخيرة؛ بينما كانت شاردة تفكر في كل شيء ولا شيء حينما وقعت عينيها عليه يجلس في سيارته يدخن سيجارته في ملل حينما اصطدم بعينيها لوهلة..

توترت ملامحه بطريقة ملحوظة فقد تفاجأ من خروجها أثناء العرض، ودون أن يدري لماذا فعل ذلك أشاح بوجهه يسارًا كأنه لا يعرفها..

صدمها رد فعله، أبطأت خطواتها وهي تمر إلى جوار سيارته لعله يتراجع عن صفعته لها، ولكنه لم يفعل..

لم يحدثها منذ ذلك اليوم، بل لم يجب على اتصالاتها من الأساس، ولكن أيصل الأمر إلى أن يتعامل معها كأنه لا يعرفها؟ أن يشيح بعينيه بعيدًا عنها بكل ذلك البرود واللامبالاة؟

للمرة الثانية يهين كبريائها ويسحق كرامتها بيد باردة..

للمرة الثانية يؤكد لها أنه لا يزال يحمل بداخله المزيد والمزيد من القسوة..

ولكنها ستكون المرة الأخيرة التي تسمح له بفعل ذلك..

دلفت إلى سيارتها وهي تحاول أن تبدو غير مبالية، فقد كانت متأكدة من أنه يتابعها في مرآة سيارته.. جاهدت أن تمنع دموعها، فآخر ما تحتاجه الآن أن يراها ضعيفة؛ لذلك انطلقت بالسيارة في سرعة لحقتها دموع حارقة ألهبت

وجنتيها..

أخذت تتابعه في مرآة سيارتها وهو يبتعد شيئًا فشيئًا..

وقد أقسمت أنها لن تسامحه على ذلك الألم

لن تسامحه أبدًا..

*****

بعد ما بتتعب معافرة..
تبتدى تسلِّم ضلوعك
دوامات البحر تاخدك
تبتدي تعمل مصدق
إنه مش دَمع اللي نازل جري..
من عينك لخدك
كل سكة وليها آخر..
كل آخر ليه بداية
شوف ملامحك في المراية
مؤمنة دي ولا كافرة..
الحياة بتبدأ تمهِّد..
عقدة الأحداث.. في قصة
القدر كاتب حروفها
خاف براحتك ياللي عايش فيها لكن..
اعرف إنك برضه مكتوبلك..
تشوفها

عادت بقعة الضوء إلى منتصف المسرح، وقد كان أربعتهن يجلسن القرفصاء في نصف دائرة يلعبن الورق حيث كُنَّ يلعبن لعبة (الشايب)..

كُنَّ يمررن الورق فيما بينهن دون أن تنظر إحداهن إلى الأخرى، حينما قالت ذات اللون الأبيض:

ـ العقد لما بينفرط عمره ما بيرجع زي الأول..

ثم تبعتها ذات اللون الأسود وهي تسحب إحدى الورقات من زميلتها:

ـ مع إنه ممكن يتجمع تاني، وممكن كمان يبقى عقد جديد..

أكملت ذات اللون البنفسجي في حزن وهي تنظر إلى ورقات اللعب في يدها:

ـ لكن عمره ما بيرجع زي الأول..

نظرت ذات اللون الأخضر في تهكم إلى آخر ورقة في يدها وقالت:

ـ أنا اللي معايا الشايب..

عقدت ذات اللون الأبيض حاجبيها وهي تلوح بآخر ورقة في يدها وتقول:

ـ أنا اللي معايا الشايب..

حينما قالت ذات اللون البنفسجي في استغراب:

ـ إزاي؟ أنا اللي معايا الشايب..

نظر ثلاثتهن إلى ذات اللون الأسود التي ألقت بآخر ورقة في يدها على الأرض بينهن، وهي تقول بملامح لا حياة فيها:

ـ أنا كمان معايا الشايب..

وأظلم المسرح تمامًا..

*****

(21)

انقطعت (كاترين) عن الذهاب إلى الكنيسة تمامًا، تركت كل شيء دون تردد، فلا أحد يفهمها أو يشعر بمدى ألمها، فجميعهم يضطهدونها..

ينظرون إليها باحتقار كأنها غانية..

يتحدثون عنها بمنتهى السوء، وينشرون عنها ضلالات كاذبة..

يعاملونها أسوء معاملة، وعلى الرغم من أنها كانت تفتقد صلواتها وجلوسها أمام صورة (مريم العذراء)، تفتقد ذلك الإحساس بالهدوء والراحة والرضا، إلا أنها وجدت في عدم ذهابها راحة أكبر لضميرها..

توقفت (كاترين) بتفكيرها عند تلك النقطة وهي تقوم بصب القهوة في الفنجانين الموضوعين على مائدة المطبخ في منزل والدها، وعقلها يتساءل في خوف، ولماذا يحتاج ضميرها إلى راحة؟

هل هي مذنبة أو خاطئة في حق دينها ونفسها؟

هل هى حقًا كما يطلقون عليها زانية؟

انتفضت من أفكارها على صوت جرس الباب فانقبض قلبها.. أحكمت إغلاق ردائها المنزلي حول جسدها وقد سرت في أوصالها برودة مفاجئة في تلك الأيام الباردة من شهر ديسمبر، ثم توجهت إلى الباب، وما إن فتحته حتى بانت على ملامحها علامات الصدمة، فقد كان يقف أمامها كاهن اعترافها القس (أبانوب)، بملابس القساوسة السوداء المعروفة، وتلك اللحية البيضاء الطويلة..

ظلت (كاترين) تنظر إليه دون أن تتفوه بكلمة واحدة وهي تفكر في معنى أن

يأتي إليها الآن بالتحديد.. هل هي إشارة من الله؟ أم أن الكنيسة قد اتخذت ضدها إجراءً ما..

ـ إزيك يا (كاترين) يا بنتي؟.. إيه مفيش اتفضل واللا إيه؟

قالها القس (أبانوب) بابتسامته المتسامحة وملامحه الطيبة، فانتبهت (كاترين) إلى أنها لم ترحب به؛ لذلك أمسكت بيده وانحنت تقبلها في خجل وهي تدعوه للدخول قائلة:

ـ أنا آسفة يا أبونا.. اتفضل طبعًا.. اتفضل..

أشارت إليه أن يتجه إلى الصالون، ولكنه جلس على مقعد طاولة الطعام قائلًا في محبة:

ـ أنا مش غريب.. أنا في البيت دا من قبل ما تتولدي..

أجابته (كاترين) بابتسامة مضطربة، ثم اختفت لثوانٍ في المطبخ، وعادت بفنجانَي القهوة التي كانت تعدهما وما إن وضعت القهوة أمامه حتى سألها:

ـ والدك نايم واللا إيه؟

ـ لأ.. بابا في مأمورية تبع الشغل، وهيرجع كمان يومين..

قالتها وهى تجلس أمامه، فنظر القس (أبانوب) باستغراب إلى صينية القهوة التي لم تتأخر (كاترين) في إعدادها، ثم عاد ونظر إليها قائلًا في عتاب رقيق:

ـ استنيتك تيجى تتطمني عليا وتتكلمي معايا، بس محصلش، قلت أجيلك أنا.. طمنيني عليكي يا بنتي.

ـ ربنا ما يحرمنا من عطفك يا أبونا.. أنا بخير الحمد لله..

قالتها (كاترين) دون أن ترفع عينيها إليه؛ فسألها برقة:

ـ يعني مش عايزه تحكيلي حاجة؟

سألته في تردد وقلق:

ـ حاجة زي إيه؟

ـ زي سبب انقطاعك عن جلسات الاعتراف، والقداس اللي مبقتيش بتحضريه، والكنيسة اللي بقالك شهر مدخلتيهاش.. زي عملك التطوعي اللي سيبتيه فجأة، والكلام اللي بيوصلني عنك إنك..

ـ كذب.. كله كذب.. قاطعته (كاترين) في انفعال ثم أكملت:

ـ كلهم بيكرهونى.. كلهم يا أبونا عايزين يأذوني..

نظر إليها القس (أبانوب) في شفقة وهو يفكر في أن هذه الفتاة المهزوزة التي ترتجف أمامه من الغضب والخوف بالتأكيد ليست (كاترين) التي يعرفها، ويعرف عنها مدى صلابتها وقوتها وحماسها على الرغم من كل ما مرت به؛ لذلك تنهد وسألها مغيرًا الموضوع:

ـ طيب و(روماني)؟

سألته في ترقب:

ـ ماله؟

ـ عايزك ترجعي..

انتفضت واقفة وقالت له وهي تهز رأسها بقوة كأنها تنفض عنها ذكرى ذلك اليوم في المستشفى:

ـ استحالة..

ـ بس دا جوزك وله حقوق عليكي.. وصبر عليكي كتير..

أجابته بألم من بين دموعها التي لمعت في عينيها:

ـ استحالة.. انت مش عارف هو عمل فيا إيه..

ـ بُعدك عنه خَطيَّة..
ـ وقُربي منه موت.. وأنا شبعت موت يا أبونا..
أصاب ألمها قلبه فشعر بالحزن على ما وصلت إليه؛ لذلك اقترب منها وأخذ يهدئ من روعها ويتلو صلاته عليها، وقد قرر ألا يضغط عليها أكثر من ذلك، وبعد أن هدأت قال لها وهو يقف معلنًا رحيله:
ـ فكري كويس وبهدوء، ولينا قعدة تانية مع بعض..
أومأت له برأسها علامة على الإيجاب، فأكمل وهو يتجه ناحية الباب وهي تتبعه:
ـ هستناكي في قداس عيد الميلاد يا (كاترين)..
لم تجبه، ولكنها قبلت يديه، فربت على شعرها في حنان صادق قائلًا:
ـ هصليلك يا بنتي..
رحل القس (أبانوب) بعد أن أشعل في قلب (كاترين) الخوف.. وما إن رحل حتى أسرعت إلى غرفتها حيث كان ينتظرها..
فتحت الباب وهي تنتفض، فاعتدل في جلسته فوق الفراش، ونظر إليها في قلق متسائلًا:
ـ كان عايز إيه؟
أغلقت (كاترين) باب الغرفة خلفها على الرغم من عدم وجود أحد في المنزل سواهما، ثم اتجهت إلى (جوزيف) الذي كان يشاهد بعض صورها وهي صغيرة، وجلست أمامه عند إحدى أطراف الفراش..
كانت ترتجف وقد اغرورقت عيناها بالدموع حيث قالت له:
ـ عايزني أرجع لـ(روماني)..

ثم أخذت تحكي له من بين دموعها تفاصيل الحوار بينها وبين القس (أبانوب)، ولكنها أنهت حديثها قائلة بانهيار:

ـ أنا لو رجعت له هنتحر.. مش هسمح إني أعيش لحظة واحدة معاه.. هنتحر..

اقترب منها (جوزيف) وأخذ يهدئ من روعها وقد أحاط وجهها بكلتا كفيه، بينما كان يتحسس وجنتيها بإبهامه ويقول في حب جارف وبصوت هامس:

ـ ششششششش.. مش هترجعيله.. صدقيني مش هترجعيله..

اختبأت في صدره فضمها بقوة ليزيد من إحساسها بالأمان..

كلما كانت تقترب من (جوزيف) وتزداد علاقتها به قربًا كان يستحيل معها مجرد التفكير في الرجوع إلى (روماني).. يتسحيل أن تعود إلى ذلك القبر بعد أن بدأت في تتلمس طريقها في الحياة..

يستحيل أن تعود إلي ذلك الرجل الذي كان يسحق آدميتها ويحرق قلبها كل يوم بأعصاب باردة..

يستحيل أن تترك من علمها أن الرجل أمان وسَكن، وتذهب إلى من كان وجوده يعيث في جسدها رُعبًا..

في دينها هي الآن زانية.. فهل هي بالفعل زانية؟ هل هي خاطئة؟

إذا كان الدفاع عن الحياة خطيئة فهي أكبر الخطاءين..

وإذا كان التمسك بالأمان زنا، فليرجموها.. لم يعد يهم الأمر كثيرًا..

تنهدت تنهيدة حارة ألهبت رقبته، فزاد من ضمه إليها، ثم قال وهو يتحسس شعرها بذقنه برقة:

ـ إحنا لازم نبدأ في تنفيذ اللي اتفقنا عليه.. وبسرعة..

(22)

أصبح يصر على اصطحابها في كل مكان تقريبًا.. استطاع أن يقربها منه بسرعة، وبنعومة شديدة نجح في أن يزيل من داخلها أي خوف أو قلق تجاهه، فشخصية (نيرة) صعبة الإرضاء لدرجة قد يفسرها البعض غرورًا ولكن الحقيقة أن ذلك لم يكن أكثر من خوف زرعه (علي) بداخلها قبل أن يرحل، ولكن (مراد) كان رائعًا.. كان كما كانت (نيرة) تخبر صديقاتها دائمًا لا يمكن أن يعرفه أحد ولا يتعلق به ويرى معه حياة من نوع آخر..

لم تكن تعرف أنه لم يصبح هكذا إلا قريبًا؛ حينما اقترب منها وشعر أنه لا تزال لديه القدرة على الاستمتاع بالأشياء، بعد أن أصبح كل شيء حوله باهتًا ماسخًا، وأصبحت كل الأمور لديه سيان، كل شيء يندرج تحت كلمة (عادي) و(مش فارقة)..

كل الأشياء لها نفس المذاق..

كل النساء اللاتي كان يعرفهن لم يستطعن وقف ذلك الخدر الذي كان يسحب ببطء إلى روحه.. كلهن نفس الطعم، ونفس الحديث، ونفس الملل.. حتى جاءت (نيرة) ودون أن تدري مسحت ذلك الغُبار عن روحه وأعادت إليها لمعانها..

عثر على أشياء بداخله كان قد نسي وجودها، فتغير إحساسه بكل شيء..

عادت تلك الابتسامة غير المبررة لوجهه..

أصبحت جلساته مع أصدقائه أكثر صخبًا وحيوية..

حتى أطفاله شعر أنه يعيد اكتشاف علاقته بهم من جديد، فلم تعد أبوته مجرد التزام أو قيد..

أما زوجته فقد قرر أخيرًا الانفصال عنها؛ ليس بسبب ظهور (نيرة) في حياته، ولكن بسبب ذلك الأمل الذي عاد يلمع من جديد بداخله..

وحينما وصل إلى تلك النقطة رفع (مراد) رأسه ونظر بابتسامة رائعة إلى (نيرة) التي كانت تقف خلف الكاميرات في ذلك الاستديو؛ حيث أصر على اصطحابها في تصوير أولى حلقات برنامجه الجديد.. نظرت إليه باستغراب وقد اتسعت ابتسامتها وهي تسأله بيدها بينما تحرك شفتاها دون إصدار أي صوت.. فيه إيه؟

أجابها بغمزة من إحدى عينيه، ثم نظر مباشرة إلى الكاميرا التي أمامه، واستعد لبداية البرنامج حينما ارتفع صوت المخرج قائلًا:

ـ نستعد يا جماعة.. 1 ... 2....3.. هواااا..

وبدأ البرنامج وبدأ (مراد) في تقديمه.. كان قويًا، لبقًا، واثقًا من نفسه، ذا حضور رائع وابتسامة خلابة لا تغادر شفتيه..

أخذت (نيرة) تتطلع إليه في فخر، وهي تفكر في سعادة أنه قد أصر بشدة أن تحضر معه تصوير أولى حلقات برنامجه الجديد..

كان هادئًا مليئًا بالحماس، يتلقى اتصالات متابعيه، يمزح معهم ويرد على استفساراتهم بمنتهى المهارة، وبالإضافة إلى كل ذلك كان يرسل إليها نظراته الخلابة بين الحين والآخر..

تذكرت أبيها وهي تبادله الابتسامة، فعدلت من وضع وشاحها الصوفي الأخضر حول رقبتها وهي تفكر كم يشبه أبيها في حنانه واحتوائه..

ربما لم تعرفه منذ وقت طويل، ولكن هناك أُناس لا نحتاج لأكثر من إلقاء التحية عليهم حتى يستوطنوا حياتنا ويعطوها مذاقًا مختلفًا.. و(مراد) من هؤلاء الناس.. فقربها منه جعلها تكتشف أشياء كثيرة كانت تجهلها عن نفسها تمامًا..

مثل أنها قوية جدًا.. أقوى مما كانت تتوقع، ماهرة في الطبخ، تعشق الطعام الصيني..

والأهم من كل ذلك أنها لم تكن تحب (علي)، وأن تعلقها به طوال تلك السنوات لم يكن أكثر من مجرد بحث عن أمان مفقود، عن مكان للاختباء من مواجهة خوفها الذي لازمها بعد رحيل أبيها، ولكن (علي) كان منزلًا بلا سقف أو حوائط، فقط أعمدة وجودها مثل عدمه، لا تقي من برد ولا تحمي من رياح..

تنهدت في شجن وهي تنفض عن رأسها كل تلك الأفكار وتعود إلي (مراد) الذي كان يتلقى اتصالًا هاتفيًا جديدًا من امرأة كانت تتحدث بأسلوب جعل (مراد) ينصت بتركيز لمحاولة معرفة صاحبة الصوت حينما قالت:

ـ والله يا شيف أنا كنت عايزاك في حاجة ملهاش علاقة بالأكل، أصل جوزي طباخ هايل زيك كدا.. دا حتى أنا مبطبخش خالص في البيت..

تأهب جميع من في الاستديو بينما عقدت (نيرة) حاجبيها في استغراب من الأسلوب التي تتحدث به تلك المرأة.. أما (مراد) فقد بان على ملامحه أنه عرف من تكون، ولكنه ابتسم في عصبية محاولًا أن يحتوى الأمر وقال لها:

ـ اؤمري يا فندم..

فقالت السيدة في لهجة ذات معنى:

ـ عايزة وصفة تخلِّي جوزى يبطل يعرف ستات عليا.. تخليه يحترم بيته ومستوى مراته ومكانته الاجتماعية والإعلامية ويفوق لنفسه شوية..
جحظت عينا (نيرة) مما تسمعه، ثم زادت صدمتها حينما سمعت أحد العاملين الواقفين إلى جوارها وهو يميل على زميلته ويقول لها وهو يكتم ضحكته:
ـ دي المدام.. بتلقح عليه عالهوا..
تجمدت في مكانها ونظرت إلى (مراد) الذي حاول أن يحتوي الموقف؛ فرد عليها مازحًا وهو يقوم بتقطيع بعض الخضروات أمامه:
ـ طيب ما تجربي تطبخي انتي.. مش بيقولوا أقرب طريق لقلب الراجل معدته..
فردت عليه باستفزاز:
ـ بس أنا جوزي معندوش قلب.. أنا جوزي عنده عين فارغة.. ها يا شيف؟ عندك وصفة للعين الفارغة؟
نظر (مراد) إلى (نيرة) التي كانت تنظر إليه بنظرات مصدومة ووجه ممتقع، فأدار وجهه للكاميرا متظاهرًا بتفقد بعض الأكلات في الفرن، بينما أخذ يلعن زوجته وبجاحتها وقد تقلصت ملامح وجهه من قوة الغضب الذي كان يكتمه.. إلا أنه أنهى المكالمة قائلًا بطريقة حاول أن تكون لبقة:
ـ والله يا مدام أنا مش متخصص في الحاجات دي.. في ناس متخصصين تقدري تعرضي مشكلتك عليهم.. شكرًا لاتصالك ومتابعتك للبرنامج..
كان جسده ينتفض مما حدث، وقد بذل مجهودًا خرافيًا ليبدو طبيعيًا بعد أن اغتصب تلك الابتسامة الصفراء، وهو يعود إلى الكاميرا ويتلقى اتصالًا

جديدًا؛ بينما كان يبحث بعينيه عن (نيرة) خلف الكاميرات..

ولكنه حينما عاد لم يجدها..

فقد رحلت في هدوء..

*****

(23)

كان (أيوب) يجلس على ذلك المقعد الجلدي الهزاز في ظلام لا يقطعه سوى إضاءة ذلك المصباح الصغير المُعلق على الحائط.. يرتدي بذة سهرة، أو ما تبقى منها؛ فقد كانت السترة ملقاة بإهمال فوق إحدى المقاعد بينما كانت رقبته كالعادة متحررة من ربطة العنق، أما قميصه فقد كان مفتوح الأزرار حتى الوسط على الرغم من برودة الجو في ذلك الوقت...

يدخن سيجارته وفي يده الأخرى زجاجة من البيرة قاربت على الانتهاء؛ بينما عيناه معلقة على زجاج الشرفة يحاول أن يُلهة نفسه عن وحدته بِعَدِّ قطرات المطر التي تتسابق لتلتحم مع بعضها البعض كأنها تتعانق كالأحبة..

الليلة هي ليلة رأس السنة الميلادية، ولا يعلم لماذا يجلس الآن وحيدًا، على الرغم من أن الحفلة التي نظمها في فيلته بالتجمع الخامس في أوجها الآن..

لماذا لم يذهب إلى ضيوفه؟ لماذ قرر وهو أمام باب المنزل أنه سيدخل العام الجديد وحيدًا كعادته؟ ثم لماذا لا يعرف عنها شيئًا منذ ثلاثة أيام؟

زفر في ضيق وهو يشعل سيجارة جديدة من آخر أثر للحياة في سيجارته الحالية وهو يفكر فيها.. لا يعرف عنها شيئًا منذ حوالي ثلاثة أيام؛ فهاتفها مغلق، ولا يعرف عنوان منزلها، أو بالمعني الأدق لم يهتم بالبحث عنه، ربما ليثبت لنفسه أنها ليست بتلك الأهمية بالنسبة إليه..

نظر في ساعة يده، فوجد أنه لم يعد يفصله عن العام الجديد سوى عشر دقائق..

عشر دقائق ويبدأ عام آخر يكرر فيه كل ما يفعله دون كلل أو ملل؛ سواء في

عمله، أم حياته الشخصية.. عشر دقائق و...

رن جرس الباب فتوقفت أفكاره عن الصراع، وقد عقد حاجبيه في استغراب..

نهض متكاسلًا ليعرف من بالباب، وقد أخبره حدسه أنها (مريم)، أو ربما ذلك ما تمناه.. فتح الباب وهو يبتسم ابتسامة واسعة ما لبثت أن زالت، وحل محلها دهشة ملأت كل ملامحه، فقد كانت مريم تقف أمامه بالفعل، ولكن لم يكن ذلك سبب دهشته.. كانت ترتدي معطفًا رمادي اللون، طويل، تلمع بعض قطرات المطر على أكتافه، وحذاء أسود ذا رقبة طويلة تصل إلى ركبتيها..

و.. و.. ودون حجاب..

أخذ (أيوب) يتطلع إلي شعرها الطويل الناعم الكثيف في انبهار، كأنها غجرية جاءت من قلب الصحراء، فقابلت هي انبهاره بنظرة خالية من أي تعبير وهة تسأله:

ـ هفضل واقفة كدا كتير؟

تنحنح وهو يفسح لها مجالًا كي تدلف إلى الداخل، وقد عادت الابتسامة إلى وجهه مرة أخرى، وهو يفكر أنها كالعادة نجحت في إبهاره ومفاجأته..

ذهبت (مريم) حيث كان يجلس، ثم لحقها هو وفي يده زجاجتان من البيرة.. وضع الزجاجتين فوق المائدة ووقف ينظر إليها في صمت؛ بينما كانت هي تخلع معطفها ليزيد انبهاره أكثر وأكثر، فقد كانت في منتهى الأناقة والأنوثة في ذلك الفستان الأحمر القصير شديد الضيق عند المؤخرة..

اقترب منها ببطء وهو يضع كلتي يديه في جيبي بنطاله؛ بينما كان يتطلع إليها

كأنه يراها لأول مرة، وهو يفكر ما الذي أصاب تلك الفتاة في الأيام الثلاثة الماضية وقلبها رأسًا على عقب هكذا.. كانت فائقة الجمال والأنوثة بتلك الملابس المثيرة والشعر الغجرى والبشرة الخمرية، ولكنه حينما نظر عن قرب إلى وجهها عقد حاجبيه حينما اكتشف أن مفاجأته بشكلها الجديد جعلته لا يلتفت إلى ذلك الوجه الحزين، وتلك العيون المنتفخة، والتي تخبر من يراها أن صاحبتها ظلت تبكي لساعات طويلة، وقد فشلت مساحيق التجميل في أن تداري حزنها، بل على العكس زادتها شجنًا وألمًا..

زاد اقترابه منها وزاد استغرابه حينما لم تبدِ هي أي رد فعل كما تعودت.. مد يده وتخللت أصابعه شعرها وهو يهمس لها:

ـ وحشتيني.. كنتِ فين اليومين اللي فاتوا؟

أجابته بلهجة لا تحمل أي رد فعل، وهي تحرر رأسها من يده، وتجلس على الأريكة، وتبدأ في نزع حذائها:

ـ كنت بموِّت إحساسي بالذنب.. إيه رأيك في النتيجة؟

ـ رائعة..

قالها وهو يشعل سيجارة جديدة، ولا تزال عيناه مثبتتان عليها في قلق واستغراب، يحاول فهم ما يدور بداخلها..

دقت الساعة معلنة انتصاف الليل وبداية عام جديد، ومع تلك الدقة انتفض قلب (مريم) انتفاضته الأخيرة.. كانت تعرف أنها لن تصمد كثيرًا، وأنها أضعف من أن تواجه ضعفها، ولكنها لم تكن تعتقد أن القدر سيجعلها تلقي بكل أسلحتها بتلك السرعة..

اتجهت إليه مرة أخرى وهي تنوى أن يبدأ العام الجديد وهي امرأة أخري،

فلتذهب (مريم البتول) بلا رجعة لعلها تأخذ معها كل تلك الذكريات الموجعة والآلام المتواصلة..

وقفت أمامه مباشرة حتى لم يعد يفصلهما سوى سنتيمترات قليلة، ثم مدت يدها وأخذت السيجارة من يده.. أخذت نفسًا طويلًا، ثم قالت بملامح ميتة من بين دخان السيجارة:

ـ أنا قررت أنفذ اتفاقنا النهاردا..

لم يندهش، فقط ضاقت عيناه ونظر إليها نظرة مباشرة في محاولة بائسة ليعرف ما الذي أوصلها إلى ذلك؟ ثم سألها ببطء وهو ينظر إلى شفتيها المكتنزتين:

ـ متأكدة؟

أومأت برأسها علامة على الإيجاب.. لم يجادلها، ولم يرغب في ذلك، فقط أمرها بهدوء:

ـ حضري نفسك وحصليني على أوضة التصوير..

ثم استدار واتجه إلى غرفة التصوير؛ حيث بدأ في تجهيز كل شيء حتى تأتي، ولكنه كان يتحرك بخطوات متوترة عصبية.. لم يكن ككل مرة يشعر بلذة الانتصار أو بنشوة الحدث الجديد، بل على العكس كانت مشاعره مُبعثرة.. لم يفرح لقرارها الذي انتظره عامًا تقريبًا، بل على العكس أراد أن يثنيها عنه، ولكنه قرأ في عينيها أنها لن تتراجع أبدًا..

قرأ في عينيها أن هناك شيئًا مات، وهي تفعل ذلك لتدفنه إلى الأبد..

قرأ في عينيها أن الفتاة التي كانت تنتفض بمجرد مروره بالقرب منها فارقتها روحها؛ لذلك ستتركه يعبث بجسدها بعد قليل..

كان يقف في وسط الغرفة ينظر حوله ليتأكد من أنه أعد كل شيء، حينما وقعت عينيه عليها وهي تتقدم إلى داخل الغرفة ببطء كالشاة التي تتجه إلى المذبح ولكن بكامل إرادتها.. ترتدي ذلك الروب الساتان أسود اللون، والذي بالكاد يصل إلى ركبتيها، بينما تمسكه من عند الصدر بإحدى يديها في محاولة أخيرة منها لستر نفسها..

أشار لذلك المقعد الخشبي في منتصف الحجرة، والتي وما إن جلست عليه حتى تركت صدر الروب لينفرج ويظهر بعض من أنوثتها المخبأة، وكأنها تقتل بذلك آخر طريق للرجعة..

وقف (أيوب) بعيدًا وبدأ يلتقط بعض الصور التجريبية، ولكنه لم يكن يركز فيما يفعل على الإطلاق، ولأول مرة كان استسلامها يوتره.. وضع الكاميرا واتجه إليها ليُعدل من جلستها واتجاه رأسها.. وقعت عينيه على ذلك الجزء الظاهر من فتحة الروب؛ بينما لمس بيده رقبتها، وشعرت أنامله بمدى نعومة ملمس جلدها، وحينما وقعت عيناه مرة أخرى على شفتيها فقد صوابه، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يقبلها قبلة بدأت بتردد وانتهت بثقة وقوة..

لم تمانعة ولم تستجب له، كانت كالمنومة مغناطيسيًا، تشعر بكل شيء ولكنها لا تستطيع إيقافه.. نزل بشفتيه على رقبتها برقة، فلم تمانعه أيضًا وكأنها كانت كالصنم..

جعلها (أيوب) أكثر من مرة تتمنى أن يقبلها، ولكنها الآن تشعر كالمريض المُخدَّر بمخدر جزئي؛ يشعر بكل شيء ولا قدرة لديه حتى على الألم، حتى إنها لم تعرف كيف أصبحت ممددة على الأرض، وهو إلى جوارها دون أدنى مقاومة، وقد بدأت يداه تجوب جسدها بحذر، ولكنها حينما سمعت صدى

أنفاسه الحارة في أذنيها هاجمتها الذكرى بكل تفاصيلها.. تصلب جسدها وبكل قوتها دفعته عنها وهي تصرخ في هيستيريا..

انتفض (أيوب) وابتعد عنها ورفع يديه عاليًا، كأنه يخبرها أنه لن يلمسها؛ بينما اعتدلت هي وتراجعت إلى الخلف وهي لا تزال تصرخ، وقد أحكمت إغلاق الروب حول جسدها الذي كان ينتفض.. كان (أيوب) لا يزال رافعًا يديه عاليًا يحاول تهدئتها قائلًا:

ـ متخافيش.. أنا وعدتك مش هعمل حاجة غصب عنك..

هدأت حدة صراخها حينما إنتبهت إلى أنه بالفعل بعيدًا عنها، وأنه لم يجبرها على شيء، فلقد توقف بالفعل حينما طلبت منه ذلك، وعلى العكس تمامًا شعرت بأمان عجيب أطل من عينيه.. اقترب منها بهدوء وربت عليها بحنان، فارتمت على صدره ليضمها ويضم بكاءها الحار؛ بينما أخذت تردد بين دموعها:

ـ كنت هسامحه.. كنت هسامحه بس هو اللي مشي.. سابنا ومشي..

عقد (أيوب) حاجبيه في عدم فِهم، ثم قال لها وهو يزيد من ضمها إليه:

ـ إحكيلي..

وكأنها كانت تنتظر تلك الكلمة فانطلقت تخبره بكل شيء.. أخذت تخبره بذلك الثُقل الذي تحمله في قلبها طوال خمسة عشره عامًا.. حكت له عن أبيها، وكم كانت تحبه على الرغم من أنه لم يكن يهتم بهن؛ هي وأختها وأمها على الإطلاق.. كان سكيرًا ويدخن الحشيش باستمرار، وكان منزلهم مفتوحًا لأصدقائه طوال الليل يدخنون ويسكرون معًا؛ بينما كانت أمها تدخلهما هي وأختها معها في غرفتها، وتغلق عليهن الباب بالمفتاح.. ولكنها وعلى الرغم

من كل ذلك لم تكرهه أبدًا، بالعكس كانت تدعو الله دائما إن يهديه لكي يعود كما كان في صغرها، ذلك الرجل الذي ملأ حياتها حُبًا وسعادة، ودائمًا ما كانت ترى فيه الأمان حتى ذلك اليوم منذ خمسة عشره عامًا، حينما بدأ جلسته المعتادة مبكرًا على غير المعتاد،لم تكن والدتها في المنزل ولم يهتما بغلق الباب عليهن كما اعتادا، فلم يكن بصحبة أبيها سوى عمها والد (يس) أول وأجمل حب في حياتها.. ولكن أبيها وعمها أسرفوا في تدخين الحشيش وشرب الخمر، حتى فقد عمها السيطرة على نفسه ووجدته معهما في الغرفة.. أخذت تصرخ في أبيها أن ينقذها من بين يديه، ولكنه كان واقفًا كالتمثال يشاهد ما يحدث دون أن يتحرك، كأنما كانت قدمه مكبلة في الأرض بسلاسل من فولاذ، وكان آخر ما رأته قبل أن تفقد الوعي هي نظرته التي لم تنساها حتى الآن..

ـ ولما فوقت كان مشي.. سابنا ومشي..

ثم أكملت بدموع حارقة، وقد زادت من ضم قدميها إلى صدرها:

ـ كنت هسامحه.. والله كنت هسامحه، بس هو مشي ومرجعش تاني..

تطلع إليها (أيوب) في ألم وشفقة، ثم اقترب منها وأخذ يربت على شعرها حينما التفتت إليه وقالت بألم:

ـ أبويا مات يا (أيوب).. مات من تلات أيام..

قالتها ثم ارتمت بين ذراعيه مرة أخرى في انهيار..

*****

(24)

لم تكن (صَبا) على ما يرام، بل لم تعد على ما يرام أبدًا منذ ذلك اليوم الذي رأت فيه (بدر) وتجاهل وجودها.. كأنها لا زالت مترنحة من صفعته في ذلك اليوم.. أصبحت متقلبة المزاج بشكل بشع؛ عصبية بطريقة لاحظها الجميع.. تدخن بشراهة، ناهيك عن شحوبها الدائم، وعينيها التي انطفأت لمعتهما تمامًا..

أعاد عقلها ذكري ذلك اليوم وهي تنظر إلى القداحة في يدها كأنها تُحملها قسوة صاحبها، بينما كانت تفكر في سبب تواجدها في ذلك المكان ووسط تلك الضجة..

المفترض أنها جاءت اليوم ذلك الحفل الضخم، والمقام في إحدى قاعات كبرى الفنادق في القاهرة لتشارك (آدم) فرحته بمناسبة الانتهاء من تصوير فيلمه الأخير، والذي يعمل به كمساعد مُخرج، ولكن الحقيقة أنها جاءت خصيصًا لأنها متأكدة من حضور (بدر) ذلك الحفل، فهو مصمم الديكور في ذلك الفيلم.. وكم يؤلم كرامتها اعترافها بذلك، ولكنها اشتاقت إليه كثيرًا، وبقدر ما أصبحت رؤيته تؤلمها بقدر ما كانت تعينها على حياتها الميتة..

حاولت أن تهرب من أفكارها فأشعلت إحدى سجائرها؛ بينما كانت تنتظر (آدم) في ملل أن ينتهي من حواره مع تلك المجموعة التي يتحدث معها منذ أكثر من نصف الساعة..

زفرت دخان سيجارتها في ملل وهي تنظر حولها؛ تبحث عنه بعيون مضطربة تخشى اللقاء، ثم عادت إلى القداحة مرة أخرى وهي تفكر أن العام الجديد قد

أتى وهي وحيدة من دونه..
ظنت أن وجوده سيعوضها عن سفر (عاصم)، سيقلل من وحدتها وفقدانها لأخيها.. سيُغير من عالمها المُمل.. إلا أن وجوده كان أقسي من غيابه..
ولكن ماذا تنتظر من رجل لا يفعل شيئًا منذ أن عرفته سوى الرحيل..
رجل يصعد بها إلى السماء ويتجول معها بين النجوم في لقاء، وفي لقاء آخر يتجاهل وجودها وينظر إليها كأنه لم يرها من قبل..
رجل يهديها مفتاح الحياة، ثم يرحل فجأة ويأخذ معه معنى الحياة..
رجل وجوده أبكاها أكثر من أي شيء في الوجود، في الوقت الذي لم يسعدها أحد مثلما فعل هو..
رفعت عينيها فجأة ناحية اليمين فانتفضت حينما تقابلت العيون..
ها قد آتى وجع قلبها.. كان ينظر إليها مباشرة نظرته الثاقبة التي تخترقها..
أشاحت بوجهها بعيدًا عنه وقلبها ينتفض، بينما شعرت بألم غريب في معدتها، وفي لحظات نسيت كل شيء، وتمنت أن تعود إليه لتروي عينيها بملامحه التي تفتقدها بشدة.. تمنت أن يدوم حديث (آدم) مع زملائه إلى الأبد، فربما يعطيه ذلك مساحة ليأتي إليها ويحاول إصلاح ما أفسده..
عقدت حاجبيه وهي مستاءة من تفكيرها المُهين لكرامتها..
كيف تشعر بذلك تجاه الرجل الوحيد الذي أهانها بأعصاب باردة؟
كيف يجتمع كل ذلك الألم وكل تلك السعادة في آن واحد لمجرد رؤية شخص معين..
عادت تنظر إليه في حنين تحول إلى غضب حينما لمحت (سمر) معه.. كان يطوق خصرها بإحدى يديه وكانت هي تتعمد أن تخفي وجهها في صدره كلما

ضحكت..

نغز قلبها شعور بالغيرة جعلها تهب واقفة وتتجه إلى (آدم) لتنضم إليه في محاولة منها لكي تلهي نفسها وتمنعها من أن تتابع (بدر)، ولكنها سرعان ما شعرت بالملل من أحاديثهم الفارغة ومزحاتهم السخيفة، وبينما كانت تميل على أذن (آدم) لتخبره أنها سترحل إن لم ينتهِ من حديثه حالًا، اصطدمت بعين (بدر) الذي كان يتابعها بتركيز لم يحاول أن يداريه..

ابتسمت في داخلها بخبث الأنثى، وقد قررت أن تحاربه بنفس أسلوبه، فمالت على أذن (آدم) مرة أخرى وقالت له بابتسامة واسعة:

ـ خلاص.. خليك براحتك..

ـ مجنونة..

قالها (آدم) بتلقائيتة المعتادة حينما يحتار في أفعال (صَبا)، فرنَّت ضحكة الأخيرة عالية بطريقة أثارت انتباه الكثيرين واستغراب (آدم)..

لم تعتد قبل ذلك أن تكون بذلك الصخب، ولم تحاول من قبل أن تلفت الانتباه إليها، لم تلجأ أبدًا إلى حيل النساء؛ ربما لأنها لم تقابل يومًا من يدخلها في معركة حب..

حب؟ رددت (صَبا) الكلمة بداخلها في استنكار..

هى لا تحبه.. بالتأكيد لا تحبه.. كيف تحب رجل يهينها بتلك الطريقة؟

كيف تحب رجل بتلك الأنانية، يعود إليها حينما يحتاج هو إلى ذلك؟

كيف تحب رجل لا يجيد سوى فن الرحيل؟

بالتأكيد لا تحبه.. هي فقط تثأر لكرامتها، وتخبره بأنها أفضل من دونه.. وحينما وصلت إلى تلك النتيجة رفعت رأسها في كبرياء، وشعرت أنها أكثر

ثقة من أي وقت مضى..

أنهى (آدم) حديثه مع زملائه، ثم اصطحبها إلى البوفيه، وهناك اصطدمت به.. كان يشعل سيجارته منتظرًا في ملل (سمر)، والتي كانت تحضر بعض المشروبات..

حاولت أن تستدير بسرعة قبل أن تقترب منه ويراها، إلا أن (آدم) قطع عليها طريق الرجعة حينما سمعته ينادي (بدر) ليُلقي عليه التحية، فعضت على شفتيها من الغيظ، ولكنها جاهدت كي تبدو متماسكة غير مبالية بشيء، وحينما اقترب منهما (بدر) اغتصبت ابتسامة واسعة وهي ترد تحيته..

كانت (سمر) قد انضمت إليهم حيث ألقت عليهم التحية وهي تعطي (بدر) كأسًا من العصير، فالتقطه منها بيد، وباليد الأخرى طوق خصرها وهو يسأل (صَبا) بوِد وابتسامة هادئة:

ـ عاملة إيه يا (صَبا).. وإيه أخر أخبارك؟

استفزها تصرفه بشدة، فوجدت نفسها تخبره بابتسامة عريضة وهي تتعلق بذراع (آدم):

ـ كله تمام.. خطوبتي أنا و(آدم) الأسبوع الجاي..

قالتها باندفاع ودون أدنى تفكير، وما لبثت أن ندمت على تسرعها في ذلك..

شعرت بصدمة (بدر) وابتسامته التي أخذت تقل تدريجيًا، حتى كادت أن تختفي تمامًا، بينما تجمدت ملامح (آدم) لثوانٍ، ولكنه عاد لابتسامته الواسعة بعد أن ضغطت هي على يده عدة ضغطات متتالية، أما (سمر) فقد استقبلت الخبر ببرود ولامبالاة واضحين..

ـ خبر جميل.. ألف مبروك..

قالها (بدر) لـ(آدم) الذي لم يجد ردًا عليه سوى ابتسامة واسعة مفتعلة، أما (صَبا) فقد شعرت أن الهواء قد اختفي من حولها، وأن دقات قلبها ارتفعت لدرجة كادت معها أن تصم أذانها، وهي تشعر بندم شديد على تسرعها، وتسأل نفسها: أي حمق فعلت؟ ولكن لا سبيل للرجعة، فلقد بدأت لُعبة ويجب أن تستمر فيها حتى النهاية؛ لذلك أجابته بسعادة مفتعلة:

ـ الله يبارك فيك.. عقبالك..

نظر إليها (بدر) تلك النظرة التي تقتلها، كانت ملامحه متوترة مشدودة على الرغم من أنه جاهد أن يبدو عكس ذلك، ثم فجأة لانت ملامحه، فقد وقعت عيناه على مفتاح الحياة الذي كان يتدلى من عنقها، وحينما عاد بعينيه إليها أدركت فورًا ما يفكر فيه؛ لذلك قررت الهروب وإنهاء ذلك الموقف حالًا، فاستأذنته بابتسامة متوترة وجذبت (آدم) ليرحلا، وعند أقرب مائدة جلسا كلًا منهما صامتي،ن فلم يجد هو شيئًا يقال ولم تجد هي كلمات للاعتذار..

انتظرت أن يتحدث (آدم).. أن يتفوه بأي كلمة.. أن يتشاجر معها، أو حتى يوبخها، ولكنه ظل صامتًا ولأنها كانت تعلم مدى غباء ما فعلت، ولأنها تعرف صديقها جيدًا، وتعلم أنه لن ينبس ببنت شفة، قررت الرحيل، حينما وقفت فجأة قائلة:

ـ أنا عايزة أمشي..

ـ امشي..

قالها (آدم) دون أن ينظر إليها، وبهدوئه الذي تعلم هي أنه يداري غضبًا شديدًا.. حاولت أن تقول شيئًا وحينما لم تجد حملت حقيبتها الصغيرة ورحلت في هدوء..

لم تكن تعرف إلى أين ستذهب، ولكن كل ما كانت تحتاجه مكان ليس هو فيه، وهواء نقي، فلقد ضاق بها المكان هنا على الرغم من اتساعه.. كانت تسير ببطء وهي تفكر في (آدم) ومدى الخطأ البشع الذي ارتكبته في حقه حينما فوجئت به يسير إلى جوارها، وعلى وجهه علامات غضب واضحة.. نظرت إليه في عدم فِهم، فقال دون أن ينظر إليها:

ـ انتِ جاية معايا، وميـنفعش اسيبك تروحي لوحدك..

يا لطيبة هذا الرجل.. قالتها لنفسها وهي تنظر إليه بامتنان..

ظلا صامتين طوال الطريق إلى ساحة انتظار السيارات؛ بينما كانت تفكر هي في غباء ما فعلته؟ وما الذي استفادته من تلك الأفعال المراهقة؟ ثم ما الذي كانت تنتظره من (بدر)؟ أن يهرع إليها ويطلب منها أن تسامحه؟ أم كانت تبحث عن نظرة ندم في عينيه؟ أم أنها كانت تظن بسذاجة أن رجل بشخصيته سيتأثر بغياب امرأة سبق وتركها عدة مرات؟

أرادت أن تخبره بكبرياء أنه لم يعد يحتل أي مكان بداخلها، فسحق كبريائها بابتسامته المتعجرفة.. أرادت أن تثأر لكرامتها، فأهانتها أكثر.. وحينما وصلت بتفكيرها إلى تلك النقطة اغرورقت عيناها بالدموع ووجدت نفسها تقول لـ(آدم) في ندم:

ـ أنا أسفة يا (بدر)..

أجابها بابتسامة متهكمة:

ـ النمرة غلط.. أنا (آدم)..

انسابت الدموع بغزارة من عينيها وهي تقول له بتلعثم:

ـ أنا.. أنا....

ثم فجأة ودون سابق إنذار تقيأت.. اندفعت من فمها كمية كبيرة من القيء على الرغم من أنها لم تكن تشعر بالغثيان، وأنها لم تكن المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك، إلا أنها شعرت بآلام شديدة وانقباضات مؤلمة في معدتها جعلتها تتلوى في ألم..

أمسك بها (آدم) في ذعر وقلق غير مبالٍ بذلك القيء الذي طال ملابسه، وحينما إنتهت وأفرغت كل ما في معدتها شبه الفارغة أجلسها على أحد المقاعد الخشبية الموجودة في ساحة الانتظار، ثم أخرج بعض المحارم الورقية من جيبه، وأخذ يمسح بها وجهها ويجفف ذلك العرق الذي غزا جبينها، وحينما هدأت حدة تنفسها قالت وقد عاودتها نوبة البكاء مرة أخرى:

ـ أنا أسفة يا (آدم).. أسفة..

ربت على يدها، وقال لها في حنان:

ـ أنا مش زعلان منك.. أنا كل اللي مضايقني شكلك قدامه.. ثم أكمل في ضيق وهو يجلس إلى جوارها:

ـ اوعي تفتكرى أنه صدق الهبل دا كله يا (صَبا).. هو بس اتأكد إنك بتحبيه..

قالها وهو يشيح بعينيه عنها وينظر بعيدًا، فمالت إلى الأمام ووضعت رأسها بين كفيها ثم بكت بحرقة.. نظر إليها في شفقة وحزن وهو يعرف أن بداخلها ألم، ويقتله أنه لا يستطيع إيقافه.. طوال معرفته بــ(صَبا) منذ أيام الجامعة وعلى الرغم من صداقتهم القوية لم يرها تبكي إلا مرتين أو ثلاث مرات، ولكنها المرة الأولى التي يراها تبكي بتلك الحُرقة وذلك الضعف..

قالت من بين دموعها، ودون أن ترفع رأسها:

ـ أنا عمري ما طلبت منه يكون موجود.. هو اللي كان بيمشي وهو اللي بيرجع..

حاول (آدم) أن تكون إجابته غير موجعة، فقال لها وهو يربت على شعرها:

ـ وكل مرة كان بيمشي فيها كان عارف إنك مستنياه يرجع، وعارف أنه لما هيرجع هتسامحيه من أول كلمة..

رفعت رأسها وسألته من بين دموعها:

ـ طيب ليه؟ عايز يمشي.. يمشي من غير إهانة.. ليه مصمم في كل مرة يشوه صورته قدامي؟

نظر إليها طويلًا، ثم تنهد وقال:

ـ علشان إحنا كلاب بلدي..

عقدت حاجبيها في عدم فِهم، وقد بدأت حدة بكائها تهدأ، فأكمل (آدم) بجدية قائلًا:

ـ آه والله، الرجالة كلاب بلدي.. بصي يا (صبابة) إحنا غيركو.. أغلب البنات لما بتحب بيكون عندها أولوية واحدة في حياتها، هي اللي بتحبه، وعلى أساسه بتبني عليه كل حياتها؛ أصحابها، شغلها، طموحها، قراراتها، حتى مواعيد نومها وصحيانها... والغريب بقى إنها بتعمل كدا بكل حب ورضا، إنما الراجل العكس، بتكون حبيبته من ضمن أولوياته، مع شغله، وأصحابه، وعربيته، ومزاجه، والبنات اللي بيعك معاهم.. وعلى حسب بقى.. كل واحد حبيبته بتكون رقم كام في كل اللي فات..

ابتسمت (صَبا) ابتسامة حزينة، وقد توقفت عن البكاء تمامًا، فأكمل (آدم) بمزاح:

ـ بس (بدر) بقى مُستكلِب زيادة عن اللزوم..
ضحكت (صَبا) من دعابته فأكمل بجدية:
ـ آه والله.. مُستكلِب وغبي.. علشان هو مش عارف بيضيع من إيديه إيه..
قال (آدم) جملته الأخيرة بحنان جارف وصدق شديد، فامتلأت عيون (صَبا) بالدموع مرة أخرى، فأسرع (آدم) وأعطاها منديلًا ورقيًا قائلًا في مزاح:
ـ دا آخر منديل معايا.. كنت ناوي أمسح بيه الأرف اللي عملتيه على البدلة..
انفلتت منها ضحكة وهي تأخذ المنديل منه، ثم سألته وهي تمسح عينيها:
ـ مش هترجع الحفلة؟
وقف مشيرًا إلى ملابسه وقال باشمئزاز:
ـ بالمنظر دا؟.. ثم أمسك بيدها يساعدها على الوقوف وهو يقول ضاحكًا:
ـ ياللا يا ختي علشان أروحك.. انتوا أصلًا مالكوش خروج في الأماكن النضيفة.. انتوا آخركوا ترابيزة 31.
ضحكت (صَبا) ضحكة رائقة، وقد شعرت أنها هدأت تمامًا.. فقد استطاع (آدم) أن يحتوي ألمها وغضبها كعادته، ثم تسألت في نفسها: لماذا لم تقابل وتحب رجلًا مثله؟ يحمل كل هذا القدر من الحنان والطيبة، رجلًا يصلح لكل شيء، أخ ،أب ،حبيب، وصديق..
استندت عليه في إعياء وهي تسير إلى جواره في طريقهم إلى السيارة، بينما كانت تفكر فيما قاله لها، وقد غيرت كلماته مفاهيم كثيرة لديها..
لن تجعل تعثرها بـــ(بدر) يبقيها على الأرض طويلًا..
ولن ترضى أن تكون من إحدى أولوياته أو أولويات غيره بعد الآن..
تلك الأيام التي لا تحتاج فيها سواه ولا تجده ستمر..

تلك الأيام التي تشعر أنها أضعف من أن تجتازها دونه حتمًا ستمر..

وحينما يعود إليها لن يجد تلك الطفلة البائسة التي يعتقد أن حياتها متوقفة على وجوده..

شيئًا ما ستغيره ساعات الانتظار.. شيئًا ما ستفقده تجاهه..

شيئًا ما ستكتسبه من رحيله الدائم..

ستتماثل للشفاء سريعًا من تجربته..

فكثرة الرحيل تقتل خلايا الضعف والحنين..

وستُصبح أقوى وأقسى..

ولن تنتظره..

*****

مش دايمًا صح..
إنك ترقص مع حد "سلُو"
غير لما المقتول يرقصها..
مع ناس قتلوه
أوقات الرقصة تكون أحسن
لو واحد يرقصها لوحده
على رِتم القلب.. اللي الأحداث
ما بتتحركش إلا بنبضه
والنبض ساعات يشبه لوداع..
أو خط العمر..
اللي بدمنا مرسوم ع الأرض
كلنا عالمسرح هنحاول..
نرقص مع بعض
يمكن لحننا مايبانش حزين
مش دايمًا علشان الرقصة..
تطلع حلوة
يرقصها اتنين.

عاد صوت الكمان مرة أخرى إلى المسرح حزينًا، يضفي على الجالسين طابعًا من الشجن، وما إن اختلط بصوت البيانو حتى ظهرت بقعة الضوء على ذات اللون الأسود؛ حيث كانت جالسة بمفردها على المائدة التي تتوسط المسرح..

نظرت إلى الجمهور نظرة طويلة، ثم قالت بألم حقيقي لمس قلوب جميع الحاضرين بعد أن أطرقت براسها إلى الأرض:

ـ البنت لمَّا بتتوجع.. أول حد بتأذيه نفسها.. مع أنها مش حِمل زيادة وجع..

*****

(25)

كانت تجري مهرولة بجسد مرتعش في أروقة تلك المُستشفى، تسبقها دموع حارقة في عيون غائرة، تبحث عن أية لافتة تخبرها بأنها تبحث في المكان الصحيح، حينما أوقفت إحدى الممرضات وسألتها بخوف وأنفاس لاهثة:

ـ مراد البنا؟

ـ آخر الممر، شمال..

قالتها الممرضة، ثم ربتت على كتف (نيرة) في محاولة لتهدئتها، وأكملت قائلة:

ـ متقلقيش.. هيبقى كويس.. الحمد لله، هي مسألة وقت..

أجابتها (نيرة) من بين دموعها بنظرة شكر سريعة، ثم أسرعت إلى المكان الذي وصفته لها الممرضة، وهناك خلف إحدى النوافذ الزجاجية كان يرقد مستسلمًا لكل تلك الخراطيم والأجهزة الطبية التي كانت تحاصره.. مربوط الرأس تكبل قدمه ويده اليسرى حتى كتفه جبيرة بيضاء..

تسارعت من عينيها الدموع بغزارة لدرجة أثرت على رؤيتها.. لم تبكِ منذ وفاة والدها، فهي لم تجد في أي حدث بعد ذلك شيئًا يستحق البكاء ، حتى عندما تركها (علي) لم تذرف دمعة واحدة، ولكنها الآن تشعر بألم رهيب في قلبها، وبرودة احتلت جسدها وجعلتها ترتجف من الداخل بقوة..

وعلى الرغم من كل تلك الكدمات والسحجات التي كانت منتشرة على وجهه وتكاد تخفي ملامحه، إلا أنها أخذت تنظر إلي وجهه باشتياق وحنين، فهي لم تره منذ ذلك اليوم في الاستديو..

نجحت زوجته في ذلك اليوم أن تحول بين لقاءاتها ومكالماتها الهاتفية..

نجحت في أن تظهرها أمام نفسها تلك الفتاة اللعوب التي تغزل بشِباكها حول رجل متزوج لتهدم أسرتَه واستقراره، وكم أهان ذلك كرامتها.. كم جعلها تشعر بالذنب لدخولها في علاقة لم تحسب لنهايتها أي حساب، حتى وإن كانت مجرد صداقة..

لذلك فقد قررت (نيرة) أن تُحدث وَقفة مفاجِئة في علاقتهما قبل أن يتوغل أكثر من ذلك بداخلها، وضعت قواعد صارمة لنفسها وحاولت أن تتهرب منه بكل الطرق، فلم تعد تخرج بصحبته.. أصبحت لا تذهب إلى المقهى سوى في الأوقات التي تكون متأكدة أنه ليس موجودًا هناك.. وامتنعت عن مكالماتهما الطويلة والتي كانت تمتد لساعات، فأصبحت تقتصر على مكالمات قصيرة جدًا لمجرد الاطمئنان.. ولكنها نسيت كل تلك القواعد بمجرد قراءتها على الــ(فيس بوك) أنه تعرض لحادثة قوية؛ حيث انقلبت به دراجته البخارية..

ـ هيبقى كويس إن شاء الله.. الدكاترة بيقولوا أن حالته مستقرة.. الحمد لله، الخوذة كانت حامية راسه وبالنسبة للغيبوبة قالوا هيفوق منها.. هي ممكن تاخد شوية وقت، بس هيفوق.. إن شاء الله هيفوق..

اقتحم أفكار (نيرة) صوت تلك المرأة التي وقفت إلى جوارها تشاركها التطلع في خوف إلى (مراد) من خلف تلك النافذة الزجاجية.. كأن صوتًا متألمًا خرج مختنقًا بالدموع، وعلى الرغم من ذلك لم تهتم (نيرة) بمجرد النظر لصاحبة الصوت، فقد كانت عيناها متعلقتين بذلك النائم في هدوء، دون أن يدرك قوة الألم والخوف اللذان احتلا صدرها.. عاد صوت المراة مرة أخرى حيث قالت بصوت خرج مبحوحًا بينما تحول بكاؤها إلى شهقات عالية:

ـ مكونتش متخيلة إني بحبه للدرجة دي.. أنا عمري ما هسامح نفسي لو حصل له حاجة..

هنا التفتت إليها (نيرة) في حدة بعد جملتها الأخيرة؛ بينما استرسلت المرأة في الحديث بدموع مؤلمة و(نيرة) تتطلع إليها في ذهول حينما اكتشفت أنها (غادة) زوجة (مراد)..

لم تصدق أن تلك المرأة غير المهندمة في ملابسها، والتي احتل وجهها بدلًا من مساحيق التجميل ألم وشحوب شديدان، هي نفس المرأة التي كانت تحرص على زينتها وأناقتها أكثر من حرصها على علاقتها بزوجها..

لم تصدق أن تلك المرأة المكسورة النادمة التي تبكي بحرقة وقد تورم جفناها وغارت عيناها من الخوف، هي نفس المرأة الفجة المتغطرسة والتي اختبرت (نيرة) بنفسها جبروتها عدة مرات، كان آخرها على الهواء مباشرة..

لم تصدق أن المرأة التي قطعت ببرودها وغرورها وقسوتها آخر الخيوط في علاقتها بزوجها، تقف الآن مرتجفة على حافة الموت خوفًا من فقدانه..

كانت لا تزال تتحدث بمنتهى القهر والندم، وتعترف بما اقترفت يداها مع (مراد).. تخبر (نيرة) كم كانت امرأة عنيده قاسية باردة أنانية.. ولكنها الآن نادمة تدعو الله أن يعطيها فرصة أخيرة كي تحاول إصلاح ما أفسده جبروتها..

ظلت (نيرة) تستمع إليها بوجه متألم، وهى تتساءل في داخلها من بين دموع صامتة: كيف لها أن تعترف بكل ذلك؟ بل كيف تعترف لها هي بالأخص بكل تلك الذنوب، وهي بالتأكيد تعرف أن وجودها في حياة (مراد) قد يقطع عليها خط الصفح..

ـ هعيش خدامة تحت رجليه.. هعوضه عن كل السنين اللي فاتت.. عن قسوتي وإهمالي وأنانيتى.. بس يقوم بالسلامة.. يقوم بالسلامة وأنا عهد عليا يارب هتغير..

ثم نظرت إلى (نيرة) وسألتها بخوف:

ـ تفتكري هيسامحني؟

تفاجأت (نيرة) من سؤالها.. تسألها كأن بيدها الخلاص.. كأنها تترجاها أن تساعدها وأن تعطيها إجابة تُسكن ألامها وتطفئ نارها، فأومأت لها (نيرة) برأسها علامة على الإيجاب، وقالت لها بشفقة وهي تربت على كتفها:

ـ هيسامحك.. هيسامحك..

تنهدت (غادة) في حرارة وهي تعود بعينيها إلى (مراد) بينما هدأت حدة بكاءها بعض الشيء، وما هي إلا لحظات حتى انضمت إلى زوجها حيث جلست إلى جواره، وأمسكت بيده تقبلها في حزن، وهنا وصلت الرسالة إلى (نيرة)، فلم يعد لها مكان الآن، بل إن وجودها أصبح سخيفًا مهينًا لا صفة له.. لذلك وبعد أن ألقت على (مراد) نظرة طويلة أخيرة، رحلت كعادتها في هدوء..

رحلت وقد عاد إليها ذلك الخواء بداخلها.. كانت تفكر في علاقتهما قصيرة الوقت كبيرة الأثر، وهي تتساءل: لماذا قابلته منذ البداية؟ ما الحكمة من دخوله حياتها المُبعثرة وخروجه منها وقد تركها أكثر بعثرة؟

لن يمر (مراد) بحياتها مرور الكرام.. لن يكون عابر سبيل ترك ذكرى ورحل في هدوء، فرحيله كان صاخبًا قلب موازين أفكارها وسكينة حياتها..

ستتألم قليلًا في البداية، ولكنها ستتعود على رحيله، أو ربما ستتعود على الألم، ولكنها مقتنعة أنها اتخذت القرار السليم.. ربما اخطأت زوجته ولكنها تستحق فرصة أخيرة، ولن تكون هى السبب في حرمانها من تلك الفرصة.. لن تحرم أطفاله منه، فلقد اختبرت بشاعة فقدان الأب، ولا زالت تعيش تبعات ذلك الشعور حتى الآن..

فلتتركه الآن أفضل من لاحقًا، ولتجعل مروره في حياتها كشجرة الياسمين؛ تصدر رائحتها العَطرة مع كل نسمة من نسمات الذكرى..

كانت الشمس تعلن عن اختفائها تاركة تلك الألوان الرائعة في السماء، كأنها تُعوِض الأرض عن غيابها النسبي طوال الليل، حينما اجتازت (نيرة) بوابة المستشفى بثقل كأنها تعبر إلى عالم جديد غريب لا تعرف ما الذي ستواجهه فيه، حينما تعالت نغمة هاتفها المحمول..

أخرجت الهاتف من حقيبتها في رتابة، وحينما رأت اسم المُتصل توترت ملامحها ونظرت إلى السماء في قلة حيله وهي تقول في حيرة:

ـ أنا مش فاهمة.. أنا بجد مش فاهمة..

ثم عادت إلى الهاتف مرة أخرى، وما إن ضغطت على زر الرد حتى جاءها صوته مندفعًا متوترًا وهو يقول دون مقدمات:

ـ وحشتيني يا (نيرة).. وحشتيني أوي..

ابتسمت في سخرية وألم وردت قائلة من بين دموع بدأت في الانهيار:

ـ عارف يا (علي)؟ دي أول مرة من يوم ما عرفتك تكون موجود في الوقت الصح..

*****

(26)

كانت ترقد على ذلك الفراش المتحرك الذي يدفعها ببطء داخل ذلك الجهاز الكبير؛ حيث كانت تقوم بعمل تلك الأشعة المقطعية على المخ، والتي كانت ضمن قائمة طويلة من الأشعة والتحاليل طلبها منها الطبيب الذي ذهبت إليه بعد تصميم من والدتها وصديقاتها لكي يطمئنوا على حالتها الصحية، والتي أصبحت تسوء يومًا بعد يوم وبصورة ملحوظة..

تدخل ببطء في ذلك الجهاز الكبير وهي تتمنى في سخرية أن تخرج من الناحية الأخرى إلى عالم موازٍ تجد فيه بعض من السكينة والهدوء.. عالم يكون بلا ملل أو ألم، بلا وحدة وهموم.. عالم يكون بلا (بدر)..

تنهدت وهي تتذكره، ثم عادت وسألت نفسها في صراحة; وهل تنساه؟ وكيف تنسى من ترك قلبها متفحمًا من كثرة الرحيل.. كيف تنسى من أخذ من كل شيء زهوه واستأثر بالحياة في حضوره..

انتبهت على صوت الممرضة، وهي تخبرها للمرة الثالثة أنهم قد انتهوا، وأنه يمكنها أن ترتدي ملابسها وتخرج، فنظرت إليها (صَبا) في إحراج، ثم قامت وارتدت ملابسها في إعياء، فقد كان ذلك الصداع اللعين يفتك برأسها، ثم خرجت إلى (نيرة) التي كانت تنتظرها بالخارج حيث كانتا على موعد مع (مريم)، فقد قرر ثلاثتهن الذهاب إلى الكنيسة التابعة لها (كاترين) ليتحرين أمر ذلك الذي يدعى (جوزيف) خاصة بعد ما أخبرتهن به (كاترين) عمَّا اتفقا كلاهما على فعله..

كانت (صَبا) تنظر في حزن إلى (نيرة) التي تجلس إلى جوارها في السيارة، واجمة على عكس عادتها، تنظر من النافذة في صمت مميت، ثم أشعلت سيجارة وأخذت تفكر في ما وصلن جميعًا إليه.. (كاترين) وتلك المصيبة التي أخبرتهن أنها على وشك فعلها، و(مريم) وحالها الذي انقلب تمامًا للدرجة التي جعلتها تخلع حجابها، ثم (نيرة) وهدوئها الخارجي مع ثاني صدمة تتلقاها في وقت قصير، وهنا نظرت (صَبا) إليها مرة أخرى، ثم قالت محاولة أن تقطع ذلك الصمت، وأن تفتح أي حوار يجعل (نيرة) تتحدث:

ـ أخبار (مراد) إيه؟

أجابتها (نيرة) دون أن تنظر إليها:

ـ لسة في المستشفى..

فقالت (صَبا) في ضيق مغيرة الموضوع:

ـ حاسة إننا هنكتشف مصيبة في الكنيسة.. قلبي مش مرتاح خالص.. اللمبة منورة..

لم تجبها (نيرة)، فأخذت تنقر على مقود السيارة في ملل محاولة التفكير في أي شيء يتحدثن عنه، حينها تذكرت تلك اللعبة اللاتي كُن يلعبنها باستمرار، فقالت وهي تقوم بتشغيل المذياع بطريقة عشوائية على أي محطة إذاعية غنائية:

ـ الأغنية اللي جاية على حظك..

وما إن قامت بتشغيل الراديو حتى جاءهم صوت (محمد محيي) في أغنية (اتخنقت)..

أنا موصلتش لحاجة م اللى حلمت بيه

سوء اختيار دا واللا سذاجة واللا إيه؟

رجعت للصفر من مكان ما بدأت..

عقدت (صَبا) حاجبيها حينما استمعت لتلك الكلمات بينما قامت (نيرة) بتغيير المحطة الإذاعية وهي تبتسم في سخرية حزينة، فجاء صوت (جنات) حزينًا..

الطفلة البريئة المغمضة..

بقيت م النهاردة مش كدا..

بقيت واحدة تانية متمردة..

والفضل ليك...

أغلقت (صَبا) الراديو في عصبية وهى تسأل (نيرة) :

ـ هو النهاردا إيه؟

ـ التلات..

فأومأت برأسها علامة على الإيجاب وهي تنظر حولها؛ حيث كانت حركة المرور متوقفة تمامًا، ثم قالت وهي تشعل سيجارة جديدة:

ـ واضح.. إحنا نشغل الفلاشة أحسن..

وما إن قامت بتشغيل الفلاشة حتى جاءهم صوت (Celine Dion) في أغنية (Just Walk Away)

So walk away
And close the door
And let my life be as it was before
And I'll never never know
Just how I let you go
But there's nothing left to say
Just walk away ..

نظرتا إلى بعضهما البعض ثم انفجرتا في نوبة ضحك، حتى دمعت عيناهما، ولكن الأمر انقلب مع (صَبا) ببكاء حقيقي، فأعادت رأسها إلى الخلف وهي تلعن ذلك الذي أصابها وجعلها سريعة التأثر للدرجة التي تُبكيها أغنية..

نظرت إليها (نيرة) في شفقة، وأخذت تربت على كتفها بحنان؛ بينما كانت (صَبا) تنظر إلى الشارع وهي تفكر أن قلبها لا زال عالقًا به، وأنه قد تسبب في شلل تام لحياتها ولكنها ستتجاوزه.. أخذت تمسح دموعها بظهر كفيها وهي تفكر في أنها ستتألم قليلًا ولكنها ستتجاوزه..

أغلقت (نيرة) الأغنية، ثم قالت بلهجة حاسمة:

ـ انتي لازم تبقي أقوى من كدا.. ركزي بقى في صحتك وشغلك وانسي الحوار دا تمامًا..

ـ مش هرتاح إلا لما أعرف ليه..

ـ غلط.. لو عرفتي برضو مش هترتاحي، بالعكس هتتعبي أكتر.. لازم تنهي الحوار دا جواكي يا (صَبا)..

كانت السيارات قد بدأت في التحرك ببطء حينما نظرت لها (صَبا) نظرة تدل على أن فكرة ما طرأت بعقلها، ثم قالت في هدوء:

ـ انزلي يا (نيرة) خدي تاكسي وروحي لـــ(مريم).. أنا عندي مشوار لازم أعمله..

سألتها (نيرة) في قلق، وقد توقعت ما تفكر فيه صديقتها:

ـ مشوار إيه؟ هتروحي فين؟

ـ هروح أنهي الحوار دا تمامًا..

وقبل أن ترد عليها (نيرة) ضغطت (صَبا) على بوق سيارتها ضغطة طويلة مُزعجة وهي تقول في عصبية أشبه بالصراخ:

ـ انزليييييييييييي.. إحنا موقفين الشارع..

بدأت أبواق السيارت تتعالى لتحث (صَبا) على التحرك؛ بينما كانت لا تزال يدها على بوق سيارتها كي لا تستمع إلى كلمات (نيرة) التي ترجلت من السيارة، وهي لا تصدق أن تلك الأفعال تصدر من (صَبا)، ثم قالت في حدة وهي تغلق باب السيارة في عنف:

ـ خلاص يا زفتة.. غوري.. روحي هزئي نفسك..

انطلقت (صَبا) دون أن تعير لكلمات (نيرة) أي اهتمام، وهي تفكر أن ذلك الموضوع لن ينتهي إلا بالمواجهة، و(نيرة) لن تتفهم ذلك.. فالأخيرة أقوى من أن تضع نفسها في ذلك الموقف.. كم كانت تحسدها على حسمها وقوتها.. كم كانت تتمنى أن تصبح مثلها في ثباتها وقوة تقبلها للأمور ومواجهتها لكل ما يؤلمها، حتى وإن كان ذلك ظاهريًا فقط..

ولكنها لن تستطع أن تصبح مثلها..

لن تستطع أن تمضي في الحياة قدمًا دون أن تضع حدًا لذلك الألم بداخلها..

وعلى الرغم من أنها تعلم أنها ستندم بشدة على ما تفعله الآن إلا أن ذلك لم يجعلها تتراجع..

ستواجهه.. فـ(بدر) يحتاج من يواجهه.. يحتاج من يثبت له ضعفه الذي لا يمكنه من فعل شيء سوى الهروب وبدء حكاية جديدة مع امرأة جديدة تنتهي بنفس الألم..

ستواجهه مهما نتج عن تلك المواجهة من ألم أو فوضى بداخلها، فحينها ستستطيع أن ترتب حياتها من جديد من دونه..

وصلت إلى تلك النقطة بتفكيرها، وهي تضغط بيد مرتعشة على جرس المَرسم الخاص به، وحينما إنفتح الباب صُعقت مما رأته فلم يكن (بدر) أفضل حالًا منها بذلك الوجه الشاحب والعيون الغائرة المنتفخة، والتي ازدادت ضيقًا، وتلك الذقن التي لم تُحلق منذ عدة أسابيع..

لم يحاول إخفاء تعبيرات وجهه، والتي دلت على أنه تفاجأ من رؤيتها.. نظر إليها قليلًا ثم أفسح لها مجالًا ودعاها للدخول بيده دون كلمة واحدة..

دلفت إلى الداخل بأقدام مرتعشة، ولحقها هو بروح مثقلة، ثم جلس على أقرب مقعد وهو يشعل سيجارة بينما ظلت هي واقفة لا تتحرك.. كانت تحاول البحث عن طريقة تبدأ بها المواجهة دون أن تهين كبرياءها وحينما قرأ هو حيرتها قرر أن يبدأ الحديث، ولكن بطريقة هجومية، فسألها ببرود:

ـ خير يا (صَبا).. جاية تعزميني على الخطوبة واللا إيه؟

أجابته بنفس البرود وبمنتهى الصراحة:

ـ ما إنت عارف إن مفيش خطوبة، وإن مفيش أي حاجة بيني وبين (آدم)..

ابتسم في سخرية استفزتها، فجلست ثم قالت بهدوء:

ـ أنا جاية أسألك سؤال واحد.. ثم تنهدت بقوة وقالت:

ـ ليه؟

قالتها بطريقة جعلته يلعن جبروته.. لم تحتج أن تكمل سؤالها، فكانت تلك الكلمة الوحيدة تكفي لتضعه أمام نفسه وتواجهه بقسوتة ونذالته.. صمت

قليلًا محاولًا أن يجد إجابة ناهية، لا تفتح أمامه سيل آخر من الأسئلة، فقال دون أن ينظر إليها:

ـ أنا مكدبتش عليكي من الأول.. قلت لك إني إنسان وِحِش.. قلت لك كمان إنى مش الراجل اللي شفته في عنيكي..

فقالت له في عدم تصديق:

ـ ما إنت قلت لي حاجات كتير تانية.. زي إني هلاقيك دايمًا لما احتاجك.. وإن نفسك أكون زي ضلك.. وإنك نفسك تعمل حاجة تفرحني..

حاول أن يبحث عن رد مناسب فلم يجد، فكل الردود ستؤلمها أكثر؛ لذلك اكتفى بتدخين سيجارته في صمت، ولكنها كانت مُصرة على معرفة الإجابة، فسألته في تردد:

ـ هى رِجعت؟

ـ هى مين؟

ـ الحب اللي انتهى من سنين، بس لسه عايش جواك بطريقة ما..

نظر إليها بملامح متجمدة ثم قال:

ـ ياريت ترجع..

فسألته، وقد شعرت بغيرة تنغز في قلبها:

ـ وإيه اللي يمنع..

ـ علشان ماتت..

قالها بمنتهى الألم ومنتهى الهدوء الذي استغربه هو شخصيًا من نفسه، ثم أكمل بلهجة ميتة:

ـ (زينة) ماتت من سبع سنين.. عملنا حادثة.. ثم أكمل بمرارة:

ـ أنا اللي كنت سايق وهي اللي ماتت..

نظرت إليه دون أن تجد ردًا، بينما قفز إلى عقلها لافتة المَرسم الموضوعة في مدخل العمارة والمكتوب عليها (أتيلية زينة) والمرسوم عليها نصف وجه لامرأة تبكي، ثم وجدت نفسها تردد كلماته قائلة:

ـ ومن يوميها معرفتش تحافظ على حد في حياتك.. ثم أكملت بطريقة تهكمية:

ـ دا بقى المُسكن اللي بتديه لضميرك كل ما توجع واحدة وتسيبها..

عقد حاجبيه من كلماتها، فقد توقع أن يكون رد فعلها أكثر تفهمًا وأكثر احتواءً، ولكن لم يحدث ذلك، بل على العكس فقد جعلتها كلماته تستاء منه أكثر وتتمرد على قلبها وضعفها أكثر وأكثر؛ لذلك قالت له بهدوء وهي تهم بالرحيل:

ـ لو كنت حبيتها كنت هتحترم ذكراها.. ولو كان موتها وجعك مكونتش وجعت كل واحدة عرفتها..

أطرق بوجهه إلى الأرض في خجل من كلماتها، والتي وضعته أمام نفسه وواجهته بمدى قُبحه، فقال لها دون أن يرفع عينيه إليها:

ـ أنا آسف يا (صَبا)..

فأجابته بمنتهى القوة وهي تسير ناحية الباب:

ـ وأنا مش مسامحاك يا (بدر)..

*****

(27)

صدمة لم يكنَّ يتوقعنها هبطت على رؤسهن بعد أن قابلت كل من (نيرة) و(مريم) القس (أبانوب)، والذي كان متعاونًا بشدة معهما، وأخبرهما بكل شيء جعلهما يتأكدان أن (كاترين) في خطر مؤكد، بعد أن عرفتا منه أن المبني الجديد مهجور وموقوف العمل به منذ الصيف لعدم اعتماد ميزانية تجديده، وأن أمين عام التربية الكَنسية يدعى (حبيب) وليس (جوزيف).. كما إنه رجل كبير في السن قارب على الخمسين وليس شابًا بمواصفات (جوزيف)، وأنه لا يعمل معهم في الكنيسة أحد بتلك المواصفات..

وأن الجميع كان يستغرب بشدة من جلوس (كاترين) وحيدة ولفترات طويلة معظمها بالقرب من المبنى الجديد.. ناهيك عن مشاجراتها المُستمرة مع زملائها في الكنيسة، واتهامها الجميع بأنهم يتحدثون عنها ويخوضون في عرضها.. ثم في النهاية نصحهن بمساعدتها في زيارة طبيب نفسي، فهو يري أنها لم تستطع اجتياز صدمة وفاة والدتها بعد..

وبالفعل أسرع ثلاثتهن بزيارة أحد الأطباء النفسيين، ولكن دون معرفة (كاترين) حيث عرضن عليه الحالة بالتفصيل، وحكين له كل شيء، وقد كانت الصدمة الكُبرى والتي افقدتهن توازنهن كُليًا حينما أخبرهن الطبيب أن صديقتهن مُصابة بالفُصام..

كان أربعتهن يجلسن داخل سيارة (صَبا) عند الكيلو 35 على جانب طريق (مصر/ اسكندرية) الصحراوي وقد قاربت الساعة على التاسعة مساء في آخر أيام شهر يناير..

الطريق يكاد يكون خاليًا في ذلك الوقت وذلك البرد القارص؛ حيث أخبرهم مؤشر قياس درجة الحرارة في السيارة بأنها 6مئوية.. الأمر الذي جعلهن يغلقن جميع نوافذ السيارة؛ بينما يجلسن في صمت قاتل عكس ذلك الصخب الذي كان يدور في رأس كل من (مريم) و(صَبا) و(نيرة)؛ حيث أخذ ذلك الحوار الذي دار بينهن وبين الطبيب النفسي يدور في رؤسهن:

ـ الفُصام مرض عضوي ومُزمن، وللأسف مالوش علاج، هو له دوا بيسيطر على أعراضه زي مريض السُكر ما بياخد الأنسولين، هو مش علاج، هو مجرد سيطرة على الوضع، علشان كدا لما تبدأ علاج مش هنفكر نوقف الدوا غير بعد فترة طويلة..

فسألته (مريم) في صدمة من كلماته:

ـ طيب إيه السبب يا دكتور.. (كاترين) طول عمرها كويسة، عمرنا ما لاحظنا عليها أي بوادر لحاجة زي كدا..

ـ العامل الوراثي له دور كبير، وكمان العوامل الاجتماعية والظروف المحيطة؛ يعني ممكن تكون الأعراض موجودة بس بتظهر حدتها في ظروف معينة، زي صدمتها في موت والدتها، والظروف اللي سبقت موتها.. المهم إنها تبدأ العلاج في أسرع وقت، وإن اللي معاها يكوت مُتفهم جدًا لحالتها ويقدر يساندها ويقف جنبها..

تنهدت (صَبا) في حزن حينما وصلت بتفكيرها إلى تلك النقطة.. نظرت في ساعة السيارة ثم سألت (كاترين) التي كانت تجلس إلى جوارها:

ـ انتي متأكدة إنه قالك قبل ماستر على طول؟

أومأت (كاترين) برأسها علامة على الإيجاب دون رد، فعادوا إلى صمتهن..

كانت (صَبا) تستند إلى ظهر مقعدها في إرهاق أصبح يلازمها طوال الوقت، تفكر في أنهن لم يجتمعن منذ زمن، وحينما اجتمعن جلسن صامتين شاردين لا يتبادلن كلمة واحدة، بل إنهن الآن على وشك فقدان إحداهن.. فعادت ونظرت مرة أخرى إلي (كاترين) وهي تتمنى أن تحدث المُعجزة ويأتي (جوزيف).. وقد سيطر عليها إحساس بشع بالذنب تجاه صديقتها، حيث أخذت تتساءل بداخلها: كيف انشغلن عنها بتلك الدرجة؟

كيف لم يلاحظن كل تلك التغيرات التي طرأت عليها؟ وكيف لم تشك أي منهن في شيء وخاصة بعد ما حدث في ذكري مولد (نيرة)؟

كيف لم تلتف إلي حديث (آدم) حينما أخبرها أنها ظلت وحيدة طوال العرض، ولم ينضم إليها أحد؟

لماذا تركوها لعزلتها؟ هي تعلم أنهن حاولن معها كثيرًا، ولكن كان يجب أن يحاولن أكثر وأكثر ولا يسأمن من المحاولة..

كن جميعهن في بحر واحد، ولكن كل منهن حاولت أن تتفادى الأمواج بقدر ما تستطيع، فلم ينتبهن لتلك التي سحبتها الدوامة..

ـ وحدووووووووه..

قالتها (نيرة) بطريقة مفاجأة وبصوت عالٍ جعل ثلاثتهن ينتفضن وهن يردوا عليها قائلين (لا إله إلا الله)، ثم سألت (كاترين) وهي تنظر إلى ساعة السيارة:

ـ الساعة داخلة على عشرة يا (كوكا).. انتي متأكدة إنه جاي؟

أجابتها (كاترين) في توتر:

ـ أيوة متأكدة.. أكيد جاي.. أكيد..

تقابلت نظرات (نيرة) و(صَبا) في مرآة السيارة، فتنحنحت الثانية وسألت (كاترين) في تردد:

ـ هو انتي متأكدة من (جوزيف) دا يا (كاترين)؟ واثقه فيه أوي يعني؟

التفتت إليها (كاترين) في حدة وقالت:

ـ طبعًا متأكدة.. ثم وجهت حديثها إلى ثلاثتهن قائلة:

ـ بقولكوا إيه؟ اللى عنده كلمة حلوة يقولها.. ولو متأخرين امشوا أنا هستناه لوحدي..

ثم ترجلت من السيارة وأغلقت الباب خلفها في عنف، فتبعوها بسرعة وقد قررن مصارحتها بما وصلن إليه من معلومات.. وما إن خرجن من السيارة حتى قابلهن هواء شديد البرودة جعلهن ينكمشن في ملابسهن..

قالت (صَبا) في محاولة لتهدئتها وهي ترتعش:

ـ ممكن تهدي وتسمعينا من غير عصبية..

ـ قولوا..

قالتها (كاترين) وهي تنظر إليهن في شك؛ بينما كانت تستند إلى السيارة، فاقتربت منها (مريم) ووقفت إلى جوارها، ثم استرسلت تحكس لها ما حدث في الكنيسة، وما قاله القس (أبانوب)، ولكنها لم تذكر لها أي شيء عن زيارتهن للطبيب النفسي..

نظرت إليهن (كاترين) في ذهول وعدم تصديق، ثم سألتهن في ريبة:

ـ يعنى عايزين تقولوا إيه؟ عايزين توصلوا لإيه؟

أجابتها (صَبا) بلهجة مترددة محاولة تخفيف الأمر عليها:

ـ حاجة من الاتنين.. يا (جوزيف) دا نصاب.. يا إما ملوش وجود أصلًا..

سألتها (كاترين) في حدة وقد علا صوتها:

ـ مالوش وجود يعني إيه؟ مجنونة أنا يعني؟ هخترع شخص علشان أحبه وأهرب معاه؟

لم تجبها أي منهن بل ظلوا ينظرن إليها في شفقة، بينما قالت لها (نيرة) في محاولة لتهدئتها:

ـ لأ طبعًا يا حبيبتي.. إحنا بس بنحبك وخايفين عليك وعايزين نطمن..

ـ لو بتحبوني بجد ساعدوني أسيب كل اللي أنا فيه وأحاول ابدأ من جديد.. صدقوني هو جاي.. ولو اتأخرتوا امشوا انتوا.. أنا هستناه..

ثم أكملت وقد بدأت في بكاء صامت وهي تنظر حولها يمينًا ويسارًا:

ـ هستناه إن شالله سنة.. هستناه..

أخرجت (مريم) هاتفها المحمول من جيب معطفها ثم اقتربت منها وقالت:

ـ طيب إيه رأيك نكلمة نشوفه اتأخر ليه؟

ثم أخذت تكتب الرقم الذي تمليه عليها (كاترين) في عصبية، ثم فتحت مكبر الصوت ليستمعن جميعًا إلى المكالمة، وما هي إلا لحظات حتى سمعن تلك الرسالة المُسجلة (الرقم الذي طلبته غير صحيح، برجاء التأكد من الرقم المطلوب)..

بهتت (كاترين) بعد سماع تلك الرسالة، ثم جذبت في عنف الهاتف من يد (مريم)، وأخذت تعاود الاتصال مرات ومرات، وهى تبكي في صمت ولا يأتيها سوى تلك الرسالة المُسجلة.. فقالت وهي تعيد الاتصال:

ـ هي كمان كذابة..

اقترب ثلاثتهن منها ولم يستطعن منع دموعهن وهي تقول في شبه هيستيريا، وقد انهارت في نوبة بكاء حاد:

ـ أكيد جاي.. الشبكة وحشة.. أنا هستناه.. الشبكة وحشة..

حاولن تهدئتها وإدخالها السيارة، ولكنها رفضت تمامًا وهي تخبرهن أنها ستنتظره.. لم يكن في استطاعتها أن تصدق أن كل ما مرت به مع (جوزيف) لا وجود له..

وأن وجوده من نسج خيالها المحروم..

وأنها وصلت إلى تلك المرحلة المذرية من اليأس..

بالتأكيد هناك شيء ما خاطئ.. سيأتي (جوزيف)..

وستثبت لهن أنها على حق.. هي فقط مسألة وقت..

وحتى يأتي ذلك الوقت قررت (كاترين) أن تتعامل مع آلامها الشديدة كعادتها..

قررت أن تهرب هروبًا هادئًا.. يوفر عليها الانتظار وآلامه..

فوقعت وسطهن على الأرض مغشيًا عليها..

*****

نفس ترابيزة لقانا اللي حواليها اجتمعنا..
وافترقنا من وجعنا..
وفي النهاية.. برضو حواليها رجعنا..
دنيا الإنسان بتعمل ليه مفاجأة..
والمفاجأة إني هنسى..
كُل ما افتكر الحكاية..
هفتكرها وهي فيها حاجة ناقصة..
التلاتة اللي ف يمينهم كنت واحدة..
تم بوجودها المكان..
"31"
واللي خايفة بعد حبِّة وقت تنقص..
لما تيجي القصة تخلص..
لما تيجي في يوم تقابل...
حد كان صاحب قُريب..
حد كانت جنبه حتى لو مكانش معاها طيب..
وللا تسمع عن حكاية ف يوم عاشتها..
لما ماتشبِّهش عَ اللي كان ساكن حياتها..
عندي ليكوا وصية واحدة..
اوعوا تنسوا..
ولو ضروري ف يوم هتتنسوا..
خلُّوا بينكم ذكرى تفضل..
قبل ما يفوت الأوان.

أضاء المسرح بأكمله، فظهرت كل تفاصيله واضحة.. كان ثلاثة منهن واقفات بطريقة متفرقة على خشبة المسرح؛ بينما ذات اللون البنفسجي هي الوحيدة الجالسة على المائدة التي تتوسط المسرح معطية ظهرها إلى الجمهور..

ـ وكان مرض (كاترين) هو الصدمة الأولى..

قالتها ذات اللون الأخضر، وما إن أنهت جملتها حتى أغلقت إضاءة ثُلث المسرح الواقفة فيه..

تبعتها ذات اللون الأبيض قائلة في حزن:

ـ مقدرتش تستحمل موت والدتها.. وبعد ما الحتة الأمان اللي كانت بتستخبى فيها راحت.. شافت الكل ضدها، الكل هيأذيها.. كانت بعيدة، منعزلة.. وخايفة.. بس محدش فيهم كان فاهم..

أغلقت إضاءة ثُلث المسرح الثاني، حيث كانت تقف ذات اللون الأبيض حينما تبعتها ذات اللون الأسود قائلة:

ـ ولأن المصائب لا تأتي فُرادى.. عرفت (صَبا) الصدمة الثانية.. واللي قلبت كل الموازين..

وسبح المسرح في ظلام دامس..

*****

(28)

ـ انتي عندك ورم في الفص الأمامي الأيمن في المخ، والورم دا هو اللي كان مسبب لك كل الأعراض اللي انتي بتشتكي منها.. زي الصداع المُستمر والزغللة والقيء المفاجئ وتغيرات في الشخصية أكيد حسيتي بيها، زي العصبية الزايدة من غير مبرر.. تركيز شوية مش هيكون بكفاءته.. وردود أفعال غريبة وحادة... بس نرجع نقول الحمد لله إننا اكتشفناه قبل ما الموضوع يتطور لنوبات صرع أو دخول في غيبوبة..

كانت (صَبا) تجلس في سيارتها وقد أعادت رأسها إلى الخلف، ولا زالت كلمات الطبيب تدوي في رأسها.. استقبلت الخبر ببرود عجيب، لم تنهار أو تبكي، حتى أنها لم تشعر بالحزن على نفسها.. كانت هادئة.. لا تعرف هل هدوئها قوة أم انهيار مؤجل..

أخبرها الطبيب تفصيليًا بكل شيء..

أخبرها أن الحالة ستتطور، والأعراض ستظهر أقوى في الفترة القادمة..

أخبرها أنه لا مفر من إجراء عملية جراحية، وأن الخطورة لا تكمن في إجراء الجراحة بقدر ما تكمن في موقعها والذي قد يسبب لها فقدان ذاكرة جزئي..

(يعني تقريبًا آخر أربع أو خمس سنين في حياتك)..

قالها هكذا وسط الحديث بطريقة روتينية حاول أن يصبغ عليها طابع التأثر، وأكمل حديثه كأنها تفصيلة صغيرة لن يتوقف عندها، ثم أنهى الحوار وهو يخبرها أن كل شيء سيكون على ما يرام..

تنهدت بقوة وألم وهي تتساءل بداخلها ما الذي سيكون على ما يرام؟ وكيف

ستكون على ما يرام؟ كيف ستتأقلم مع مصيبتها تلك؟ كيف ستُخبر أمها بذلك الخبر؟ وكيف ستخبر صديقاتها في تلك الظروف الصعبة التي تمر بها (كاترين) والتي تحتاج فيها إلى كل جهدهن وقوتهن.. زفرت في ألم قائلة:

ـ انت فين يا (عاصم)؟

وما إن أنهت سؤالها حتى ارتفع صوت هاتفها المحمول، وكان المُتصل (عاصم).. فردت عليه بسرعة في سعادة قائله بلهجة حاولت أن تكون مرحة، وأن تبدو فيها متماسكة:

ـ انت بتسجل لي يا واد واللا إيه؟

جاء صوته قلقًا بطريقة لم يحاول هو إخفائها:

ـ وحشتيني يا (صبابة).. وحشتيني بغباء..

لم تستطع كلمات الطبيب أن تجعلها تذرف دمعة واحدة، ولكنها ما إن سمعت صوته حتى بدأت في بكاء حار..

سألها بحنان اختلط بقلق متزايد:

ـ فيه إيه يا حبيبتي؟ مالك؟

ـ ولا حاجة يا حبيبي.. انت بس واحشني أوي، أوي يا (عاصم)..

ـ (صَبا) هاتي من الآخر واحكي فيه إيه؟ أنا مش باتصل اطمن وخلاص.. أنا بقالي يومين قلبي واكلني.. حاسس إن فيه حاجة..

كانت متيقنة أنها لن تستطيع أن تخفي عليه الأمر، فهو يشعر بها أكثر من نفسها، ولن يصدق سوى الحقيقة؛ لذلك وبعد أن هدأت حدة بكائها قليلًا أخبرته بكل شيء، وبما قاله الطبيب منذ دقائق..

شعرت بصدمته على الرغم من محاولته المضنية في إظهار قوته.. شعرت بإحساسه بالعجز لأنه بعيد لا يستطع أن يكون إلى جوارها الآن، ولن يستطع قبل شهر..

شعرت أنه يحاول التماسك أمامها فقط حتى لا يكون عبئًا آخر عليها، ولكنه ما إن يغلق الهاتف سيخرج ثورته، وقد يحطم كل شيء حوله، وكم أشفقت عليه من كل ذلك، ولكنها هى أيضًا ضعيفة.. وحيدة.. تحتاج أن تتقاسم ذلك الألم مع شخص آخر.. ولا يوجد من يصلح لذلك سوى (عاصم).. لذلك وبعد أن أخبرته قررت الانعزال بعض الوقت.. فظلت في حجرتها ثلاثة أيام لا تخرج منها ولا تحادث أحدًا.. وكم تمنت أن تظل هكذا حتى موعد إجراء العملية الجراحية، والذي لم يتحدد بعد، وكأنها كانت تحاول ألا تضيف إلى عقلها ذكريات أخرى تعلم أنها ستنساها..

كانت في حجرتها تدخن إحدى سجائرها، وقد وصل إلى مسامعها صوت المذياع الذي تصر أمها أن يكون مفتوحًا طوال اليوم، ولكن اليوم لم تتذمر كعادتها، بل ابتسمت في حزن وهي تتذكر كيف تقبلت أمها الخبر بمنتهى الصبر والقوة..

وكم تحاول أن تبدو طبيعية، وأن تتصرف بطبيعية وهي تعلم أن بداخلها أقسى أنواع الألم..

كم تحاول في قوة تحسد عليها أن تُهوِن على ابنتها الأمر، وتستمر في إخبارها عن حالات مرضية أشد من حالتها خطورة، وأنها يجب أن تشكر الله على كل شيء..

عادت (صَبا) إلى سيجارتها تنظر إليها نظرة بلا معنى، وهي تفكر أنها ستقلع

عن التدخين بعد العملية، ثم تذكرت في سخرية أنها ربما ستنسي من الأساس أنها مُدخنة..

قامت بتشغيل إحدى أغاني أنغام، ثم أخذت تنظر حولها إلى محتويات غرفتها في شوق كأنها تودعهم، فأخذت تشاهد كل تلك الصور الفوتوغرافية المعلقة في كل مكان في الحجرة وهي تبتسم في حنين.. كأنها كانت تعد العُدة لذلك اليوم.. يوم أن تنسى..

وقفت أمام عرائسها ثم أخذت تتحسس وجوههم في حزن، كأنها تعتذر إليهم أنها في الفترة القادمة لن تتذكرهم جيدًا.. بل لن تتذكرهم على الإطلاق، وحينما وصلت إلى (أشرقت) تذكرته.. لقد شاركها (بدر) في حب تلك الدُمي،ة وشاركتها تلك الدُمية رحلة كفاحها منذ أن بدأت احتراف فن العرائس المتحركة..

أشاحت بوجهها بعيدًا عنهم، ثم وقفت تتطلع إلى نفسها في المرآة، وتنظر إلى شعرها الذي أصبح مفرودًا فقد رأت أن الشعر المجعد لم يعد يتناسب بعد الآن مع شيخوخة قلبها..

كم تتمنى أن تبكي.. أن تشعر بدموع ساخنة تشعرها ببعض الحياة وسط كل ذلك الجليد الذي وضعت فيه دون إرادة منها..

تحاول البحث عن أي شيء تفكر فيه فلا تجد سوى كلمات طبيبها الأخيرة..

شعرت بكره شديد تجاه هذا الطبيب وهي تتذكر كلماته.. كيف استطاع أن يخبرها في دقائق أن تلك السنوات من عمرها قد تذهب بلا عودة، ويذهب معها كل ما حدث خلالها بلا رجعة؟ ثم أخذت تتساءل بداخلها؛ ترى هل

يستحق الأمر كل هذه الحيرة والضياع اللذان تشعر بهما؟ وهل تستحق تلك الفترة من حياتها أن تحزن على فقدانها؟

بالتأكيد خمس سنوات ليسوا بالوقت الهيِّن..

خمس سنوات.. حياة أخرى ستفقدها، وستفقد معها كل ما حدث فيها..

ستفقد كل الناس الذين تعرفت عليهم في تلك الفترة.. ستفقد صداقات، عمل وخبرة.. أحداث، مشاعر وأفكار.. ستفقد ذكرى (بدر) وستفقد معها نفسها..

حتى لو استطاعت أن تكمل حياتها.. بما ستملأ ذلك الفراغ؟ تلك الهوة التي حدثت في منتصف حياتها كيف ستتخطاها؟

ترى هل ستخبرها صديقاتها بكل ما حدث في هذه الفترة؟ وحتى لو أخبروها بالتأكيد ستكون مجرد حكاية.. سيختصروا هن أيضًا خمس سنوات في عدة دقائق يحكين فيها ما يتذكرنه أو ما يردن أن يتذكرنه..

ألا نحكي تاريخ من مئات السنين في جلسة واحدة؟

ألم تنم (سنو وايت) مائة عام وتستيقظ وتحب وتتزوج في حكاية لا تتجاوز الخمسة عشرة دقيقة؟

بالتأكيد لن يخبرها أحد أبدًا بكل شيء.. لن يخبرها أحد أبدًا بما تحتاج إلى معرفته..

جلست فوق فراشها ثم أمسكت حاسوبها المتنقل، وحاولت إلهاء نفسها بتصفح صفحتها الشخصية على الـ(فيس بوك)، وهي تفكر أنها ستُغير كلمة المرور الخاص بها إلى واحدة أخرى تكون أسهل في التذكر، ولتجعلها تاريخ

ميلادها، ولكنها عادت تضحك من نفسها في سخرية، وقد تذكرت أنها في كل الأحوال لن تتذكرها.. لم تستوعب الأمر بعد..

ذهبت إلى صفحة (بدر) الشخصية، والتي تحفظها عن ظهر قلب، وتحفظ كل منشور بها من كثرة تصفحها إياها.. لا تمل أبدًا من قراءة كلماته أو مشاهدة صوره..

كانت تشاهد صوره للمرة الألف تقريبًا وهي تفكر أنها لاحقًا ربما تراه هو شخصيًا ولا تشعر بشيء..

لن يرتجف قلبها وتتعارك أمعاؤها..

لن تتعرق يداها وتلمع عيناها من الشوق..

لن تحاول الادعاء بأنها لا تعرفه لأنها بالفعل لن تعرفه..

كانت قد وصلت إلى صورتها الوحيدة معه في تلك الليلة البائسة؛ حيث كانت بصحبته في حفل (عمر خيرت)..

أخذت تتطلع إلى نظرته إليها في تلك الصورة وهي تفكر أن تلك الصورة هي الشيء الوحيد الذي سيخبرها بأنها هذا الرجل مرَّ بحياتها، ثم تساءلت في خيبة: لماذالم تحرص على أن تجمعهما صورٌ أخرى؟

أطالت النظر إلى تلك الصورة، وقد أمسكت دون أن تشعر بمفتاح الحياة الذي أهداها إياه..

لقد أهداها أيضًا ذكرى تمنت بشدة أن تنساها..

بل تمنت أن تنساه هو شخصيًا.. تمنت أن تمحو كل ذلك الألم الذي أستوطنها وأصبح صديقًا خامسًا لها هي وصديقاتها..

أخطأت نفس الخطأ البشري المتكرر.. قررت الهروب..

تمنت النسيان، ودعت به الله في كل سجدة..
ظنت أن النسيان مسكن قوي المفعول..ظنت أنه سيجعلها أفضل..
أنه سيعيد تلك القطعة المفقودة التي ترحل مع كل ألم قوي أو عاصفة هزت حياتها..
ولحظها التعس وقع عليها الاختيار..
أدركت متأخرة أن كل من تمنى النسيان ودعا به الله كان أكثر المتشبثين بأطراف الذكرى.. يحيون على عبيرها ويستمدون منها -مهما كانت مؤلمة- قوة هم أنفسهم لا يدركون قيمتها..
أخرجتها من أفكارها صوت طرقات هادئة على الباب، فأغلقت حاسوبها في سرعة بينما إنفتح الباب ودخل إلى غرفتها ناظرًا إليها بكل الحب والاشتياق..
ـ بابا..
قالتها (صَبا) بلهفة قوية غير مصدقة أنه يقف الآن أمامها، فهي تعرف أنه مرتبط بأعمال تمنعه من العودة إلى مصر لمدة شهر على الأقل..
أسرعت إليه واحتضنته فضمها بقوة حانية كأنه يواسيها ويخبرها أنه يشعر بما يدور داخلها.. كأنه يخبرها أنه موجود الآن فلا داعي لأي خوف.. هو هنا لحمايتها من كل شيء حتى من ذلك الورم اللعين..
اختبأت في صدره وهي تفكر في سعادة أنه ترك كل شيء وجاء إليها..
ولأول مرة منذ زمن شعرت براحة وهدوء يتسربان إلى نفسها..
كانت تحتاجه بشدة، ولكنها لم تتعود على البوح بذلك أو حتى مجرد التفكير فيه، ولكن على الرغم من كثرة غيابه إلا أنه أبيها..

فتى أحلامها، ومالك تلك القطعة بداخلها، والتي لا يستطيع أحد احتلالها أو حتى الاقتراب منها، فهي محفوظة فقط لذلك الرجل الذي كان يزيد غيابه من حبها له وتعلقها بوجوده..

أجلسها فوق الفراش، وجلس إلى جوارها، ثم أخذا يتحدثان حديثًا طويلًا، ولأول مرة تتحدث معه بتلك السلاسة وتخبره أدق خباياها..

كانت طوال حياتها تتمنى تلك اللحظة.. طوال حياتها تحلم بأن تكون العلاقة بينها وبين أبيها كعلاقة الأصدقاء في قوتها وصراحتها؛ لذلك أخبرته بكل شيء، بمرضها ومرض (كاترين) حتى إنها أخبرته عن (بدر)..

نظر إليها في حب جارف وهو يداعب شعرها وقال:

ـ كبرتي يا (صبابة)..

ابتسمت في حياء، وردت عليه بمزاح قائلة:

ـ كبرت يا حاج.. وهتم 31 سنة كمان كام شهر..

اتسعت ابتسامته وهو يقول لها بطريقة تشجيعية:

ـ بس انتي قوية.. وهتتجاوزي الموضوع بسرعة وهتخرجي منه أقوى..

ـ أنا تايهة يا بابا.. متلغبطة أوي..

ـ ليه؟ مش يمكن متنسيش؟

ـ ويمكن أنسى.. خايفة أوي..

ـ خايفة تنسي إيه؟

ـ كل حاجة.. الكام سنة اللي فاتوا كانوا أهم سنين في حياتي..

ابتسم لها في حنان، ثم طلب منها أن تجلس على الأرض بين قدميه، كما كانت تفعل وهي صغيرة، حينما بدأ يصفف لها شعرها على شكل ضفيرتين قائلاً:

ـ لو خايفة تنسي شغلك; فدا شيء مستحيل، لأن الموهبة فِطرة اتخلقت معاكي، يعني الموضوع هيكون مسألة وقت وهترجعي لنفس كفاءتك... ولو خايفة تنسي أصحابك وذكرياتك معاهم; فانتوا لسه قدامكوا عمر بحاله، ولو انتوا أصحاب بجد هيبقى بينكوا ذكريات أجمل م اللي فاتت....

ثم أكمل وهو يقوم بعمل الضفيرة الثانية بمنتهى الدقة:

ـ ولو خايفة تنسي حُب; فالحب مبيتنسيش يا (صَبابة)، الحب هيفضل جواكي مستني حد مناسب يستاهلك ويستاهل قلبك..

أثرت بها كلمات أبيها، وخففت عنها قوة أزمتها.. جعلتها تفكر بشكل آخر، أو ربما كان التأثير الإيجابي لوجوده أقوى مما توقعت..

كان قد انتهى من عمله حينما طلب منها أن تعود إلى جواره مرة أخرى، ثم ظل ينظر إليها بحنين جارف وهو يقول:

ـ فاكرة زمان وأنا بعمل لك الضفرتين؟

أومأت برأسها علامة على الإيجاب، ثم أكملت وقد بدأت الدموع تتجمع في عينيها:

ـ وأنا كنت بطرقع لك صوابعك..

اتسعت ابتسامته ثم أكمل قائلًا:

ـ دي ذكرى جميلة يا (صَبا).. جميلة علشان انتِ موجودة فيها.. لو انتي مش موجودة مكانش هيكون فيه ذكرى..

ثم أكمل في قوة وتحدٍ، وقد أمسك وجهها بين كفيه:

ـ الإنسان هو اللي بيصنع الذكرى.. وجودك معانا هو اللي هيصنع الذكرى..

اتسعت ابتسامتها بينما سالت دموع شعرت أنها تغسل بداخلها أي إحساس بالخوف، ثم استكانت على صدر أبيها، وقد شعرت بدفء عجيب يخرج من ضمته إليها ويتسرب إلى روحها..

أغمضت عينيها في راحة على صوت دقات قلبه بعد أن زال الصداع تمامًا..

ولأول مرة منذ شهور تنام دون أن تتناول أي مُسكنات..

استراح قلبها ولو قليلًا بعد أن تأكدت أنها بين ذراعي أبيها..

آمن مكان في العالم..

*****

(29)

أخيرًا وبعد شهر أو يزيد من يوم واقعة (كاترين)، اجتمع أربعتهن من جديد..

التففن حول مائدة (31) مائدتهن المفضلة، والتي أصبحت لها مكانة خاصة لديهُن، فقد شاركتهن تلك المائدة الكثير والكثير من أوقات أفراحهن وسعادتهن، حزنهن وضيقهن، حتى خلافاتهن حدثت عليها، وفي حضورها حتى أصبحت تلك المائدة كاتمة أسرارهن الأولى، والشاهدة الوحيدة على أيام مؤلمة وأوقات رائعة، خلافات حادة وضحكات عالية، أفكار مجنونة ومناقشات قمة في العقل والموضوعية..

هكذا كانت صداقتهن مزيجًا غريبًا من كل شيء غير مُعتاد.. وهكذا كانت مائدة (31) بالنسبة إليهن إحدى أدوات الزمن في تسجيل تلك الصداقة..

اجتمعن بعد أن رأت (صَبا) أن الوقت المناسب قد حان لإخبارهن بشأن مرضها، فقد بدأت (كاترين) تتماثل للشفاء وبدأت حالتها في التحسن تدريجيًا، ولكن بشكل ملحوظ، ربما لم تعد كما كانت ولكن على الأقل عاد إليهن بعض من صديقتهن الرقيقة الطيبة دون انعزال أو شرود..

كُنَّ يتناولن طعامهن بينما يتحدثن في أمور عامة ومواضيع سطحية لم يتعودن الحديث عنها، ولكنها كانت وسيلة رائعة لكل منهن في تأجيل الحديث عما يجب أن يتحدثن فيه، ولكن (مريم) لم تكن تشاركهن الحوار إلا بأقل الكلمات، فقد كانت تفكر في ذلك اليوم; يوم رأس السنة الميلادية بعد أن أصبح ذلك اليوم هو بداية جديدة لها، ولكن في طريق مفتوح من كل

الاتجاهات..

تغيرت كثيرًا بعد أن أفصحت عما بداخلها وحكت سرها لــ(أيوب)، شعرت أنها أصبحت أخف حملًا، وأكثر هدوءًا وقوة، ولكنها عادت لتُصبح أكثر وحدة فقد استغنى (أيوب) عن خدماتها، قام بعمل اتصالاته بمديرها السابق (أشرف عيسى) ليقوم بإعادتها للعمل في الشركة مرة أخرى.. توسلت إليه أن يبقيها إلى جواره ولكنه رفض.. لا زالت كلماته تدور في رأسها فلم تعد تتذكر سواها:

ـ انتي نضيفة أوي.. وأنااااا.. أنا كنت فاكر نفسي وسخ أوي لحد ما قابلتك، واكتشفت إن لسة فيه جوايا حته متوسختش.. انتي محتاجة أب ياخدك في حضنه، أو زوج تتسندي عليه ويكون هو مصدر أمانك، وأنا لا هينفع أكون أب ولا زوج.. (مريم) انتي أقوى مما تتخيلي بس محتاجة تلاقي نفسك، وانتى بالفعل بدأتي في دا.. كملي وعيشي حياتك مع حد في سنك يستاهل كل الخير والبراءة اللي جواكي.. وأنا موجود في أي وقت تحتاجيني فيه..

تنهدت (مريم) تنهيدة حارة ثم أخذت تنظر إلى صديقاتها لعلها تنجح في الهروب من صوته الذي يدوي في عقلها; اختلفن كثيرًا عما سبق، أصبحن أنضج ولكن أكثر كآبة، مثقلين بهموم لم يعتقدن أنهن سيحملنها في يوم من الأيام، فقد كانت الحياة بالنسبة إليهن صُحبتهم ومرحهم وضحكاتهم، وليذهب أي شيء مهما كان إلى الجحيم..

كانت (نيرة) تتناول طعامها الحار وهي تبتسم في حزن وحنين، بينما كانت تتذكر ذلك اليوم برفقة (مراد) والذي لن تنساه أبدًا.. علمت أن علاجه استغرق وقتًا طويلًا، وكانت تطمئن عليه من بعيد ولكنها لم تره منذ ذلك

اليوم في المستشفى.. اتصل بها كثيرًا ولكنها لم تجبه أو تعاود الاتصال به، حتى يئس وتوقف عن محاولة الوصول إليها، وانتهت القصة فجأة كما بدأت فجأة.. قطع تفكيرها صوت (صَبا) وهي تعرض عليهن أن يلعبن الورق بعد أن انتهين من تناول الطعام، في محاولة منها لاستعادة مرحهم المفقود، فقالت في حماس:

ـ تيجوا نلعب الشايب؟

اعتدلت (نيرة) وقالت لــ(صَبا) بلهجة مُحذرة تحمل الكثير من المزاح:

ـ (صَبا) شيلي اللعبة دي من قاموسنا.. انسيها تمامًا..

ابتسمن جميعهن ابتسامة هادئة ثم عدن لصمتهن.. كانت (صَبا) تفكر في طريقة هادئة تخبرهن بها بشأن مرضها حينما قالت (كاترين) فجأة دون مقدمات:

ـ تصدقوا (جوزيف) وحَشني أوي..

نظرن لها بشفقة دون أن يجدن كلامًا يصلح لمواساتها، فأكملت في حنين وابتسامة باهتة:

ـ ساعات بفكر أوقف الدوا شوية علشان أشوفه.. بس برجع وأقول إيه الهبل دا؟ هو أنا هشتغل نفسي..

ثم قالت في خوف، وقد ظهرت في عينيها غيمة دموع:

ـ (روماني) عايز ياخد الولد.. وقالب الدنيا على الموضوع دا.. وأنا خايفة أوي.. أنا عارفة إني أهملته كتير الفترة اللي فاتت.. بس صدقوني أنا بعافر علشانه..

أخذت (مريم) تربت على كتفها في حنان.. بينما قالت لها (صَبا) في لهجة مليئة

بالأمل:
ـ متخافيش.. خلّي عندك أمل.. وإن شاء الله مش هيبعد عن حضنك.. ربنا عالم بحالك يا (كوكا) ومش هيسيبك..
ـ حلو.. بالحديث عن الأمل، وبما إن القاعدة قلبت اعترافات ليلية.. أنا عندي اعتراف..
نظرن إليها نظرة انتظار لسماع ما ستقوله، فأكملت قائلة:
ـ أنا و(علي) رجعنا نتكلم من فترة قريبة.. عايزنا نرجع لبعض وأنا تقريبًا وافقت..
نظرن إليها في استنكار، بينما سألتها (صَبا):
ـ يعنى بذمتك بعد (مراد)، نفسك هتجيبك؟ حد ياكل فول بعد الكَباب يا عالم؟
لم تجبها (نيرة) بينما تعالت ضحكاتهن على تعليقها، فنظرت (صَبا) إلى (مريم) وسألتها بطريقة مُضحكة:
ـ وانتي يا فُلَّة؟ مش هتعملي مُداخلة وتشتركي في البرنامج؟ انتي بالذات أنا متأكدة إنك شايلة مصايب..
ضحكت (مريم) من طريقة (صَبا)، وقد قررت أن تخبرهن بكل شيء.. قررت أن تحكي كل ما كانت تخجل البوح به.. فلم يعد لديها ما تخشى فقدانه، ولم يعد لديها في تلك الحياة أقرب منهن.. نظرت إليهن ثم قالت بجدية:
ـ أنا فعلًا عندي اعتراف.. بس أوعدوني متزعلوش مني إنى خبيت عليكوا كل الفترة دي..
أومأن برأسهن علامة على الإيجاب وقد حملت عيونهن نظرة طمأنتها فأخذت

تحكي لهن كل شيء.. أخبرتهن بالحقيقة عارية دون تجميل أو رتوش.. كُنَّ يستمعن إليها في ذهول حاولن إخفاءه بقدر المُستطاع.. لم يعاتبنها على إخفاء كل ذلك طوال سنوات صداقاتهن، بل على العكس تمامًا، تفهمن أسبابها وأشفقن عليها من ذلك الثقل الذي كانت تحمله في قلبها طوال تلك السنوات، وفي النهاية قررن دون اتفاق ألا يعقبن على حكايتها، وبالفعل ما إن أنهت (مريم) حديثها حتى قالت لها (كاترين) في تشجيع:

ـ انسي.. خلاص اللي فات مات.. وابدئي من جديد.. بكرة أحلى إن شاء الله..

فقالت (نيرة) بمرحها المُعتاد كي تخفف من التوتر الذي ساد جلستهم:

ـ حلو.. بمناسبة الحديث عن بُكرة ما تيجوا نطلع شرم.. إحنا محتاجين نغير جو ونتلم لمة من بتوع زمان.. ثم قالت في سعادة وحنين:

ـ فاكرين آخر سفرية لشرم؟

وكأنها أشعلت فتيل الذكرى، وكأنهن كن متعطشين للعودة إلى تلك الأيام.. اتسعت ابتسامتهن وعاد إليهن مرحهن السابق في لحظات وتعالت ضحكاتهن.. تسابقن في إحياء ذكرياتهن الجميلة وذِكر المواقف الضاحكة والتي لا يملون أبدًا من تكرارها وتذكرها..

استرسلوا في الحديث عن ذكرياتهن بينما كانت (صبا) تنظر إليهم في شرود.. سيفوتها الكثير والكثير ومهما حاولت اكتشاف الحياة من جديد لن تستعيد تلك الأيام مرة أخرى.. لن تستعيد متعة حديثهن وهن يكملن لبعضهن البعض الأحداث ويتذكرن المواقف التي جمعتهن، والتي حفرت في شجرة صداقتهم ولن تُنسى أبدًا..

نظرت إليهن في حب، ثم قررت أن الوقت قد حان.. نقرت على المائدة عدة نقرات، فالتفتن إليها بنظرات متسائلة، بينما لا تزال الابتسامة متشبثة بوجوههن.. ابتلعت لعابها في توتر ثم تنهدت تنهيدة قوية وقالت بابتسامة:

ـ أنا عندي اعتراف..

*****

ظهرت بقعة الضوء مُسلطة على ذات اللون الأسود، والتي قالت في تأثر:

ـ إحساس مخيف أن أقرب حد ليك ينسى كل اللي مريت بيه معاه.. الذكرى مهمة مهما كانت مليانة وجع..

ثم أكملت وهي تسير ناحية الإطار الخشبي الكبير في يسار المسرح وتقف خلفه:

ـ علشان كدا أبطال حكايتنا قرروا يجمعوا أجزاء الصورة من تاني، قرروا يحكوا لصاحبتهم كل اللي هتنساه..

تبعتها ذات اللون الأخضر ووقفت إلى جوارها خلف الإطار قائلة:

ـ يحكوه بلسانهم، بإحساسهم.. قرروا بكل شجاعة إنهم يمروا بألم تجاربهم تاني قدامنا وقدامكوا..

أكملت ذات اللون البنفسجي بعد أن انضمت إليهما:

ـ قرروا يتكلموا عن الحتة اللي جوا كل واحد فينا، اللي محدش بيدخلها غير نفسه، يتعرُّوا ويحكوا أدق تفاصيل معاناتهم..

أضاء المسرح بأكمله بعد أن اكتملت الصورة بانضمام ذات اللون الأبيض إلي صديقاتها داخل الإطار الخشبي، والتي قالت بعد أن تنهدت في حنين:

ـ هي مش هتفتكر.. بس أكيد صدقهم هيوصل لقلبها، أكيد إحساسهم هيفرق معاها ويقلل من غربتها.. ثم أكملت وهي تنظر إليهن في حب:

ـ ويديها أمل أنها ممكن تبدأ من جديد وهما برضو معاها..

صفق الجمهور في قوة وحماس بينما وقف بعضه حينما احتضنت الأربع فتيات بعضهن البعض في سعادة وحب.. وزادت حدة التصفيق حينما خرجن من خلف الإطار الخشبي، ووقفن أمام الجمهور وانحنينَ وهن يمسكن بأيدي بعضهن البعض في قوة.. ثم اختفين خلف الستائر المُسدلة..

*****

(30)

كانت (مريم) قد انتهت من تغيير ملابسها في سرعة، فاليوم لم ينتهِ بانتهاء العرض.. لا زال أمامهن الكثير ليفعلوه.. كانت تقف أمام المرآة وهي تعقص شعرها بإهمال حينما اصطدمت بوجهها في المرآة، ولأول مرة منذ زمن نظرت إلى نفسها وابتسمت في رضا..

شعرت أنها اليوم وُلدت من جديد.. شعرت أن قلبها أخف ثقلًا، وأن روحها هادئة تنتظر مصير جديد تعتقد أنه سيكون مختلفًا عما عاشته طوال السنوات الماضية..

تذكرت أبيها فقرأت له سورة الفاتحة، ثم عادت وابتسمت إلى صورتها في المرآة مرة أخرى، وهي تفكر في أن لديها عملها الجديد، ولديها صديقات عمرها، لديها حياة جديدة ستحاول اكتشافها والاستمتاع بها..

سمعت طرقات على الباب فجذبت في سرعة تلك الطرحة الموضوعة على ذلك المقعد الوحيد في الغرفة، وغطت بها شعرها وهي تخبر من بالباب أن بإمكانه الدخول..

كان (أيوب)، يحمل في يده شيئًا مُربعًا كبيرًا يبدو كهدية..

دلف إلى الغرفة يسبقه عطره بجسده الممشوق وحضوره الرائع، وقد انتشرت الشعيرات البيضاء في ذقنه وشعره بشكل ملحوظ كأن عمره زاد سنوات..

ابتسمت له في دهشة سعيدة بينما اتسعت ابتسامته حينما لاحظ حجابها..

أطال النظر إليها في حنان ثم قال لها وهو يعطيها ذلك الشيء الذي يحمله:

ـ أنا مش هعطلك.. أنا جاي أديكي هدية..

أخذت تنزع غلاف ذلك الشيء في استغراب ما لبث أن تحول إلى نظرة حنين جارفة، فقد كانت هديته عبارة عن إطار كبير يحمل صورتها التي التقطها لها في المطبخ في ذلك اليوم، وعلى الرغم من حزنها الشديد والواضح في الصورة.. وعلى الرغم من أن تلك الصورة هي ذكري لأصعب أيام حياتها إلا أنها أحبتها بشدة..

نظرت إليه في شكر وامتنان فقال لها موضحًا:

ـ مع أنها حزينة أوي بس الصراحة حسيتها أحلى صورة ليكي..

ـ حلوة أوي..

قالتها بتأثر شديد وسعادة غامرة، وقد أدركت أنه يخبرها بتلك الهدية أنه سيظل موجودًا دائمًا إلى جوارها.. حاول أن يبحث عن كلمات ينهي بها الموقف، ولكنه لم يجد فاقترب منها في هدوء وقبَّل جبينها قُبلة أبوية صادقة ثم رحل دون كلمة واحدة..

*****

الحَمد ها يعلا جوايا..

ليسوع السند اللي معايا..

وسلامُه يرفعني عالي..

فوق ألامي وبُكايا..

كانت (كاترين) تغني إحدى الترانيم باسم (يا كل مشاكل الدنيا امشي)، في سعادة غامرة وهي تنتهي من ارتداء ملابسها..

كانت تشعر بهدوء وسكينة شديدين، وقد عادت إليها بعض من نفسها..

لم تكن تتخيل أن لديها ذلك القدر من الجرأة والتصميم.. كانت تعتقد أنها ما إن تقف على خشبة المسرح حتى تُسرع ركضًا للتواري خلف إحدى الستائر ولكن ذلك لم يحدث..

كم تشعر بالفخر من نفسها.. ابتسمت في سعادة وهي تتذكر أنها ستعود إلى عملها التطوعي في الكنيسة من بداية الأسبوع القادم، وحتمًا ستقوم بتجربة عرض الحكي تلك في الكنيسة، ولكن ما جعلها في قمة سعادتها أن ابنها سيظل معها، فقد وقفوا جميعًا في الكنيسة إلى جوارها، وحاولوا محاولات مضنية في إقناع (روماني) أن يظل الولد معها، وفي النهاية وافق على مضض..

يا فرحة تعالي بأغانيكي..

وغني لسيدي ومليكي...

لو تمشي أنا همسك فيكي...

مش هرجع للأحزان تاني..

كانت لا تزال تغني وهي تنظر إلى نفسها نظرة نهائية في المرآة حينما توقفت وأخذت تفكر قليلًا، ثم وبهدوء ولأول مرة نزعت ذلك الوشاح القطني الملفوف دائمًا حول رقبتها على الرغم من برودة الجو، ووضعته بإهمال في حقيبتها، ثم حملت الحقيبة واتجهت إلى خارج الغرفة..

*****

أطلقت (نيرة) لشعرها العنان، ثم وبعد أن عدَّلت من وضع وشاحها الصوفي الأخضر حول رقبتها حملت حقيبتها واستعدت للخروج لملاقاة صديقاتها في الخارج لإتمام ما اتفقن على فعله بخصوص (صَبا)، وما إن فتحت (نيرة) الباب حتى تسمرت في مكانها..

كان (مراد) يقف مستندًا إلى جانب الباب في حالة مُذرية.. وجه ممتقع وعيون غائرة حزينة، وقد فقد الكثير من وزنه.. ذقن نابتة بذلت مجهودًا خرافيًا كي لا تتحسسها..

دعته إلى الدخول فدخل الغرفة مستندًا إلى عكازه، ثم وقف أمامها بعيون حائرة لا يعرف من أين يبدأ، ثم فجأة سألها بغضب مكتوم:

ـ رجعتي لــ(علي)؟

هزت رأسها علامة على النفي، ثم قالت له وهي تروي عينيها بملامحه:

ـ مقدرتِش..

لانت ملامحه ثم قال لها هامسًا:

ـ أنا محتاجلك..

ـ وولادك محتاجينك..

ـ مش هقصَّر معاهم..

ـ ومراتك؟

ـ مش حاسس بيها..

ـ بس هي من حقها فرصة أخيرة..

قالتها (نيرة) بعصبية، فقال لها محاولًا إيجاد حل وسط:

ـ خلاص.. خلينا أصحاب..

نظرت إليه نظرة طويلة وقد أطاحت رؤيته بقوتها المزعومة.. كانت تعلم أنه لو استمر معها خمس دقائق أخرى ستتراجع عن موقفها وترتمي في أحضانه؛ لذلك قررت أن تُسرع بالهروب.. نزعت وشاحها الصوفي من حول رقبتها

ثم وضعته حول رقبته في حنان.. ستعطيه أغلى ذكرى لديها مثلما أعطاها هو أجمل أيام حياتها..

نظر إليها بعدم فهم، وانتظر تفسيرًا منها لما فعلت.. فقالت له وهي تتحسس ذقنه برقة:

ـ بلاش نضحك على نفسنا.. إحنا عمرنا ما هينفع نبقى مجرد أصحاب..

ثم تركته في الغرفة وحيدًا وأسرعت بالرحيل..

*****

كان أربعتهن بصحبة (آدم) في سيارته حينما نظرت (صَبا) حولها في استغراب وهي تسألهم:

ـ إيه اللي جابنا عند البيت؟ مش قلتوا هنخرج؟

ـ هتعرفي فوق..

قالتها (كاترين) وهي تبتسم في سعادة حينما توقف (آدم) بالسيارة أمام العمارة التي تقطن بها (صَبا).. ترجلن من السيارة واتجهن إلى الداخل حينما سألته (صَبا):

ـ انت مش طالع معانا؟

أجابها بلهجة تمثيلية:

ـ أنا دوري انتهى لحد هنا.. سلام يا وزة..

ثم انطلق بالسيارة دون أن يعطيها فرصة للحوار، فضحكت وهي تلحق بهن إلى الداخل..

وفي المنزل سبقنها إلى حجرتها في سرعة، فلحقت بهن وهي تضحك من تصرفاتهن، ولا تفهم منها شيئًا، وما إن خطت داخل الغرفة حتى عُقد لسانها

مما رأته..

ـ دي بقى هديتي..

قالتها (مريم) وهي تشير إلى إحدى حوائط غرفة (صَبا)، والتي كانت مغطاة بأكملها بصور فوتوغرافية توثق علاقتهن ببعضهن منذ سنوات، وكل مجموعة مكتوب أسفلها المكان والتاريخ..

أخذت (صَبا) تنظر مشدوهة إلى كل تلك الصور، لا تجد ما تقوله حينما اقتربت منها (كاترين) وأعطتها صندوق كرتوني كبير، وقالت في فخر:

ـ ودي بقى هديتي.. كل الكُتب اللي كان نفسك تشتريها..

فتحت (صَبا) الصندوق في عدم تصديق وهي تتصفح الكُتب في سعادة، وحينما همَّت بالحديث اقتربت منها (نيرة) وقالت بطريقة ضاحكة وهي تعطيها ظرفًا مغلقًا:

ـ ودي بقى هديتي.. وبما إن أنا بقى ماليش غير في الهلس.. دي تذكرة حفلة لـــ(كاظم الساهر) اللي نفسك تحضريله حفلة من وانتي في كي جي وان..

ضحكن جميعًا في سعادة؛ بينما كانت (صَبا) لا تزال مصدومة تنظر إليهن في فرحة غامرة، ولا تجد كلمات تعبر عما يجول في صدرها..

ـ ودي بقي هديتنا..

قالها كل من والدها ووالدتها وهم يدفعون (عاصم) إلى الغرفة، والذي ما إن رأته (صَبا) حتي صرخت من الفرحة، وأسرعت إليه تحتضنه وهي تبكي بكاءً حارًا من الفرحة..

ضمها إليه (عاصم) في حب وحنان وهو يربت على ظهرها لكي تتوقف عن البكاء؛ بينما دمعت عيون الجميع من تأثرها الشديد..

نظرت إليهم بحب، وقالت بكلمات متقطعة من قوة البكاء:
ـ انتوا أحلى من أي ذكريات.. ربنا يخليكوا ليا..
مسح (عاصم) دموعها بيديه، وقبلها في وجنتيها وهو يبتسم، ثم جذبها برفق من يدها في اتجاه النافذة، وقال لها وهو يشير إلى دراجة بخارية تقف أسفل العمارة:
ـ ودي بقى هديتي أنا..
شهقت (صَبا) من المفاجأة، وأخذت تقفز مثل الأطفال من الفرحة، ثم أسرعت هي و(عاصم) بالعدو يسابق كل منهما الآخر حتى وصلا إلي أسفل العمارة..
قفز (عاصم) فوق الدراجة البخارية ولحقته هي في سعادة غامرة ثم احتضنته من الخلف بقوة، وقد رفضت أن ترتدي الخوذة فقال لها (عاصم) مازحًا:
ـ البسي الخوذة احتياطي.. لحسن تقعي وتتخبط راسك ويجيلك فقدان ذاكرة واللا حاجة..
قهقهت ضاحكة من دعابته وهى تلكزه برفق في كتفه..
انطلقا إلى المُقطم في سرعة كانت تزيد من إحساسها بالحياة.. حلت ضفيرتها وتركت الهواء يتخلل خصلات شعرها ويمر إلى روحها، ثم فتحت كلتي ذراعيها إلى آخرهما وهي تشهق من برودة الهواء التي ضربت وجهها ولكنها كانت في قمة استمتاعها.. قال لها (عاصم) بصوت عالٍ كي يعلو على صوت الهواء:
ـ على فكرة.. أنا مش راجع كندا تاني..
صرخت من الفرحة ثم عادت واحتضنته بسعادة..

مرت عليها لحظة قررت بها أنها لن تُجري الجراحة خوفًا من فقدان ذاكرتها..
كانت تظن أن الحياة لحظة شديدة التميز تدوم حتى بعد الموت..
كانت تظن أن الحياة ذكرى رائعة مهما كانت تبدو من الخارج مؤلمة..
ولكنها كانت مُخطئة بشدة..
الحياة هي (عاصم) وأمها وأبيها..
هي صديقاتها اللاتي لن يعوضها عنهن شيء..
هي (آدم) وطيبته..
هي عملها وعرائسها... هي (أشرقت)..
الحياة هي ذكرى متجددة يصنعها وجود هؤلاء الناس الرائعين في حياتها..
لذلك قررت أن تبدأ حياة جديدة..
قررت أن تنسى..

تمت بحمد الله

شكر بحجمِ السماء
- الشاعر المُبدع / محمود مصطفى..

شكر خاص
- محمد صادق، فلولا مناقشتنا الكثيرة في البداية ما كانت النهاية..
- د.عادل العجوانى، على مساعدته ومعلوماته القيمة في الطب النفسي..
- د.آلاء زاهر، أختي الصُغري، والتي أرهقتها بشدة كطبيبة وكقارئة أعتز برأيها جدًا..
- مايكل واصف، على سعة صدره وإجاباته الوافية لأسئلتي الكثيرة..
- رانيا رفعت ومسرح البرجولا للعرائس، واللذان كانا مصدرًا قويًا للإلهام في تلك الرواية..